الجزء الأول — المجلد السابع والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٢ م

٤ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هـ

مجلة

المجمع العلمي العربي

دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٠٠٠ قرش سوري }

عالمان عربي وغربي

سعدت بعشرة عالمين عظيمين شرقي وغربي ، الأول عربي والثاني ايطالي ، أنفق كلاهما حياته في خدمة الآداب والمعارف ، وكانت الشام ومصر مباءة علم العربي وحصرت شهرته في الغرب ببعض الخواص ، واستفاضت في الأكثر بين من كتب مقرباً منال العلم عليهم ، واشتهر الثاني بين علماء المشرقيات في الغرب وبين خواص المشتغلين بالعلوم الحديثة في الشرق العربي .

توخى الأول بسط علوم الحضارة لقومه فأجاد وأبدع في نقله من الانكليزية الى العربية وأفاد العرب والعربية ، وشارك في نشر المدنية العربية من دون ان يعجب بها ، على النحو الذي كان عليه صنوه ، على حين كان هذا غربياً بدمه وجنسه ودينه . وكان كلاهما صادقاً في دعوته ما اعتقدا شيئاً فيه مخالفة بين باطنهما وظاهرهما ، بعيدين كل البعد عن المصانعة في علمهما ، سارا على أحسن ما يسير عليه عالم يصدع بالحق الذي يراه . وكانت فائدة العرب من الأول جزيلة ، وفائدة الافرنج من الثاني ليست بقليلة ، وكلاهما عرف في دائرة معينة ما كان غير الدارسين في الشرق والغرب عارفين بعظم منهاجهما . ولما مضيا لسبيلهما شعرت أندية العلماء بعظم خسارة العلم بهما .

قد يكون في شعوب الغرب وعلماء المشرقيات من دوله من يشابه العالم الايطالي في كثير من خصائصه ، ولكن العربي لم ينبغ مثله ، كان على صفات من الاخلاص والدؤوب وسعة المدارك على ما لم يؤته الا أفراد ، وكان الأول يسرع في نشر ما لقفه عن المعاصرين من علم في مجلته ، وكان مجال الثاني في التأليف والمحاضرات ومقالات المجلات .

عنينا بهذين العالمين الجليلين الدكتورين يعقوب صروف وكارلو نلينو .

الدكتور يعقوب صروف

بعد فتنة الشام في سنة ١٨٦٠ قويت عزيمة أصحاب الارساليات الدينية في الغرب على نشر مذاهبها في هذا الشرق القريب ، وتنافس دعاة الكثلكة مع دعاة البرتستانتية ، فكان من ذلك تأسيس مدارس مختلفة الصفات والدرجات في الساحل الشامي ولا سيما في جبل لبنان ، وجعلوا من بيروت ميدان المنافسات المذهبية ، فاستفاد اللبنانيون من ذلك ثقافة جديدة وأحكموا من اللغات الغربية الفرنسية والانكليزية . ومن أعظم المدارس التي كان لها الأثر العظيم في هذه النهضة الجديدة كلية الأميركان في بيروت وهي التي دُعيت بعدُ الجامعة الأميركية الانجيلية ، فانها الى عنايتها بنشر البرتستانتية عُنيت أيضاً بالعلوم والآداب وعاشت لأول نشأتها العلوم بالعربية فتخرجت فيها طائفة من الشبان الأذكياء كان بعضهم فخراً للشام . ومن جملتهم الدكتور يعقوب صَرُّوف .

ولد هذا العالم يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٢ م (مات يوم ٩ تموز ١٩٢٧ م) في قرية حدث بيروت من أبوين فقيرين ، قيل ان جده كان من أصل رومي وأن الدم العربي قليل في دمه . ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم في مدرسة سوق الغرب البرتستانتية ثم انتقل الى مدرسة عبيه الأميركية وكفله الأميركان وأخذوا بيده فظهر ذكاؤه واجتهاده ونال شهادة بكلوريوس علوم من الكلية الأميركية في بيروت في سنة ١٨٧٠ ، ودرّس بعد ذلك سنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الأميركيتين وبعدها دعته الكلية الأميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلسفية فدرّس فيها احدى عشرة سنة .

وبدا له خلال التدريس مع تربه الدكتور فارس نمر باشا أن ينشئ مجلة تبحث في العلوم المادية فاستشارا أستاذهما العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك

الأمير كاني صاحب الأيادي البيض على العلم والعرب فشجعهما على عملهما وسمى مجلتهما « المقتطف » وبدأ يؤازر فيها وينظر فيما يترجمان ويؤلفان . وصدر المقتطف في أول أيار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ثم رأيا الانتقال الى مصر وأنشآ في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية سمياها « المقطم » تناصر الاحتلال الانكليزي ، وظلا على اصدار « المقتطف » و « المقطم » الى اليوم .

وتقاسم الشريكان العمل ، فانفرد الدكتور نمر بالمقطم السياسي وانقطع الدكتور صروف لانشاء المقتطف . وينظر صروف أيضاً في المسودات الأخيرة من المقطم ولا ينظر الدكتور نمر في المقتطف قبل نشره ، وكثيراً ما كان صروف يحذف من المقطم أشياء لا تخلو من مجازفات لا تتفق مع اعتداله وتمقله وتمس عواطف المصريين . وامتزج الشريكان حتى كأنهما شخص واحد فأثريا من معاونة الانكليز ونال المستأثر بالجريدة السياسية منهما الحظ الأكبر من مغانمهم على صورة لم يوفق الى مثلها أحد من أرباب الأقلام في بلاد العرب .

وما زال المقتطف بفضل منشئه يدأب على السير في الخطة التي رسمت له ، وجل اعتماده في مادته على المصادر الانكليزية ، يقرب العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاقتصادية والزراعية من أذهان الجمهور . وقد أثر في هذا المعنى ، فكان أداة صالحة لنزع غشاوة الجهل المخيم على العقول ، ومشعلاً من نور الغرب يشع بين أبناء هذا الشرق . .

وكثير ممن لم يحظهم الحظ بدراسة هذه العلوم في المدارس تلقوها من طريق المقتطف . ذلك لأن منشئه كان يتوخى السلاسة في التعبير ولا ينشر ما يتعب ذهن القارئ وينفره من المطالعة . وأذكر أن أحد معارفي أرسل الي من دمشق بمقالة متعقدة العبارة قليلة المعاني وأرادني على أن أدفعها لصاحب المقتطف للنشر ، فنامت عنده مدة حتى فرغ صبر كاتبها فأوعز الي

بالبحث عما آلت اليه حال مقالته . فقال لي الدكتور صروف : اني اعتدت أن أدفع مقالات المؤازرين الى ابنتي لتقرأها فاذا فهمتها أنشرها وأعتقد أن القراء يتذوقونها وإلا فلا . ومقالة صاحبك عبارة عن ألغاز ومعميات لم أدرك ما يريد أن يقول فبالطبع على تلك النسبة يكون فهم القراء وهذا ما حال دون طبعها .

نعم رُزق صروف رشاقة في بيانه لا يتكلف فيه ولا يتصنع ، ومهر في بسط المعاني لقرائه ، وكان من تدريسه في صباه سنين كثيرة عامل مهم لادراك حاجة المتعلم والمستمع والقارئ ساعده على افهام قرائه وتحبيب الأبحاث العلمية الجافة الى نفوسهم مها كانت درجة معرفة المطالع ، وهذه مزية فيه قلما داناه فيها أحد ممن أنشأوا مجلات خاضت الأبحاث التي خاضها أو ما يماثلها . والسر في نجاحه أنه أتقن العربية والانكليزية وأتقن العلوم التي توخى نشرها وتخرج بمعظم أفاده علماً وتدريباً .

كان المترجَم له يقرأ المقالة الطويلة بالانكليزية فينقلها الى العربية أو يحتذيها أو يأخذ بعض معانيها وذلك باختصار لا غبار عليه . يزينها بما يوضحها ويحليها في العين والذوق . وكان حسن الاختيار فيما ينقل ويحتذي ويؤلف ، لا يخوض أبحاثاً لم يقع له أن ذاق منها ولو لماظات خفيفة ، واذا اضطر الى أن يعالج موضوعات لم تسبق له تبدو مقاتله ويظهر ضعفه ، عُدّ عليه هذا في بعض ما كتب وترجم ، والتعريب في مجلته أبداً أكثر من التأليف . وأكثر المقالات المصنفة كانت من أقلام مؤازريه . ومن قرأ أجزاء المقتطف يسقط فيها على ملخص آراء العلماء من الانكليز السكوتيين في العلوم التي يخوض عبابها ، وعلى مقالات جادت بها أقلام بعض أدباء تلك الحقبة من الشاميين والمصريين وغيرهم . ويدرك أن صاحب هذه الصحيفة كان يسير بها على سنة الترقي تزيد كل سنة مادته وتزيد معها معارف قرائه .

ولما كان له من موضوعاته ما لا يستسيغه عامة المطالعين في ذاك الدهر بدعوى أن منها ما يمس الأديان والتقاليد في الأحايين ، كان منشئها يلتزم الحياد على الأكثر فينقل ويعزو ما ينقل الى مصادر معينة ، ويترك المجال للقارئ حتى يفكر بنفسه فيما يتلو ويتدبر . وكان يتعمَّدُ ما أمكن الابتعاد عن مزج القديم بالحديث ، وما كان ممن يحسن الظن بمدنية العرب لتشبعه بروح من لم يدرسوها حق دراستها ، وساء حكمه على تلك المدنية بما أبقت بيئته الأولى في نفسه من التبرم بحال من شاهد من أهلها . ومع هذا نشر لمؤازريه أبحاثاً مهمة بدون تعليق عليها الا في أمور لا تحتملها حوصلته ، ويعتقد هو خلافها بحسب ما هداه اليه علمه . ثم قد تضطره العاطفة الى أن ينوه بمن لا يستحقون التنويه ، فيترجم لهم ، ويلفق لهم أدباً ، ويزعم لهم فضائل ، ويغفل عن ترجمة من لم يشاركوه في سياسته ، أو من تقدموه وآذوه في تقدمهم من علماء العصر وغيرهم . على أن التسامح العلمي باد على أكثر ما كان ينشر . ولا يحمل عطفه على بعض من حاول رفعهم الا على خُلُق تخلقت به الطوائف القليلة في هذا الشرق القريب وفي غيره أيضاً . فان الطائفة القليلة العدد تتماسك وتتساند أمام الطوائف الكبرى وبعبارة أصرح انه أصبح من طبيعة المسيحيين في هذا الشرق أن يمسك بعضهم بأيدي بعض وينوهوا بأدبائهم ورجالهم ويلفقوا لهم مزايا ويتخيلوا لهم درجات يرفعونهم اليها ، وقد يعد هذا العمل من باب التنشيط اذا لم يعبث بالحقيقة .

ومن طالع مجلة المشرق وما كتبه أصحابها من أبناء الرهبنة اليسوعية في التنويه بأبناء طائفتهم من الباباويين يُدهش من هذه الجرأة على التصنيع والمصانعة ، ولو حاول مؤرخ معتدل أن يرد الى الصواب ما نقلوه ودونوه في أبناء الكاثوليك والموارنة لاتنفى له أن يحذف منه تسعة أعشاره ذلك لأنهم خلقوا لمن ارادوا تزيين صورهم شعراً ونثراً وتآليف وخطباً لو كان هناك انصاف لما قوبلت بغير

الطرح في سلة المهملات وقالوا عما نشروا انها كتب وأسفار وأباعوها من عامتهم ونشروها لتأييد دعوتهم فكانت سبّة على العرب والعربية وعاراً على الحقائق التاريخية ·

فتح المقتطف صدره للمناقشات في العقد الأول من حياته فنصح فانديك لمنشئيه بالعدول عن خطة المماحكات وأثبتنا له نصيحته في مجلد السنة الثامنة وقللا بعد ذلك من الأخذ والردّ في الأجزاء التالية وشغلا صفحاتها بالمفيد من الأبحاث · وراعى المقتطف ذوق الكثرة الغامرة من قرائه وما لا يعود عليه بضرر في تجارته العلمية · ومن مزج العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة باباً للعلم قد ينجح في الأعم من حالاته · ومن أجل هذا اضطر المقتطف في الربع الأخير من عمره أن يجاري بعض المجلات في نشر الأبحاث الادبية فأجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد في المختارات الأدبية فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في أمور كثيرة ولا تشهد عليها مسحة مجلات الاخصائيين التي تنصرف الى علم أو علوم لا تتعداها فتطيل فيها وتتوسع ما شاءت وشاءت أغراضها · وللمقتطف عذره في ذلك ما دام أهل الاخصاء في الشرق لا يعيشون من أقلامهم وما عمّ العلم بيننا حتى يخص · ومن كان غرضه تعميم المعارف بين قرائه كافة وارضاءهم على اختلاف أهوائهم وشهواتهم الأدبية لا بد أن يسقط ولو قليلاً فيما يدعوه الخاصة لغواً او حشواً · وقد قال لنا منشئه يوماً في الكلام على مجلتنا المقتبس اننا نملؤها بالدسم فوق اللازم فالأشبه بنا أن نضمنها ما نحمض به النفوس ليشتد قرمها الى العلم ·

لا جرم أن المقتطف كان مدة نصف قرن مباءة لنشر الأفكار والعلوم ، وكان الفضل له بأن حمل زمرة صالحة من رجال النهضة العربية من أواخر القرن الماضي على البحث والدرس والنشر ، وطال عمر مجلته فدعيت شيخة المجلات العربية ، وقد سار منشئه فيه بروح الزمن فكانت مباحثه علمية صناعية لأول أمره ، ثم أخذ يُعْنَى بأبحاث عربية وما يستهوي العامة الى مطالعته خصوصاً عندما

انبعثت شعلة الآداب من مصر ونبغ من المصريين علماء وأدباء أرقى كعباً ممن تخرجوا في مدارس المرسلين في الشام ومصر ذلك لأن الأفراد الذين امتازوا من أهل مصر أخصوا في العلوم وأتقنوا العربية ومرنوا على الكتابة والترجمة ، وجمهور من درسوا في مدارس المرسلين من المبشرين درسوا أموراً كلية قصدوا بها تلقف اللغات الأجنبية لتساعدهم على التجارة وما عُنوا العناية المطلوبة باللغة العربية وآدابها.

وللدكتور صروف فضل عظيم في وضع كثير من المصطلحات العلمية والأسماء الفنية نشرها على صفحات صحيفته فتناقلتها الأقلام ودخلت في الكتب العلمية الحديثة المترجمة . وله طريقة في النقل من اللغات الافرنجية حبذا لو يسير النقلة عليها لأنها زبدة تجارب سنين طويلة ، وهي من خير الطرق في النقل والاحتذاء . وقد تجلت في شخصه أخلاق العلماء العصاميين فهضم ما تعلم وعَلَّم ما عَلِم فرزق الحظوة بما كتب وعرَّب ، وكثر أحبابه والمعجبون بمضائه وحزمه من جميع الطبقات والنحل . واحتفلت مصر بعيد المقتطف الخمسيني فأظهر سُراة العرب ما تكنه قلوبهم من الحرمة لهذه المجلة وصاحبها .

وان واحداً وسبعين مجلداً كتبها الدكتور صروف في احدى وخمسين سنة هي في الواقع أهم معلمة عربية في العلوم الطبيعية والرياضية والاقتصادية تخلد بين العالمين ذكره ، ونضعه في الصف الأول بين الرعيل الذي حمل قبس العلم والأدب الى عقول العرب في العهد الحديث ، ولقد كان مثال العامل النشيط الى آخر أيامه يلذه عمله ويتعشقه . ولذلك أكبر العقلاء المصيبة به يوم وفاته ، وعده العرب ركناً عظيماً من أركان نهضتهم ، ورجلاً قلّ في الرجال العاملين نبوغ مثله ، رفعه علمه وأدبه ورفع هو كثيرين من حملة الأقلام ، وأرشدهم وهداهم الى البحث على الطرق العلمية الجديدة وكان أيضاً من جملة من لهم فضل عظيم على كاتب هذه السطور بعطفه عليه وتنويهه به ، وما أخلاه في بداءة عمله من ملاحظاته الرشيدة وآرائه السديدة رحمه الله وأجزل ثوابه .

الدكتور كارلو نلينو

كان الدكتور كارلو الفونسو نلينو شيخ علماء المشرقيات في ايطاليا، وصاحب التآليف والأبحاث المُمتعة بالعربية والايطالية .

ولد في تورين يوم ١٦ شباط ١٨٧٢ وفيها درس دراسته الأولى وأخذ مبادئ اللغات الشرقية ، واعتمد منذ نشأته الأولى على ذكائه ودرسه الخاص أكثر من اعتماده على المعلمين والأساتيذ ، وبما فطر عليه من قوة الملاحظة ودقة النظر على ما لم يكتب لغير أفراد قلائل في الناس جاء منه عالم تام الأدوات ، ولمّا يبلغ سن الرشد ، على حين في العادة أن يظهر من كانوا في مثل سنه من صغار العلماء أنهم مبتدئون اذا بحثوا وكتبوا ، وأنهم في أول مراتب التحقيق العلمي اذا ألفوا وصنفوا .

عين أستاذاً للغة العربية في المجمع العلمي الشرقي في نابل وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وغدا في سن الثلاثين أستاذاً في جامعة بلرم عاصمة صقلية . وفي سنة ١٩١٣ خصته دولته بأن أنشأت له كرسياً لتدريس التاريخ والأبحاث الاسلامية في جامعة رومية . وكان منذ سنة ١٩٠٩ يُعهد اليه المرة بعد المرة التدريس في الجامعة المصرية ، وكان قضى في مصر في صباه أشهراً لاحكام اللغة العربية .

وكان في آخر أمره نائب رئيس مجمع لنشاي في رومية وعضواً في المجمع العلمي الايطالي وفي عدة مجامع وجمعيات ايطالية وغير ايطالية وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق منذ بدء تأسيسه وعضواً في مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة منذ أول عهده .

وعهد اليه النظر في القسم الشرقي من المعلمة الايطالية أي دائرة المعارف

الايطالية فكتب معظم مقالاتها الخاصة بالإسلام . وأنشأ مجلة الشرق الحديث تصدر بالايطالية مرة كل شهر في رومية بعناية المجمع العلمي الشرقي باحثة في السياسة وتقويم البلدان وأصول السكان والثقافة الحديثة ، وبفضل عنايته أصبحت هذه المجلة من أهم المجلات المشهورة في العالم ، وقد أدارها سبع عشرة سنة بما عرف فيه من مضاء ودؤوب ، وآزرته في عمله في العهد الأخير كريمته الفاضلة وتابعته في دروسه ورافقته في أسفاره .

كتب نلينو أبحاثاً جليلة ، وأكثر ما كتب مقالات ومحاضرات دلت على بعد غوره ونظره ، وأنه مفرد في بحثه العلمي يتجلى انصافه وأدبه مع مخالفيه وموافقيه . كان أجزل الله ثوابه شديداً على نفسه وشديداً في مناقشاته لا يتحلم عن جهل جاهل ، ولا يسكت عن غرور مزهو معجب بنفسه ، رأيناه يناقش خصومه بحماسة وقوة ، وقد يصليهم ناراً حامية من نقده ، فلا يخرجون من حواره سالمين لكنه لا يجوّز لنفسه أن يجهز عليهم ولا أن يتعدى نطاق الأدب والنصفة في حوارهم . وكان اذا وسد اليه النظر في أعمال قام بها غيره يصلح هفواتها ويقوّم منآدها وينقدها وينقيها ، ولا يتعدى حدود اللطف والعطف في تقدير كل عمل قام به صاحبه بأمانة ، وظهر أن الجد لحمته وسداه .

من أبرز صفات نلينو غرامه الشديد بجلاء الحقائق وقد أفرط في ذلك الى حد الوسواس والتردد . كان يحلل كل عبارة مهما كان مصدرها تحليلاً مجهرياً ، ويفحص بمعرفته الثاقبة كل كتاب مهما كان مهماً أم غير مهم ، لا يهمل ولا يتريّث ، ذلك لأنه كان يريد أن يكون في العلم كما هو في الحياة على مثل اليقين فيما يقول به ويؤيده من أنظاره .

كان اذا جرى أمامه بحث في بعض المسائل التي لم يعطها من الدرس حقه ينصت مستمعاً لما يقال استماع تلميذ جبان أمام معلمه العظيم . واذا كانت المسألة

المعروضة مما يحسن معرفته لا يحول أحد بينه وبين الكلام ، ولا يحجم عن قول كل ما يعرفه .

قال من ترجموا له انه لم يكتف من العلم الاسلامي بدراسة علم الفلك فقط بل أخذ نفسه بدرس كل ما لهذا العلم من فروع وشعب ، وكان مثالاً منفرداً في معناه بين المؤلفين ، وحجة قاطعة في الدروس الاسلامية والعربية . وقد قال مرة لأحد أصحابه : أنا لا أود أن أدع الخروج من درس العرب دراسةً خاصةً الا اذا عرفت كل شيء على حساب العرب .

ودعاه اتساع نطاق الحضارة العربية وطول مداها وترامي أطراف البلاد التي نشأت فيها ان يخرج عن دائرة الاخصاء الضيق الى ساحة النظر المطلق في كل ماله علاقة بهذه المدنية . فكان نحوياً مؤرخاً جغرافياً فقيهاً فيلسوفاً حقوقياً طبيعياً رياضياً ، ونظراته سديدة في هذه المدنية الفنية وارثة تراث الشرق السامي والفارسي الطويلة العمر (أربعة عشر قرناً) .

رأى نلينو في العصر الذي عاش فيه وتجرد للعمل في ميدانه أن العلم العربي الاسلامي حاد عن طريقه اللغوي واتجه وجهة جديدة في بحث الأفكار والأوضاع فتخلى عن درس الأصول وعن أخذ ما خلفته الاجيال القديمة من تراث أدبي ورجع الى القرون الوسطى الاسلامية ثم بدأ بدرس الاسلام الحاضر دراسة علمية . وما كان الاول ولا الوحيد الذي قاده عقله الى سلوك هذه الطريق الجديدة ، وكان بما رزق من ملكة لاستخراج مادة مبعثرة ، ومعالجة موضوع عسير ، فرداً في صبره وأناته لم يشاركه فيما نعلم غير أفراد قلائل من علماء المشرقيات فهو لم يترك قضية عربية اسلامية الا وجعل لها قسطاً من عنايته ، وتوفر على دراستها دراسة كفوء محقق ، ودقق في فروعها وأصولها ، كاشفاً عن غوامض الحوادث المجهولة ، ومصلحاً أغلاطاً فاحشة قديمة .

تناولت دراساته اللهجات العصرية ، والتاريخ السياسي حديثه وقديمه ، والتنقل بين التاريخ والجغرافيا ، والنظر في الأساليب المختلفة في كل مظاهرها ، والبحث في عاديات اليمن قبل الاسلام وفي اسماء بلدان ليبية (طرابلس وبرقة) وفي وضع فهارس المخطوطات ، وفي تراجم الرجال وحل الكتابات الأثرية . وكتب أكثر تآليفه بالايطالية وبعضها بالعربية ، ونشر أبحاثاً بديعة في التاريخ والجغرافيا والفلك عند العرب ، وأبحاثاً في القرآن ، وفي قبائل العرب وأصولها ، وطبع في صباه زيج البتاني الفلكي العربي مع ترجمته بالايطالية وبه اشتهر بين العلماء . ولما دعي في سنة ١٩٠٩ – ١٩١٠ الى التدريس في الجامعة المصرية القديمة ألقى على تلاميذه محاضرات في تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى وطبعها على حدة ، فكانت من أجل الكتب التي نشرت في هذا العصر بالعربية ، وبه وقفنا على أشياء كنا نجهلها من عناية أجدادنا بهذا العلم . ومن الكتب التي صحح أغلاطها كتاب تاريخ المسلمين في صقلية لآماري المستشرق الصقلي وهو في مجلدين بالايطالية ؛ فاستدرك نلينو ما فات المؤلف ، ومنها كتاب دولة عمورية لفازيليف المستشرق الروسي ، نظر فيه نظرة بليغة مع من نظر فيه من العلماء . وله عدة أبحاث في مجلة المجمع العلمي العربي وفي مجلة الهلال وبعض مقالات في مجلات أخرى يضرب فيها كلها على سندان واحد وهو تصحيح أغلاط المعاجم وتنقية العلم من الزغل والزؤان الذي وقع فيه بفعل القرون الطويلة وجهل الجاهلين .

وقد نشر في سنة ١٩٠٨ بحثاً في مجلة المجمع العلمي المصري صحح فيه ما وقع للمترجمين من تحريف في أسماء البلدان العربية ولما اطلع على ما كتبته في جريدة المؤيد ومجلة المقتبس بشأن موضوعه بعث يشكرني ويقول ان غرضه (تنبيه أولي الشأن من الشرقيين الراغبين في صون لغتهم من أيدي الضياع

ووقاية الكتب والمصورات والجرائد من التحريف الشنيع) وبقي يطيل النظر في هذا الموضوع الى السنة الماضية وقد طلب مجمع اللغة العربية الملكي بالقاهرة تصحيح أعلام البلدان في بلاد الاسلام فصحح القسم الأعظم منها ، ما خلا الديار الشامية وجزيرتي الأندلس وصقلية ، وأبرز جداول محكمة في هذا الموضوع دلت على علو كعبه وطول درسه ، فأقر الأعضاء جداوله معجبين ، وقد كان المجمع يريد ارجاء هذا البحث الى دورة الانعقاد المقبل فأصر نلينو على تلاوة جداوله وإقرارها ، كأنه كان يلحظ من جانب الغيب أن المنية ترصده وأن تلك الجلسة آخر جلساته ، وهو يريد أن يقر المجمع عملاً له تعب سنين في إعداده ، وأن ينشر هذه الكلمات الصحيحة على الشعوب العربية والاسلامية ينتفعون بها في تقويم أسماء بلادهم .

وكتب الأستاذ مقالات ممتعة في معلمة الاسلام وأكثرها في علم الفلك والآلات الفلكية وتراجم بعض الفلكيين وغيرهم ، وكانت مقالاته في مجلة المشرقيات الايطالية في غاية الامتاع ، ومنها خلاصة ما تنشره مجلات الشرق العربي من الكتب والرسائل والأبحاث النادرة . أما الأسئلة التي كانت تعرض عليه ويجيب عنها بالتحقيق المعهود فيه فكانت وافرة جداً ، وربما تألف منها مجلدات لأن الفقيد العزيز كان كريماً بعلمه ما سأله سائل في أمر يعرفه الا بادر الى اطلاعه على ما عنده منه . سألته ان يجلو لي بعض الأنحاء الغامضة من تاريخ الفتح العربي في جنوبي ايطاليا ما عدا صقلية ، فكتب اليَّ كراسة بالفرنسية فيها زبدة تاريخ تلك البلاد فانتفعت بها في كتابي (الاسلام والحضارة العربية) وطلبت منه أن يتفضل ويكتب لي نبذة مختصرة في حياة صديقيَّ وصديقيه العظيمين جويدي وكايتاني من أكبر علماء المشرقيات في ايطاليا فاغتبط وابتسم ووعدني بأن يكتب .

والسر في كل هذه الأعمال الجليلة التي تمت على يد زميلي الكبير شدته في نظامه وتدقيقه في عمله وما رزق من ارادة قوية ، فهو رجل ما عرف الفوضى ولا التوى ولا أحجم . أحرز درجة عالية في الأبحاث التي نظر فيها ، قلما تطال الى مداناته فيها العلماء ، وهو بالنسبة لبيئته وتربيته ولما يريد بحثه من الموضوعات قد يستهدف لغضب قصار النظر ، لأن أبحاثه لا تخلو لاختلاف الدار من أشواك وحسك ، ومما يغبط عليه أنه نال ما يرضي وما يغضب فأرضى وما أغضب ، وهذه نعومة وحسن مأتى قلما يصل اليها باحث . ولذلك كثر المُعْجَبُون به في الشرق العربي ولا سيما في مصر ، وكان يحبها لأنها عرفت قدره شاباً فوسدت اليه التدريس في جامعتها وما نسيته كهلاً وضمته الى أعضاء مجمع فؤاد الأول اللغوي .

نعم كان نلينو نابغة بعلمه وتحقيقه ، فرداً في أخلاقه وسمعه ، عرضت عليه أرفع المناصب السياسية في بلاده ، فما أراد أن يخرج عن هدي العلماء ، وما وجدت المظاهر الخلابة سبيلاً الى قلبه . كان يحسن بضع لغات غربية ويحذق العربية تخاطباً وتكاتباً كأحسن أبنائها . وقد فقد العلم الاسلامي به عالماً غيوراً وعاملاً مخلصاً . فيه شجاعة وأريحية ، وفيه المروءة وعزة العلماء ، ويحق لايطاليا أن تباهي بابن لها أورثها مجداً لا تبلى على الأيام جدته ، وخليق بعلم المشرقيات أن يبكيه ، وبنا معشر العرب أن نتأمل طويلاً في سيرته وأن نعرف أنه خدم أمته وما كره غيرها ، وأنه نفع طول حياته وما أضر . ومن حق الشعوب العربية من أقصى بحر الظلمات الى الخليج الفارسي أن لا تنسى عظيماً صرف عمره في درس كل ما له علاقة بها وبتاريخها وباجتماعها وبلادها وعطف عليها وأحبها .

ولا يسعني وقد وصل بي نفس الكلام الى هذا الحد الا أن أقول ان صلاتي كانت مع صديقي الراحل وثيقة مدة ثلاثين سنة وكنت اذا حدثته أو كاتبته أشعر بأني مع عالم قريب منا بذهنيته وآدابه ، ذلك لأنه كان يحب العرب والعربية محبة صادقة ، وما ألقاه من المحاضرات وكتبه من المقالات باللغة العربية حببه الى أهلها وحبب أهلها اليه ، وكان هو والعلامة جويدي والعلامة سانتلانا من أول من ألف من علماء المشرقيات الغربيين باللغة العربية ، ثم تبعهم العلماء ريتر وكرنكو وبرتزل ومايرهوف ونيبرج وغيرهم . وكانت العادة أن يكتب المستعربون من علماء المشرقيات مقدمات الكتب العربية القديمة التي ينشرونها بلغاتهم أو باللغة اللاتينية فأصبحوا يكتبونها بالعربية وبهذا عرف أبناء العرب صورة من بحث علماء المشرقيات وعنايتهم بالعلم وتحقيقهم الممتع .

وبعد فقد كنت أود أن أعرض في هذا الحديث لتحليل روح الراحل العظيم والالمام بنشأته . ولعلّ أحد أصدقائه وتلاميذه يسد هذه الثلمة ليكون من سيرته لناشئتنا درس نافع وليوقنوا أن العلم بغير درس لا يحصل ، وبدون عمل لا يستفاد منه ، وأن الشهادات المدرسية والألقاب العظيمة مهما كانت وتعددت لا تنبئ عن الرجل ، وأن أوربا لم تتقدم الشرق الا بعملها وعلمائها ، وأن دعوى التمجد بالقديم من دون عمل لاقتباسه والزيادة عليه لا تفيدنا ، وأن الواجب على علمائنا وأدبائنا أن يجعلوا قبل كل شيء سيرة أمثال نلينو نصب أعينهم ، ولا غضاضة على من اعترف بقصوره ، وسعى الى الكمال من طرقه المعقولة .

محمد كرد علي



مقدمة العقد الفريد

كثيراً ما نغفل في مطالعتنا للكتب النظر في مقدمات هذه الكتب فنقع في أمور لا ينبغي لنا أن نقع في أمثالها ، فقد سمعت من يعترض على صاحب كتاب الأغاني ويتهمه بالتعصب لأنه لم يدوّن تراجم بعض الشعراء على أن صاحب الأغاني قد ألّف كتابه ليجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية ، قديمها وحديثها ، هذه هي غاية الكتاب ، فاذا كان لقائل الشعر الذي يغنّى به أو لمغنيه أو لصانع لحنه وطريقته أو للسبب الذي من أجله قيل الشعر أو صُنع اللحن خبر يستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه أشار اليه ، واذا لم يكن لهذا كله خبر يستفاد أهمله ، هذا ما ذكره في مقدمته ، فاذا لم يدوّن تراجم بعض الشعراء فمعنى هذا ان هؤلاء الشعراء ليس لهم شعر يغنّى به واذا لم يكن لهم مثل هذا الشعر فهو قد تخطّى تراجمهم في كتابه ، فلو قرأنا مقدمة كتاب الأغاني قبل الاعتراض عليه لما اعترضنا .

وقد نقع في قريب من هذا الخطأ في حكمنا على مقامات الحريري ، فقد نظن أن صاحب المقامات قد ضمّن كتابه جدّ القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره ومُلح الأدب ونوادره ووشّحه بالآيات ومحاسن الكنايات ورصّعه بالأمثال العربية واللطائف الأدبية والأحاجي النحوية والفتاوي اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبّرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية ، قد نظن ان صاحب المقامات اقتصر على هذا التضمين والتوشيح والترصيع أي على الفن وحده وأهمل شيئاً آخر وراء هذا الفن وهو التنبيه والتهذيب .

فلو قرأنا مقدمة المقامات قبل قراءة المقامات نفسها لعرفنا أن صاحبها جمع فيها بين غايتين : غاية الفن وغاية التنبيه والتهذيب ·

هذا ما يحملنا على أن نقرأ مقدمات الكتب قبل قراءة هذه الكتب لأنها تدلنا في بعض الأحيان على السبب الذي من أجله عملت هذه الكتب وعلى طريقة أصحابها فيها أو على أمور ثانية من هذا الشكل ·

فما هي الأمور التي نهتدي اليها في دراسة مقدمة العقد الفريد ·

اذا تجاوزنا البسملة والحمدلة وجدنا أن مقدمة العقد الفريد اشتملت على توضيح غاية الأدباء وعلى الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين وعلى مصادر الكتاب وعلى طريقة صاحبه في التأليف وعلى أجزاء كتابه ·

يقول ابن عبد ربه في مقدمته :

« وبعد فان أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة قد تكلموا في الأدب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ومع كل زمان وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين واختيار جواهر ألفاظ السالفين وأكثروا في ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار والمتخير الى اختيار» ·

نجد أن ابن عبد ربه في هذا الجزء من مقدمته قد أوضح غاية الذين تكلموا في الأدب ، ماهي هذه الغاية : اختصار بديع معاني المتقدمين واختيار جواهر ألفاظ السالفين ، هذا هو محور الأدب في عصر ابن عبد ربه ، الا أن صاحب العقد الفريد لم يخصص بهذا الحكم العرب وحدهم وانما أطلق القول إطلاقاً فقال : إن أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة ··· فان قوله : ان أهل كل طبقة قد يخلو من شيء من دقة التعبير ، فاذا اعتبرنا الأمة طبقات : طبقة النجّارين والحدّادين والخيّاطين وغيرهم استنبطنا من كلام ابن عبد ربه ان أهل كل طبقة من هذه الطبقات قد تكلموا في الأدب وما نظن ان صاحب العقد الفريد

يرمي الى شيء من ذلك وانما الذي يريد أن يقوله على ما نعتقد ان أهل كل طبقة من طبقات الأدباء في الأمم ، وعلى هذا الوجه احتاج كلامه الى بعض الدقة ، ثم رأيناه قد أطلق القول إطلاقاً فقال : ان جهابذة كل أمة ... فهل كان واقفاً على لغات الأمم في عصره حتى يحكم مثل هذا الحكم أم جازف بالتعبير مجازفة وهو لا يريد إلاّ العرب فاذا كان الأمر الأول فهو مستغرب جداً ، واذا كان الأمر الثاني فان كلامه كما قلت يفتقر الى الدقة ، وبعد هذا كله أصحيح ان جهابذة كل أمة قد بذلوا مجهودهم في اختصار بديع معاني من تقدمهم واختيار جواهر ألفاظ من سلف ، فهذا حكم عام ما نظنّ انه يؤيد ببعض الحجج والبراهين ، وعلى كل حالٍ فالذي نستطيع أن نستخرجه من تضاعيف هذا الجزء من مقدمة العقد الفريد ان الأدباء في عصر ابن عبد ربه كانوا اذا تكلموا في الأدب يختصرون معاني المتقدمين ويختارون ألفاظ السالفين وهذا صحيح من بعض الوجوه لأن كتب أدبنا متشابهة أو متقاربة في هذا المعنى .

اذا وضّح ابن عبد ربه في الجزء الأول من مقدمته غاية الذين تكلموا في الأدب فقد وازن في الجزء الثاني بين الأولين والآخرين من الأدباء فقال :

« ثم إني رأيت آخر كل طبقة وواضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب أعذب ألفاظاً وأسهل بنية وأحكم مذهباً وأوضح طريقة من الأول لأنه ناقض متعقب والأول بادئ متقدم ، فلينظر الناظر الى الأوضاع المحكمة والكتب المترجمة بعين إنصاف ثم يحمل عقله حكماً عادلاً قاطعاً فعند ذلك يعلم أنها شجرة باسقة الفرع طيبة المنبت ذكيّة التربة يانعة الثمرة ، فمن أخذ بنصيبه منها كان على إرث من النبوّة ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه ولا يضل من تمسّك به » .

وازن ابن عبد ربه في هذا الكلام بين المتقدمين والمتأخرين ففضّل الآخرين على الأولين في الأمور الآتية : في عذوبة اللفظ وسهولة البنية وإحكام المذهب

ووضوح الطريقة ، هذه هي عناصر التفضيل الأربعة في نظر صاحب العقد الفريد ، واذا دققنا في هذه العناصر رأينا ان ابن عبد ربه يدخل في جملة النقاد الذين يهمهم الفن قبل أن يهمهم موضوع هذا الفن فقد أشار في التفضيل الى فضائل اللفظ ولم يشر الى فضائل المعنى وعلى هذا الرأي كان أكثر النقاد في عصره. وقبل عصره وقد شغلت قضية المتقدمين والمتأخرين أذهان أدبائنا في الماضي فجالوا فيها كل مجال ونحن لا ننسى في هذا الباب كلام ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء وكلام ابن فارس في كتابه الصاحبي ، فابن عبد ربه من النقاد الذين مالوا الى المتأخرين ففضلهم على المتقدمين في بعض خصائص اللفظ وبيّن سبب التفضيل ، وهذا هو السبب : ان المتأخر ناقض لأقوال من تقدمه متعقب لهذه الأقوال وان المتقدم بادئ .

وبعد أن فرغ صاحب العقد الفريد من هذه الموازنة بين الأولين والآخرين رغب الى القارئ أن ينظر الى ثمرات القرائح ونتائج الخواطر نظرة إنصاف وأن يحكّم عقله في هذه النظرة .

واذا انتقلنا من هذين القسمين من أقسام مقدمة العقد الفريد الى القسم الثالث وجدنا ان صاحب الكتاب قد دخل في موضوع كتابه فأشار الى مصادر هذا الكتاب فقال :

«وقد ألفتُ هذا الكتاب وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب وانما لي فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والأدباء واختيار الكلام أصعب من تأليفه وقد قالوا : اختيار الرجل وافد عقله وقال الشاعر :

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون : عقول الناس مدوّنة في أطراف أقلامهم وظاهرة في حسن اختيارهم » .

يدلنا هذا الكلام على مصادر العقد الفريد ، فان مادته مأخوذة من أفواه العلماء ومأثورة عن الحكماء والأدباء فابن عبد ربه ليس له فيه الاّ الاختيار وحسن الاختصار ولهذا نجده قد أسهب في مدح حسن الاختيار وهو يرمي في هذا الاسهاب الى مدح نفسه حتى اعتبر كتابه جوهر الجوهر ولباب اللباب ، ولكن ما هي طريقته في الاختيار والاختصار ، انه لم يغفل عن توضيح هذه الطريقة فقد قال في الجزء الرابع من مقدمته :

« تطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال ثم قرنت كل جنس الى جنسه فجعلته باباً على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب » .

من هذا يتبين لنا انه رتّب كتابه ترتيباً ولم يجعله فوضى فكان مثلاً اذا بحث عن الخطب جمع طائفة من خطب العرب في باب واحد حتى يكون للقارئ فكر عام فيها وكذلك فعل في كل باب من أبواب كتابه فهو لا يبحث في باب الحروب عن العلم والأدب ولا يبحث في باب العلم والأدب عن الخلفاء وتواريخهم وهذا بترتيب حسن يسهّل للقارئ قراءة الكتاب ، كان ابن عبد ربه قبل هذا الكلام لا يذكر في مقدمته من الأدب الاّ عذوبة اللفظ وسهولة البنية واحكام المذهب ووضوح الطريقة أما الآن فقد رأيناه يشير الى المعاني والحكم والأمثال ، على انه لا يلبث بعد هذه الاشارة أن يعود الى مذهبه في الفن فيذكر ما يهمه من هذه المعاني والحكم والأمثال أي من هذه الأخبار والآثار :

« وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار الى أشرفها جوهراً وأظهرها رونقاً وألطفها معنى وأجزلها لفظاً وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة

آخذاً بقول الله تبارك وتعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » .

فابن عبد ربه يهمه من الأخبار التي اختارها والآثار التي اختصرها شرف الجوهر وظهور الرونق وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة ، وهذه أمور صلتها بالفن نفسه فكأنه لم يؤلف كتابه الا للترويض على هذا الفن .

وقد جرى في مقدمته على قاعدة معروفة فهو اذا قذف برأي من الآراء أيّده باستشهادات شتّى فانه لما قال في كتابه ان له فيه تأليف الاختيار جاء بكلام يدل على حسن الاختيار وموقعه ولما أشار الى مذهبه في تفضيل شرف الجوهر وظهور الرونق وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة استشهد بآية من القرآن الكريم : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وبكلام يحيى بن خالد : يكتبون أحسن ما يسمعون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويتحدثون بأحسن ما يحفظون كما استشهد بكلام طائفة من أهل العلم والأدب .

ونراه في هذا الجزء نفسه من مقدمته يستمر في توضيح طريقته في تأليف كتابه ، من هذه الطريقة حذف الأسانيد :

« وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من التثقيل والتطويل لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها وقد كان بعضهم يحذف اسناد الحديث من سنّة متبعة وشريعة مفروضة فكيف لا يحذفه من نادرة شاردة ومثل سائر وخبر مستظرف ، سأل حفص بن غياث الأعمش عن اسناد حديث فأخذ بحلقه وأسنده الى حائط وقال : هذا إسناده ! وحدّث ابن السمّاك بحديث فقيل له : ما إسناده قال : هو من المرسّلات عُرْفاً ، وحدّث الحسن البصري بحديث فقيل له : يا أبا سعيد ! عمّن ، قال : وما تصنع بعمّن يا ابن أخي ! أما أنت فنالتك موعظته وقامت عليك حجته » .

درج كثير من رجال الأدب في الماضي على ذكر الأسانيد في أخبارهم وآثارهم حتى تتم الثقة بهذه الأخبار والآثار وعلى قدر الثقة بالأسانيد تكون الثقة بالروايات والحكايات واذا رجعنا الى كتاب الأغاني وجدنا صاحبه يهتم بالأسانيد الاهتمام كله فيخطّئ بعض الرواة ويطعن على بعضهم حرصاً على الحقيقة أما ابن عبد ربه فالذي يهمه على ما يظهر انما هو ما يقال لا من يقول فكأنه جمع لنا هذه الجملة الرائعة من جواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال حتى تحصل لنا ثقافة أدبية تامة ، وسواء عليه بعد ذلك أكانت هذه الحكم وهذه الامثال وهذا الأدب مأخوذة من فلان من الرواة أم من فلان فنحن اذا قرأنا كتاب العقد الفريد فلا نبالي بصحة ما جاء فيه بقدر ما نبالي بروعته وحسنه ، نستنبط من هذا انا اذا رجعنا الى العقد الفريد للاستشهاد بخبر من أخباره أو بأثر من آثاره لزمنا التوثق من صحة هذا الخبر وهذا الأثر ووجب علينا أن ننصرف الى الفن في رواية الأخبار والآثار أكثر من انصرافنا الى حقيقتها ، وليس معنى هذا ان ما جاء في العقد الفريد من حكم وأمثال وأدب انما هو منحرف عن الحقيقة ولكن معناه انه يلزمنا الشك فيها قبل كل شيء حتى نخلص من هذا الشك الى اليقين .

ولقد ختم ابن عبد ربه توضيح طريقته في تأليف كتابه بالكلام الآتي :

« وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون الأخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور » .

يدلنا الصدر الأول من هذا الكلام على ان صاحب العقد الفريد توخى في تأليف كتابه تعميم الثقافة الأدبية التي كانت أصولها مطلوبة في عصره ، فهو لم يجمع الأخبار والآثار لطبقة دون طبقة ولا لفئة دون فئة وانما جمعها للعامة والخاصة وللملوك والسوقة حتى ينشر الثقافة الأدبية ومثله في عصرنا هذا كمثل الذين يكتبون في مبادئ العلوم أو الفلسفة بلغة سهلة بسيطة حتى تدخل هذه المبادئ في أذهان الناس كلهم ، فغايته تعميم الأدب ولما كان للشعر مقام أول في الأدب حلّى كل جزء من أجزاء كتابه بشواهد من هذا الشعر من جنس الأخبار والآثار التي يرويها .

ولكن الشيء المستغرب في هذا كله أن يذكر شعره الى جنب الأشعار التي يرويها لأن المستحسن في مثل هذا الباب أن ينسى المؤلف شعره اذا كان شاعراً وقد وقع في مثل هذا الأمر ابو هلال العسكري في كتاب الصناعتين فكان اذا روى شعراً لأمثال جرير والفرزدق والأخطل وأبي تمام والبحتري وغيرهم من أمراء الشعر قرن هذه الرواية بشعره فأحس القارئ بضعف هذا الشعر اذا قيس بشعر أئمة الشعر على أن شعر ابن عبد ربه لا يشبه بشعر العسكري فانه شاعر مطبوع .

وأخيراً نصل في منتهى المقدمة الى تسمية الكتاب الذي ألفه ابن عبد ربه والى أجزاء هذا الكتاب :

«وسميته : كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً ، كل كتاب منها جزآن فتلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد» .

هذا هو كتاب العقد الفريد ، لقد فصّل صاحبه في مقدمته الكلام على غاية الأدباء ثم وازن بين المتقدمين والمتأخرين وفضّل الآخرين على الأولين وأتى على ذكر عناصر التفضيل ثم أشار الى مصادر كتابه المأخوذ من أفواه العلماء ، المأثور عن الحكماء والأدباء ثم وضّح طريقته في اختيار ما اختاره من الأخبار واختصار ما اختصره من الآثار ثم بيّن مذهبه في الفن ثم تكلم على غايته في تعميم الثقافة الأدبية ثم ختم المقدمة بذكر اسم كتابه وأجزاء هذا الكتاب .

وأظن أنه يهون علينا بعد هذا كله أن ندرك ما هو كتاب العقد الفريد ؟

اذا كنا ندرس تاريخ الأدب فانا نجد في العقد الفريد أصولاً نهتدي بها في دراسة هذا التاريخ لأن فيه أخباراً وآثاراً مختلفة تبدأ من الجاهلية وتنتهي في عصر ابن عبد ربه ، ولكن صاحبه لم يتوخ شيئاً من هذا كله وانما أراد أن يهيئ لأهل عصره هذه الأخبار والآثار حتى تغزر بها مادتهم الأدبية ويريد بهذه المادة عذوبة اللفظ وسهولة البنية وإحكام المذهب ووضوح الطريقة وشرف الجوهر وظهور الرونق وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة .

لو اخترنا في عصرنا هذا جملة من آثار الأدباء أكنا نجري في اختيارنا على طريقة ابن عبد ربه ، ان الأدب الحديث ينكر هذه الطريقة ، فان الذين يجمعون آثار الأدباء أو ينتخبون من هذه الآثار طائفة يجمعونها في كتاب يجرون في انتخابهم على أصلين :

إما انهم يتبعون عصور الأدب ، فيأخذون من كل عصر شعراءه وكتّابه وخطباءه وعلماءه وأدباءه المشهورين ثم ينتخبون من هذه الطبقات كلها أحسن كلامهم وعلى هذا الشكل نحيط بتسلسل عصور الأدب وبخصائص هذه العصور .

وإما انهم يتبعون تسلسل الفكر فيبدؤن مثلاً بالشاعر الذي ابتكر مذهباً من المذاهب ثم يذكرون الشعراء الذين مشوا على آثاره أو الشعراء الذين نقضوا هذا المذهب وعلى هذا الوجه نلمُّ بتسلسل الفكر وبانتقاله من طور الى طور على تراخي الأيام ·

واذا أردت أن أضرب مثلاً لذلك فاني أضرب المثل الآتي ·

ان المتعارف ان أبا نواس هو الذي فتح باب الخمريات في الشعر ولكن أبا الفرج الأصبهاني يردُّنا الى الصواب ويدلنا على حامل اللواء في وصف الخمر حين يقول : وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في شعرهم سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فانه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضع منه ·

فاذا كنا نضع كتاباً في انتخاب جملة من أشعار المتقدمين ونشير في هذا الانتخاب الى وصف الخمر فانا نبدأ بشعر الوليد ثم بشعر الشعراء الذين أخذوا معانيه وأدخلوها في شعرهم حتى نرى بأعيننا تسلسل هذا الشعر وانتقال المعاني فيه من طور الى طور ·

شفيق جبري

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الخامس عشر

— ٢ —

ص ٣٣٥ سطر ١ قوله (فكهنت وقالت (أي الكاهنة) والنور والظلماء والأرض والسماء الخ) . ضبط المصحح فعل (كهنت) بكسر الهاء . وكأنه سرى اليه هذا الوهم من قول التاج في مستدركه (كهن كهانة بالكسر اذا تكهن) فان قوله (بالكسر) راجع الى كاف (كهانة) المصدر والا فإن فعل (كهن) من أبواب منع ونصر وكرم لا غير .

ص ٣٣٥ سطر ١١ قوله عن الجرذ الذي خرّب السدّ (فان رأيت جرذاً يكثر بديه في السدّ الحفْر . ويقلب برجليه مراجل الصخر) الى أن قال (فانطلق الى السدّ فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً) قوله (بديه) صوابه بيديه وقوله (مراجل الصخر) المراجل القدور التي يطبخ فيها وقد تكون من حجارة فكأنه يريد الصخر الذي تتخذ منه مراجل . وفيه من التكلف ما فيه . فلعل كلمة (مراجل) محرفة عن جلامد ونحوها .

ص ٣٣٦ سطر ١٦ قوله (اغتنموا غضبة عمرو) ضبطت (غضُبة) بضم الضاد وصوابه (غَضْبة) بسكونها . وكأن المصحح اشتبه عليه ضبط (الغضبة) وهي بناء المرة من الغضب بضبط (الغَضُبَّة) وهي وصف للرجل الغضبان . فكما يقال غضبان وغضوب يقال رجل (غَضُبَّة) بضم الضاد لكن مع تشديد الباء . وهنا لا تصلح ارادة الوصف كما لا يخفى . وانما المراد معنى المرة من الغضب .

ص ٣٣٧ سطر ٣ قوله (وهم أبناء قبيلة الأوس والخزرج) صوابه (أبناء قيلة) ثم أبدل من (قيلة) كلتي (الأوس والخزرج) . ففي القاموس وشرحه (قيلة أم الأوس والخزرج وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية . ويقال بنت جفنة غسّانية . ذكرها الزبير بن بكار وغيره وترجمتها واسعة في (المعارف) وشروح (المقامات) .

ص ٣٣٧ سطر ١٤ قوله (وفي ذلك للمؤتسي أسْوة الخ) صوابه (وفي ذاك) ليستقيم الوزن .

ص ٣٤٠ سطر ١١ قوله (أيصلح تمشي في الدماء فتياتكم) صوابه (في الدما) من دون همز ليستقيم الوزن . أو بالدماء فتاتكم بالافراد . وهو الموافق للقصة . وقوله بعده (خلقتم لأثواب العرائس وللغسل) صوابه (والغسل) ليستقيم الوزن أيضاً .

ص ٣٤١ سطر ١٧ قوله (فأمَر كل انسان ان يقتلع شجرة الخ) هذا من كلام (رباح) أخي زرقاء اليمامة للملك يحذره منها . فهو فعل أمر طلبي لا فعل ماض خبري . فصوابه (فأْمُر) أو (فمُر) والا لكان مكرراً مع قوله بعده (فأمر حسان (أي الملك) بذلك) .

ص ٣٤٣ سطر ١ قوله (واني لا أرى رجلاً من وراء شجرة) صوابه (لأرى) باللام المؤكدة لا بلا النافية .

ص ٣٤٥ سطر ٤ قوله (حتى أتى ضفّة فاحتفر تحتها) الضفّة جانب الوادي قال المصحح وفي الأصل (حتى أتى صعُدة) أقول والصعدة هو الصواب وهي بفتحتين أو بضم فسكون ضرب من الشجر وجمعها صعُدات وانما رجحنا (الصعُدة) لما يأتي من قوله بعد (وهو في أولئك الصعُدات) وقوله (فجملا يزيقان رباحاً بين الصعُدات) فرباح خرج من حفرته وأفلت بين الشجرات التي احتفر تحتها . وقوله (تحتها) يناسب الاحتفار تحت الشجرات لا تحت الضفة اذ يقال احتفر في الضفة واحتفر تحت الشجرة .

ص ٣٤٧ سطر ١ قوله (وكانت تماضر بنة عمرو بن الشريد) قوله (بنة) كذا بتاء مربوطة من دون همزة . وكأن المصحح سوّغ حذف همزتها حملاً على (ابن) والا فالأظهر أن تكتب (ابنة) بهمزة أو (بنت) بتاء مبسوطة وفي المصباح (قال ابن الأعرابي وسألت الكسائي كيف تقف على بنت ؟ فقال : بالتاء اتباعاً للكتاب والأصل بالهاء ؛ لأن فيها معنى التأنيث) .

ص ٣٤٩ قول المصحح في تفسير (أشرجتْ عليها القبة) جمعتها غير سديد إذ أن معنى أشرج الخريطة داخل بين أشراجها . وأشراجها عُراها . وللقبة أي الخيمة أشراج وعُرى تكون على أبوابها المنسدلة فاذا ناموا أدخلوا الأشطنة (وهي أعواد عُقف بمثابة الأزرار) أدخلوها في العرى . وبذلك تشد اغلاق الأبواب فلا يدخل على النائمين أحد . والشريجة مشتقة من هذا .

ص ٣٥١ سطر ٦ قوله (وكان يجيبي من بها من العرب) صوابه (وكان أي ملك هجر يجبي) من الجباية .

ص ٣٥٣ سطر ١٧ قوله (لمعجل) صوابه لعجل .

ص ٣٥٣ قول المصحح في الذيل (وبخيرها نسباً اذا عُدّت الى أنسابها) صواب (عُدّت) (عادت) ليتعلق به حرف الجر (الى) ومعنى عادت خندف الى أنسابها رجعت اليها تعدّها وتفاخر بها القبائل .

ص ٣٥٥ سطر ١١ قوله (هذا نسب رحم كرشاء) قال المصحح (الرشاء الحبل) . بقي أن يقال ان الكاف الداخلة عليها حرف جر ؛ فقد جعل الرحم أو نسب الرحم مثل الحبل . ولا حاجة الى هذا ما دام القاموس وشرحه واللسان يقولون في مادة (كرش) ما نصه : (والكرشاء من الرحم البعيدة يقال بينهم رحم كرشاء) . وهذا بمعنى ما نقول في لهجتنا الدارجة (بينهم قرابة بعيدة) .

ص ٣٥٦ سطر ٥ قوله (وأمر ابنَ الخمس به فقتله) ظاهر العبارة أن

تكون هكذا : (وأمر (أي الملك) ابن الخمس فقتله به) اي ان ابن الخمس قتل الحارث به أي بأبيه الخمس .

ص ٣٥٨ سطر ٣ قول عنترة في رثاء مالك بن زهير (فلله عيناً مَنْ رأى مثل مالكٍ) نوّنت (عيناً) بالنصب خطأً . وصوابه ترك التنوين لكونها مثنى مضافة الى (من) بعدها أي (من رأى مثلَ مالكٍ لله عيناه) يغبط تلك العين ويمدحها من حيث ان ذلك يؤدي الى مدح مالك وتقريظه . وهذا على حد قول مالك ابن نويرة (الأغاني ص ٣٨٥) (فلله عينا من رأى مثل خيلنا) فان (عينا) هذه لم تنون وكذا ينبغي أن لا تنون هنا أيضاً . ولو صح تنوينها لوجب أن يقال (فلله عين أو عينان) بالرفع مبتدأ وخبر .

ص ٣٦٢ سطر ٣ قوله (اني جزيت بني بدر بسعيهم) أو الصواب (ببغيهم) .

ص ٣٦٢ سطر ١٥ قوله (وقد تواترت الظُّعن عنهم) صوابه توارت الظعن أي الهوادج وفيها النساء . وكان قال من قبل إنهم قدّموها لتسبق فلا يسبيها العدو .

ص ٣٦٢ سطر ٢٠ قوله (يوم الهبائتين) صوابه يوم الهبائين ليستقيم الوزن .

ص ٣٦٣ سطر ١٠ قوله (يوم غدير قلبى) صوابه قَلَلَى بالتحريك بوزن جَمَزَى اسم قرية كبيرة في واد على مقربة من المدينة .

ص ٣٦٣ سطر ١٣ قوله (لا نرضى حتى يودوا قتلانا) صوابه يَدُوا بفتح الياء وضم الدال من فعل ودى القاتلُ القتيلَ يديه أعطى وليَّه ديته . أما يودوا بالواو بعد ياء المضارعة فمن فعل (أودى) اذا هلك ومات وليس مراداً هنا .

ص ٣٦٤ سطر ١٣ قوله في العنوان (لعبس على بن عامر) صوابه على بني عامر .

ص ٣٦٥ سطر ١٧ قوله (قد يَرِّيَتُ الرطبة) صوابه ترّبت اي مرغتها بالتراب . والرطبة جمّة معاوية بن الشريد أي مجتمع شعر رأسه .

ص ٣٦٦ سطر ٦ قوله (وأنفذها هاشم سنانه عن عانة معاوية) الظاهر

ان صواب الجملة هكذا (وأنفذ هاشم سنانه عانة معاوية) أو (في عانة معاوية) قال الزمخشري في الأساس (رميته فأنفذته . وأنفذتُ فيه السهم) .

ص ٣٦٩ سطر ١١ قوله (اني أرى عينيه تبصّ) صوابه عينه .

ص ٣٦٩ سطر ١٢ قوله (نخرج دم قد احتقن) ضبط (احتُقن) بالبناء للمجهول وصوابه للمعلوم يقال احتقن الدم اذا اجتمع في الجوف من طعنة جائفة .

ص ٣٦٩ سطر ١٦ قوله (وكانت تلك المرأة في قوم مختارين لا يشعرون بالوقعة) صواب مختارين منحازين ففي الأساس (انحاز عن القوم اعتزلهم) وتقول عن أوليائك اذا انسحبوا من المعركة انحازوا وحاصوا اما عن اعدائك فتقول انهزموا وولوا مدبرين . وتقول اليوم مكان انحازوا (انسحبوا أو تراجعوا بنظام) . وكأنه تعبير اوروبي يريدون به تخفيف وقع الهزيمة كما يقول العرب انحازوا أو حاصوا وفي القرآن (إلا متحيّزاً لقتال) .

ص ٣٧٢ سطر ٤ قوله (إذ جاءه نسوة تتهادين اليه) هنا ملاحظتان : (١) صواب (تتهادين) يتهادين بياء الغيبة . (٢) صواب (اليه) حذفها للاستغناء عنها بضمير النصب في جاءه . ومعنى يتهادين يتمايلن ويتبخترن .

(قلت اذ أقبلت وزُهر تَهَادَى كنعاج الفلا تعسّفن رملا)

ص ٣٧٦ سطر ٢ قوله (فتحوّل عن سرجه الى جنْب أبدانه) ضبط المصحح جنب بسكون النون ولم يفسر المراد منه وفي (العقد) طبعته المصرية الأخيرة (أبدائه) بالهمزة مكان النون وفسر مصححوه (الأبداء) بالمفاصل . ولكن يفهم من كتب اللغة أن المراد بمفاصل الجزور أو عظامه التي عليها اللحم ما كان منها مُعَضّى مجزأً مقسماً الى أنصباء توزع على المقامرين . وما معنى تحول الفارس عن فرسه الى جنب مفاصله ؟ .. والذي أراه أن (جَنَب) بفتح النون لا سكونها وهو الخيل التي تُجنب الى جنب الفارس يتحول اليها

حين الحاجة • وفي القاموس (خيل جنائب وجَنَب محركة) والأبدان جمع بدن وبدن جمع بدنة الدرع • فعامر لما طُعِن تحول عن سرجه والتحول عن السرج تحول عن الفرس نفسها وكان في جنبه خيل معدة لتحميل الدروع عليها وهي التي سماها (جَنَب الأبدان) فركب احداها ثم لحق ضراراً الضبي الى آخر القصة • هذا ما أمكن حمل عبارة المؤلف عليه ما لم يعثر على نص أصح فيرجع اليه •

ص ٣٧٩ سطر ١٤ قوله (وليعصموا همام بن بشامه) صوابه وليمصوا من العصيان بدليل قوله بعده (ويطيعوا ابن الاخنس) •

ص ٣٧٩ قول المصحح (العوسج الشوك) فيه تسامح • وكان الأحسن ان يقال العوسج شجر ذو شوك أو من شجر الشوك •

ص ٣٧٩ قوله عن همام بن بشامة (فانه مشؤوم محدود) فسر المصحح المحدود بالممدود وليس بسديد فلعل (المحدود) محرف عن (المجروم) وهو الممنوع من الخير الذي لا ينمو له مال أو لا يكاد يكتسب • يقال فلان محروم ومحدود ومحارَف ومشؤوم وضده المجدود (بالجيم) والمحظوظ والميمون والمجدوت •

ص ٣٨٠ سطر ١ قوله (فآتاهم الرسول فأبلغهم) صوابه فأتاهم بهمزة غير ممدودة أي جاءهم أما (آتاهم) بمدها فمعناه اعطاهم وليس مراداً •

ص ٣٨٠ سطر ٨ قوله (وأما تشكتي النساء فيخبركم أنهن قد عملن حجلاً يغزون به) لا معنى لقوله عملن حجلاً • وحجل المرأة خلخالها • والخلاخيل لا يغزى بها • وصوابه (قد عملن شكاءً) جمع شكوة وهي القربة الصغيرة للماء وغيره • يقال شكَّت المرأة واشتكت وتشكّت كله بمعنى اتخذت لها قربة • فتشكي النساء يحسن ان يفسر باتخاذهن قرباً للماء يغزون بها العدو مع رجالهن الغازين يساعدنهم ويسقين جرحاهم وفي كتاب (أيام العرب) ص ١٧٢ ما نصه (وأما اشتكاء النساء فيخبركم أنهن قد عملن الشكاء يريد خرزن

شكاه يغزون بها) والكلام وارد في أخبار (يوم الوقيط) وهو اليوم الذي يروي المؤلف النويري خبره ٠

ص ٣٨٠ قول المصحح في تفسير الصمّان (جمل أحمر) سهو ظاهر وصوابه جبل أحمر ٠

ص ٣٨٢ قول المصحح في تفسير المزادة بالرواية سهو أيضاً وصوابه (الرأوية) بتقديم الألف على الواو ٠

ص ٣٨٥ سطر ١٥ قوله (مثل خيلنا) بهمزة سهو صوابه مثل بالثاء المثلثة ٠

ص ٣٨٦ سطر ١١ قوله (سود المآلَ) كذا بفتح اللام وهو سهو صوابه (سود المآلي) بالياء في الآخر وهو جمع (مئلاة) وهي الخرقة تمسكها المرأة حينما تنوح على الميت ويروى (سود الليالي) ٠

ص ٣٨٧ سطر ١٤ قوله (فركض حتى يَشرف مليحة) بفتح ياء يشرف والظاهر أن يكون صوابه حتى يُشرف على مليحة) ومليحة اسم موضع ٠ وفي العقد (حتى أشرف على مليحة) ٠

ص ٣٨٨ سطر ٥ قوله (ففاقت الطلب) صوابه ففاتت ٠

ص ٣٨٨ سطر ١٦ قوله (فوكبت عليهم بنو مالك) صوابه فركبت ٠

ص ٣٩٠ سطر ٥ قوله (فأخذ قيس بن عاصم بحيث يكلم الحوفزان) لعل في الكلام كلمة ساقطة ويكون الأصل هكذا (فأخذ قيس يقرب أو يقترب أو يدنو بحيث يكلم الحوفزان) ٠

ص ٣٩٠ سطر ٧ قوله (لا يلحقه) صوابه لا يلحقه ٠

ص ٣٩٢ سطر ٢٠ قوله (فلا كَشْفٌ) ضبطت بفتح الكاف وسكون الشين وصوابه ضمها وهم الذين لا تروس معهم أو ينهزمون ٠ ولا واحد له ٠ وبذلك يستقيم وزن البيت أيضاً ٠

ص ٣٩٣ سطر ١ قول الشاعر (نحن الذين هزمنا يوم صبّحنا جيش الزُوَرَين اخ صوابه الزُوَيْرين بالتصغير اسم للجملين وبذلك يستقيم الوزن .

ص ٣٩٣ سطر ١٠ قوله (ذي الحدّين) صوابه الجدين بالجيم المعجمة .

ص ٣٩٤ سطر ١٦ قوله (هؤلاء فأرى ياآل تميم) صوابه ثأري أي موضع ثأري دعوني أنتقم منهم .

ص ٣٩٥ سطر ١٢ قوله (ثم أجال في متن ذات النوع وهي فرس بسطام) . أجال بالجيم وصوابه أحال بالحاء المهملة كما مر في ص ٣٨٧ سطر ١٤ من قوله (فاذا أحس بكم أحال على الشقراء) غير ان صاحب (البستان) يقول ما نصه (قيل ان كلام العرب حال على ظهر فرسه وأحال في ظهر فرسه) يعني ان فعل (حال) الثلاثي يتعدى بحرف الجر (على) وأحال الرباعي يتعدى بحرف (في) وهذا خلاف ما جاء في عبارة المؤلف .

ص ٣٩٦ سطر ١ قوله (فصاحوا بهن في الابل من الحامية والرعاية) صوابه والرعاة بالتاء أو الرعاء بالهمزة وكلاهما جمع للراعي . أما الرعاية فمصدر ولا يسوغ استعماله هنا الا على استكراه .

ص ٣٩٦ سطر ٩ قوله (ياأيها المانح دلوي دونكا) صوابه الماتح بالتاء المثناة لا النون أو هو المائح بالهمز . والفرق بين الماتح والمائح ان الماتح يستقي ماء الركية وهو على رأسها والمائح يملأ الدلو وهو في قعرها وسئل الأصمعي عن الفرق بينهما فاختصر قائلاً (الفوق للفوق والتحت للتحت) أراد ان المتح بنقطتين من فوق هو الاستقاء من فوق البئر . والميح بنقطتين من تحت هو الاستقاء من تحت البئر . ومن أمثال العرب (هو أعرف من الماتح باست المائح) .

ص ٣٩٨ سطر ٢ قوله (فأجشت اي البسوس جسّاساً) صوابه فأحمشت بالحاء المهملة لا الجيم ومعناه هيجت وأغضبت . وحَمِشَ غضب .

ص ٣٩٨ سطر ٩ قوله (والا فخيّر) بالياء المثناة صوابه (فخبّر) بالباء الموحدة ·

ص ٣٩٨ سطر ١٠ قوله (وهو غير زَوّان) صوابه (دِفان) يقال ركية أو بئر دِفان اذا كان قد اندفن بعضها · والأحصّ وشُبَيْث ما آن من مياه العرب فهو يقول ان (شُبَيْثاً) لم يُدفن منه شيء ·

ص ٣٩٩ سطر ١٤ قوله (فانطلقوا به الى رجالكم) صوابه رحالكم بالحاء المهملة أي مساكنكم او حيث انتم نزول ·

ص ٤٠٠ سطر ٢ قوله (كيف أهدى) كُتبت (أهْدَى) بالياء وصوابه أهْدَا بالألف لأن أصله (اهدأ) بالهمز فخفف ·

ص ٤٠٠ سطر ٨ (كنا أنابيبها) كتبت (كنا) بالنون وصوابه (كُمْتاً) بالتاء المثناة · والكمتة سواد في حمرة وهو لون التمر · وكذا يكون لون عيدان الرماح ·

ص ٤٠٠ سطر ٩ قوله (فتوردها بيضا) · صوابه فنوردها بنون الجماعة ثم قال ونصدرها ·

ص ٤٠١ سطر ٣ قول المؤلف وهو يعدد اسماء من قُتل يوم الذنائب (وتيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد الحرقيّين) علق المصحح على (الحرقيين) قوله (الحارقة عَصَبَة متصلة بالورك) ولا علاقة لهذا التعليق بكلمة (الحرقيين) وفي كتاب (العقد) طبعته الأخيرة (وتميم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد الحَرِقين) وضبطت بالشكل بفتح الحاء وكسر الراء تثنية حَرِق وهو تصحيف فضلاً عن الخطأ في تميم وصوابه تيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد (الحُرَقتين) تثنية (حُرَقة) وزان هُمَزَة · ففي القاموس وشرحه (والحُرَقتان تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة والدتهما حُرَقة بنت النعمان بن المنذر) ·

ص ٤٠٢ سطر ٥ قوله (وقد أشرف في الدماء) صوابه أسرف بالسين المهملة أي أكثر من سفكها ·

ص ٤٠٣ سطر ٥ قوله (عن حيالى) ثم قوله سطر ٧ (اليوم صال) كلتا الكلمتين قافية وكان ينبغي ان تكتب (حبالى) (حيال) من دون ياء. والحيال عدم حمل الانثى. وتكتب (صال) صالي بالياء لأنهـا اسم فاعل لفعل صلي النارَ قاسى حرها واحترق بها.

ص ٤٠٤ في تفسير المصحح لعالية الرمح بالسنان تسامح. والأقوم ان تفسر العالية بصدر الرمح حيث يركب السنان.

ص ٤٠٥ سطر ٤ قوله (وكان الخباء من أُدَم صوابه (الحباء) بالحاء المهملة إذ المراد بالحباء العطاء اي المَهر كما يفهم من سياق القصة. اما الخباء بالمعجمة فالبيت من وَبَر أو صوف ويقام على عمودين او اكثر وليس مراداً هنا.

ص ٤٠٦ سطر ١٠ قوله (ثم طعن في نيطته فمات) صوابه (في نَيْطه) بفتح النون وضمير الغائب والنَّيْط قيل هو نياط القلب وهو علاقته. واذا وقع طعن الرمح فيه مات صاحبه. ولذا قال هنا معقباً (فمات) والأكثرون على ان قول العرب (طعن (مبنيًّا للمعلوم او المجهول) في نَيْطه) تعبير يراد به الموت. واختلفوا في أصله. وفي العقد (ثم طُعن في نيطه أي مات) نقوله أي مات تفسير لا تفريع وهو يؤيد ما قلنا ومنه قول سيدنا علي (لتَوَدُّ معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة الا طعن في نَيْطِه).

ص ٤٠٧ سطر ١ قوله (انما أدفع الثواب الى قاتله) سقط قبله قوله (فقال) أي سلمة.

ص ٤٠٧ سطر ١٢ قوله (ولا تأمنون دوران العرب) الدوران معروف يقال دوران الكواكب ودوران الدم في البدن. أما (دوران العرب) فلا يقوله البلغاء في مثل هذا المقام وانما يقولون (ذؤبان العرب) جمع ذئب اي لصوصهم وصعاليكهم والمقام يستدعي هذا المعنى.

ص ٤٠٧ قول المصحح (هجر اسم الأرض بالبحرين) موهم غير المراد من كلمة (هجر) إذ المراد منها مدينة هجر نفسها كما هو صريح قول المؤلف .

ص ٤١٠ سطر ١٩ قوله (اني رجل أحب اللابن) صوابه (اللابن) بياء موحدة كأنه يقول له استسلم لآخذ فديتك نياقاً ذات لبن فاني أحبه .

ص ٤١٠ سطر ٢٠ قوله (حتى جَنّاه عند الأهتم) صوابه خَبّأه عند الأهتم .

ص ٤١١ سطر ١٢ قوله (اني ممعل) صوابه مُمحل بالحاء المهملة أي أصابني المحل وهو الجدب . يريد انه في حاجة الى فداء أسيره وقوله بعده (ولا تطيب نفسي على أسيري) صوابه (عن أسيري) .

ص ٤١٢ قول المصحح (كرّي نفّسي) يوهم انه يفسر الكرّ بالتنفيس والكرّ في الحرب معروف . وقوله (نفسي) انما وقعت في بعض روايات البيت هكذا:

(كأني لم أركب جواداً ولم أقل   لخيلي كُرّي نفّسي عن رجاليا)

ومعنى (نفّسي عنهم) بتشديد الفاء خففي كرب الحرب عنهم . أما الرواية الأخرى وهي التي رواها المؤلف فهي (كُرّي قاتلي عن رجاليا) .

ص ٤١٢ قول المصحح في تفسير (بُؤْ بفلان) اي اذهب به . في قوله هذا تسامح كبير . والأظهر أن يقال : ليكن دمك لدمه بَواءً . أي مساوياً ومماثلاً .

ص ٤١٣ سطر ٥ قوله (جسداً لنا) صوابه حسداً لنا .

ص ٤١٣ سطر ١٤ قوله (والخيل تَلْحَب) يرجع معنى اللحب الى النحول وخفة اللحم . ولا يمكن ان يكون مراداً هنا الا على استكراه . والأصوب ان يكون محرفاً عن (تُلهِب) بالهاء . ففي الأساس (فرس مُلْهِب . وقد ألهب في جريه : اضطرم فيه . وله ألهوب) والاضطرام فرط اشتعال النار فاستعير لفرط عدو الفرس بحيث يثير الغبار .

ص ٤١٣ سطر ١٥ قوله (عليه دِلاص) بتخفيف اللام لا تشديدها . ويستقيم وزن البيت أيضاً .

ص ٤١٤ سطر ١٠ قوله (والريح عند أذنه) صوابه والرمح ٠

ص ٤١٤ سطر ١٣ قوله (شانَ حَرَّ الوجه) صوابه ضم حاء حُرّ لا فتحها ٠

ص ٤١٥ سطر ٥ قوله (فاجتازوها) صوابه فاحتازوها بالحاء المهملة ٠

ص ٤١٥ سطر ١٠ قوله (نخلّ عمارة) صوابه نحمل عمارة ٠

ص ٤١٧ سطر ٦ قوله (ومعنا شيخ من يزيد) صوابه شيخ بن يزيد بدليل ما بعده ٠ وشيخ اسم علم ٠

ص ٤١٩ سطر ١١ قوله (يقال لأحدهما اللّعاب) كان الأحرى ان تشدد العين لا اللام بدليل قوله في الشعر الآتي (وطاب عن اللعّاب نفساً) وتشديد لام التعريف لا حاجة اليه على انه يوهم ان العين مخففة ٠

ص ٤١٩ سطر ١٧ قوله (وحزّ قيس) صوابه وخَرّ اي سقط بعد ان أصيب في حلمة ثديه ٠

ص ٤٢٠ سطر ٣ قوله (فقطع احدي ثدييه) صوابه احدى يديه وفي العقد (فقطع أحد زنديه) ٠

ص ٤٢٠ سطر ٤ قوله (بجفن سيفه) صوابه بجفن سيفه ٠ وجفن السيف غمده ٠

ص ٤٢٠ سطر ١٠ قوله (وطاب عن اللّعاب نفساً ورمّة) في العقد (نفساً وربّه) بجر (الربّ) عطفاً على (اللعّاب) واللعاب اسم الفرس يعني ان سالماً الذي هرب طابت نفسه عن ذلك الفرس وعن ربّه أي فارسه وصاحبه ٠

ص ٤٣٤ سطر ١ قوله (وقال ابو عبيدة : انما خَرَصها خُرَيْصِيَة يسيرة) هكذا بالخاء المعجمة وبتصغير (خُرَيْصِيَة) ٠ ومثله في العقد غير ان (خريصة) فيه غير مصغر ٠ والصواب (حَرَصَهَا حَرِيصة) بالحاء المهملة فيها وتكبير حريصة : ففي اللسان : (والحرص الشق ٠٠٠ والحارصة والحريصة أول الشجاج وهي التي تحرص الجلد اي تشقه قليلاً) ٠ وقد ذكرت الحارصة في الحديث كما في النهاية ٠

ص ٤٢٧ سطر ١٦ قول المؤلف (وكانت العرب تسمي قريشاً سخينة لأكلها السُخْن) في هذا التعليل تسامح كبير وكان الأصوب ان يقول (لأكلها السخينة) ففي اللسان (والسخينة طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء) الى ان قال (وكانت قريش تكثر من أكلها فعُيِّرت بها حتى سموا سخينة) .

ص ٤٢٧ سطر ١٨ قوله (وعبد منافها) صوابه وعبد منافها .

ص ٤٢٨ سطر ٣ قوله (وأخلافها) صوابه (وأحلافها) بالحاء المهملة .

ص ٤٢٨ سطر ٥ قوله (وعلى احدى مَخْبَتَيْها صوابه مُجَنِّبَتَيْها ومُجَنِّبتا الجيش ميمنته وميسرته .

ص ٤٢٨ سطر ١٧ قوله (منا الذي ترك العوّام مجندلا) صوابه منجدلا ليستقيم الوزن .

ص ٤٢٩ سطر ٧ قوله (أشباك) وقول المصحح في تفسيره (يقال أشباك لفلان كما يقال حسبك لفلان) ـ لم أجده وانما وجدت في (العقد) اشبال وهو جمع شبل ولعلها الصواب . ويكون أشبال صفة لثلاثة الأخوة المذكورين قبله وهم (هشام) و (ابو عبد مناف) و (ذو الرمحين) وياليت المصحح عزا ما قاله الى مصدره .

ص ٤٣٠ سطر ٤ قوله (لم تغلب ومغلوب) بالغين المعجمة فيهما خطأ وصوابه العين المهملة فيهما . وأراد بالسمراء التي لم تعلب قناة الرمح . ومعنى انها لم تعلب لم تحتج الى ان يشدّ عليها بعلباء البعير وهي عَصَبَة تُستل من عنقه وينتفع بها في الشدّ والحزم . والمعلوب السيف يحزم مقبضه بالعلباء وهو معطوف على سمراء .

ص ٤٣٠ سطر ٨ قوله (الحارث بن كِلدة) بكسر الكاف وصوابه فتحها واختلفوا في تسكين اللام وفتحها .

ص ٤٣٠ سطر ١٠ قوله (دَعَسْتُ لُبانه بالرمح) صوابه ضم تاء (دعست) لأنه ضمير المتكلم . وفتح لام (لَبانه) وهو صدر الفرس .

ص ٤٣١ سطر ١٤ قوله (المستودع) بكسر الدال صوابه فتحها لأن النعمان هو المستودِع (بكسر الدال) وهانئ هو المستودَع (بفتحها) .

ص ٤٣٢ سطر ٧ قوله (فانا إن ركبنا الفلاة لمتنا عطشاً) صوابه حذف اللام من جواب الشرط .

ص ٤٣٤ سطر ٤ قوله (مِلنا ببيض لمثل الهام تَخْتَطِف) صوابه كما في بعض النسخ (فظلّ الهامُ تُخْتَطَفُ) .

ص ٤٣٤ سطر ١٣ قوله :

(لعلّك يوم الحنو إذ صَبّحتَهموا كتائب لم تعصك بهن العواذل)

صوابه كما في ديوان الأعشى :

(بعينيك يوم الحنو إذ صبّحتهموا كتائب موتٍ لم تعقها العواذل)

ويستقيم الوزن أيضاً .

هذا وفي الكتاب أغلاط كثيرة أخرى ترجع الى سوء تشكيل اللفظ وضبطه لغةً ونحواً رأينا ترك التنبيه اليها لما بلغنا من أن في نية (الدار) الحاق كراسةٍ خاصة يؤتى فيها على ذكر جميع أغلاط هذا الجزء الخامس عشر من نهاية الأرب ولعلهم فاعلون .

المغربي

مختصر (جمهرة النسب)

هشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ تقريباً) هو امام علم (النسب) بلا منازع وكتابه «الجمهرة» من خير ما ألف في هذا العلم - لا سيما فيما يتعلق منه بأنساب العدنانيين - ومن هذا الكتاب قطعة في مكتبة (المتحف البريطاني) في لندن، وقد صورها المجمع العلمي العراقي، وهي تحتوي على أنساب العدنانيين، قديمة الخط متقنة الضبط - وصفها الدكتور جواد علي في العدد الأول من مجلة المجمع العلمي العراقي.

وفي مكتبة (الاسكوريال) في اسبانية قطعة ظن المستشرقان ليفي بروفنسال وليفي دلافيدا انها من اصل (الجمهرة)[1] وليس الأمر كذلك فقد اطلعت على نسخة مصورة صورتها (دار الكتب المصرية) عن نسخة في المتحف البريطاني نقلها مستشرق يدعى (بربون) من نسخة مكتبة الاسكوريال، فرأيت أسلوب هذه النسخة يغاير أسلوب ابن الكلبي في الجمهرة، ولا يبعد ان تكون من كتبه الأخرى او من مختصرات الجمهرة وهي تحتوي على أنساب بني ربيعة ابن نزار (من العدنانيين) وعلى جميع أنساب القحطانيين وهذه النسخة التي كتبها المستشرق (بربون) رديئة الخط كثيرة التحريف (انظرها في دار الكتب تحت رقم ٩٩٩٥ ج (تاريخ) باسم نسب معد واليمن الكبير - وفي المتحف البريطاني برقم ٢٢٣٧٦ - والأصل في مكتبة الاسكوريال برقم ١٦٩٣ من فهرس الغزيري وهو مخطوط - كما يقول (بربون) سنة ٦١٦ هـ وفي صفحة ٢٩٣ منه حاشية كتبها الشيخ عبد المؤمن الدمياطي (٦١٣ - ٧٠٥ هـ).

(١) انظر مقدمة جمهرة أنساب العرب لابن حزم التي وضعها بروفنسال (ص ٦ طبعة دار المعارف بمصر).

اعتنى المتقدمون بكتاب الجمهرة فكان ممن رواه عن مؤلفه ابو جعفر محمد ابن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) ورواه عن ابن حبيب هذا ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري (المتوفى سنة ٢٧٥ هـ) ومن المعروف ان هذين الراويين اماما أهل الأدب في عصرهما . وفي القرن السابع الهجري اطلع ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) على هذا الكتاب برواية السكري عن ابن حبيب عن ابن الكلبي بخط صالح بن محمد بن يزداد [1] نقله صالح عن خط السكري فقام ياقوت بنسخه وأكمله في أثناء رحلته الى مصر وهو في موضع يسمى (الزعقة [2]) بين رفح والعريش في سنة ٦١٠ ثم بعد بضع سنوات اختصر هذا الكتاب بكتاب سماه (المقتضب من جمهرة النسب) ونسخة هذا الكتاب ـ اعني المقتضب ـ الفريدة المخطوطة في حياة مؤلفه ـ وقد تكون بقلمه ـ في دار الكتب المصرية .

وفي سنة ٦٤٨ ـ أي بعد وفاة ياقوت ببضع عشرة سنة ـ اطلع أحد العلماء على نسخة من كتاب (الجمهرة) برواية السكري عن ابن حبيب عن المؤلف فاختصرها ثم اطلع على نسخة ياقوت من أصل الجمهرة فقابل مختصره بها ولم يكتف بذلك بل رجع الى أكثر من عشرين كتاباً من أمهات كتب اللغة والادب والتاريخ فنقل منها كثيراً من النقول التي لها صلة بمختصره من تصحيح ، أو ايضاح ، او استدراك ، ووضع جميع ما نقله في هامش نسخته ، ولم يدمجه في الأصل ـ واطلع على نسخة [3] ثالثة من الجمهرة عند رضي الدين الصاغاني اللغوي المعروف المتوفى سنة (٦٥٠ هـ) فنقل عنها .

---

(١) لم أعثر لصالح هذا على ترجمة ولكنني رأيت لحمد بن يزداد الكاتب ولابنه عبد الله ولابنه احمد بن عبد الله (ال يزداد) ذكراً كثيراً في تاريخ الطبري ـ حوادث منتصف القرن الثالث الهجري وفي الفهرست لابن النديم وكلهم كتاب ادباء ذوو صلة بالخلفاء العباسيين .

(٢) لم يذكره في المعجم وقد ذكره صاحب صبح الأعشى (ج ١٤ ص ٣٧٨).

(٣) ذكر ذلك في صفحة ١٥٦ .

وهذا المختصر ـ وان كان لا يزال مجهول الأب ـ الا أنه يمتاز على مختصر ياقوت بمميزات ، ويفضله بكثير من الصفات ، وقد اطلع عليه عالم محقق مدقق هو شرف الدين ابو الحسين علي بن محمد بن احمد اليونيني البعلبكي الحنبلي (٦٢١ — ٧٠١ هـ) فنقله عن خط مؤلفه نقلاً بلغ غاية الدقة والصحة ولم يقف عند هذا الحد بل قابله بنسخة ياقوت التي قابل المختصر بها كتابه وأشار الى اختلاف النسختين ثم لم يكتف بالدقة في النقل وفي المقابلة بل زاد عليهما تحرير واضح في الكتاب رأى انها بحاجة الى التحرير ونبه على بعض أغلاط وقعت فيه . وقد سلمت هذه النسخة من عَبَث الزمان وعَيْث الحدثان حتى وصلت في القرن الحادي عشر الهجري الى خزانة الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ — ١٠٩٣ هـ) مؤلف كتاب (خزانة الأدب) فكتب في طرتها : (هذا كتاب مختصر جمهرة ابن الكلبي ولم أعرف مصنفه وقد أنعم الله به على عبده الفقير اليه في جميع حالاته عبد القادر بن عمر البغدادي ... ثم رأيت في ترجمة بني دارم قد صرح بكنيته وهو ابو جعفر) . كذا قال الشيخ وليس ابو جعفر المؤلف وانما هو محمد بن حبيب الراوي عن ابن الكلبي . وقد نقل البغدادي في الخزانة عن هذا الكتاب في الصفحات (٨٩ ، ١٤٣ ، ٢٣٨ ج ٢ وفي ٢١٤ ـ ٢٦٨ ج ٣ وفي ١٦٢ ـ ١٩٨ ج ٤) كما في اقليد الخزانة للأستاذ الميمني . وصرح البغدادي بانه مختصر ياقوت وهو غيره . لأن بعض ما نقل لا يوجد في مختصر ياقوت (المقتضب) . وقد اطلع على هذه النسخة بعد البغدادي أحد الجهال فرأى في آخر الصفحة الأولى منه اسم كتاب (التبيين في نسب القرشيين) لموفق الدين ابن قدامة فظن ان هذا هو اسم الكتاب فكتبه بخط عريض في أعلى الصفحة ـ وانما ورد اسم (التبيين) في سياق الكتب التي نقل عنها المختصر . وقد وصلت هذه النسخة القيمة من هذا المختصر

الى مكتبة (راغب باشا) في اسطنبول فسجلت في فهرسها برقم (٩٩٩) ثم صورها (معهد المخطوطات) التابع للادارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

وصف النسخة : تقع في جزئين أولها في ١٧٨ صفحة والثاني ١٥٢ ـ في الصفحة ١٩ سطراً تبلغ كلمات بعض السطور ٢٥ كلمة ـ مكتوبة بالخط النسخي الجميل المشكل والعناوين ورموز الكتب التي ينقل منها المؤلف مكتوبة بمداد احمر وقد حليت هوامشها بنقول كثيرة من كتب هذا بيانها من الصفحة الأولى من النسخة (العلامات التي تأتي في حواشي هـذا الكتاب : حو : صحاح الجوهري ، ف : معارف ابن قتيبة ، جم : جمهرة اللغـة ، جمهرة : جمهرة النسب ، شق : الاشتقاق لابن دريد ، عب : كتاب ابي عبيد في النسب ، عق : العقد ، مق : مقاتل الفرسان ، نق : النواقل لابن الكلبي ، ك : الكامل للمبرد ، ع : العجالة في النسب ، قض : مناقضات جرير والفرزدق ، ف : الشريف ابن الجواني ، سير : السيرة ، ق : مغازي الواقدي . مغازي : عبارة عما في الواقدية والعائذية وسيرة ابن اسحاق ، ابن هشام : عبارة عما زاده في السيرة عن غير مصنفها ابن اسحاق ، طب : تاريخ الطبري ، تبيين : كتاب التبيين في نسب القرشيين تأليف شيخ الاسلام موفق الدين ابي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي رضي الله عنه) هذا نص ما جاء في الصفحة الأولى من الكتاب ، وفي الهوامش نقول عن كتب غير هذه مثل كتاب (أسباب النزول) للواحدي ، وكتاب (تذكرة ابن حمدون) أو (التذكرة الحمدونية) لمحمد بن الحسن بن حمدون البغدادي الكاتب المتوفى سنة (٥٦٦هـ) وغيرهما .

أول الكتاب ص ٢ : (بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه أجمعين ، أخبرنا محمد بن حبيب عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن ابي صالح عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ اذا انتمى

في النسب الى معد بن عدنان أمسك ثم قال : «كذب النسابون» . قال الله جل ثناؤه (وقروناً بين ذلك كثيرا) . قال ابن عباس ولو شاء رسول الله ﷺ ان يعلمه لعلمه . وقال بين معد بن عدنان وبين اسماعيل ثلاثون أبا . وحدث وحدث هشام عن أبيه محمد بن السائب قال ولد ادد بن زيد عدنان ونبتاً ـ ونبت هو الأشعر ابو الأشعريين ـ وعَمْراً دَرَجَ . فولد نبتُ شُنُفْرَةَ ـ وهم في مُهرة بالشَحْر ـ وشَقْحَباً وهم في وُحاظة من ذي الكلاع) .

وآخر الجزء الأول ص ١٧٧ : (هؤلاء بنو أياد بن نزار . وفي نسخة ياقوت زيادة متصلة بالفصل وهي في الأصل منفصلة منسوبة الى خط (ص ١٧٨) ابي سعيد السكري الذي نقل الأصل من خطه وهي احمد بن ابي دواد بن حَريز بن مالك بن عبد الله ابن عباد بن سَلاَم بن مالك بن عبد هند بن لخم بن مالك بن قنص بن مَنْعَة بن بُرْجان بن الدَوس بن الديل بن أمية ابن حُذاقة بن زُهْر بن اياد . وبخطه كتاب المسند حروف لا يلتزق ولا يتصل حرف بحرف واذا انفصلت الكلمة علمت علامة عند منقطعها وهي هذه من كتاب ابن خُرْداذبه (ثم نقل صورتها [1]) . وبخطه عن ابي سعيد السكري توفي محمد بن حبيب يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس واربعين ومئتين بسر من رأى . توفي يعقوب بن السكيت يوم الأحد في رجب سنة ثلاث وأربعين ومئتين . توفي المازني سنة ثمان واربعين ومئتين . توفي الزيادي سنه تسع واربعين ومئتين . هذا آخر ما علقته من النصف الأول من كتاب الجمهرة في بغداد المحروسة من نسخة بالمستنصرية . مقابلة أكثرها بنسخة ياقوت وكان فراغ هذا في المحرم سنة ثمان وأربعين وست مئة . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه . آخر الجزء الأول من

(١) هذه الزيادات التي لا صلة لها بأصل الكتاب موجودة في نسخة للتحف البريطاني مما يدل على أن أصل النسختين واحد .

كتاب مختصر جمهرة النسب الذي هو عن ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي . نجز يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان المبارك سنة خمس وستين وست مئة يبعلبك حرسها الله تعالى) .

وأول الجزء الثاني ص ١٨٠ : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . نسب قحطان فيه خلاف وقد ذكر في كتاب الجمهرة احد الآراء فيه في اواخر انساب حمير وهو رأي من ينسبه الى اسماعيل ... قال ابن الكلبي ولد قحطان بن عابر المرعف) .

وآخر الكتاب ص ٣٣٠ : (هذا آخر ما نقلته من أنساب العرب في الجمهرة والذي جاء فيها : قال يحيى حكاية كلام السكري ابي سعيد الحق ما وجده مخالفاً لرواية محمد بن حبيب عن الكلبي او زائداً عليها والحمد لله . مما تركته لم أنقله الى هذا المختصر للعجلة قال في خلال ذكر بني القين بن جسر : ان من بني سعد بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مالك بن كنانة بن القين قُطْبَةَ بن زيد وهو ابن الخضراء والخضراء فرسه قال عوانةُ وقَدِمَتْ بلقَيْنُ على معاوية فقال ما كان قطبة بن الخضراء فيكم ؟ قالوا يا أمير المؤمنين سادنا يوماً الى الليل[1] . قال فأخبروني عن صخر بن ابي عمرو قالوا كان اذا غاب شتمناه واذا حضر اطمناه قال هذا والله هو السؤدد . يعني يهابونه اذا حضر ويحسدونه اذا غاب . كذا في نسخة ياقوت التي نقلت منها هذا الالحاق عند المقابلة بها وما وجدته ذكر في فصل بني القين صخر بن ابي عمرو وانما ذكر فيهم سعد بن ابي عمرو بن صخر بن حذيفة بن غزية وانه كان سيدهم وبيتهم وابنه الحكم بن سعد ذكره حسان في شعره ولم يقل صخر بن ابي عمرو الا في خلال هذا الخبر . كان في آخر نسخة ياقوت التي قابلت بها ماصورته :

---

(١) كلمة غير واضحة .

كان على الأصل (ص ٣٣١) ما صورته : قال صالح بن محمد بن يزداد ـ ومن خطه نقل هذا الكتاب أجمع ـ الى هنا انتهى ما وجدته بخط السكري وكان ما حكاه عن يحيى بخط نزل في آخر المجلس التاسع وكان قد اندرس فيه مواضع كثيرة واشتبه ذلك وخفي فأثبت ما وجدته بيناً من ذلك . وتم الكتاب المعروف بجمهرة النسب عن ابن الكلبي رواية ابن حبيب عنه رواية السكري عنه بالمنزل المعروف بالزّعقة من طريق ديار مصر في العشرين من ذي الحجة سنة عشر وستمئة وانا متوجه الى مصر ، وكتب ياقوت بن عبد الله مولى عسكر الحموي . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، فرغ من هذا المختصر في المجلدين في أوائل سنة ثمان واربعين وست مئة ببغداد المحروسة والحمد لله وحده والصلاة على محمد وآله . آخر الجزء الثاني من مختصر اختصر من كتاب الجمهرة لابن الكلبي رواية ابي جعفر محمد بن حبيب مولى بني هاشم عنه رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الرحمن السكري عنه . نقلت الجزئين من خط المختصر في مدة آخرها يوم الجمعة لست بقين من ذي الحجة سنة خمس وستين وست مئة ... قابلته بأصل المختصر رحمه الله حرفاً بحرف) .

مَن المؤلف ؟ ليس في النسخة ما يشير الى اسم المؤلف ولكن يفهم من تاريخ الفراغ من الاختصار الوارد في صفحتي (٧٨ ، — ٣٣١) ومن قول الكاتب : (قابلته بأصل المختصر رحمه الله) ان المؤلف توفي بين سنتي (٦٤٨ — ٦٦٦) ويفهم من تصريحه بانه فرغ من الاختصار في بغداد من نسخة بالمستنصرية انه بغدادي كما يفهم من صلته بالصاغاني وباعتناء اليونيني بنقل كتابه هذا انه ذو مكانة علمية بارزة وتدل حاشية في صفحة (١٠) على أن المختصر قد اختصر تذكرة ابن حمدون ونص في صفحة ٢٦٩ ـ في الحاشية ـ على ان له شيخاً يدعى العز فقال (في أخذ شيخنا العز على المعري في تفسيره

لقول المتنبي لسيف الدولة : سمعتك منشداً بيتي زياد نشيداً مثل منشده كريما . قال العزُّ) الخ .

مَن الكاتب ؟ لم ينص الكاتب باسمه في صلب النسخة ولكنه فيما ظهر لي الحافظ شرف الدين ابو الحسين علي بن محمد بن احمد الحنبلي البعلبكي المعروف باليونيني نسبة لقرية من قرى بعلبك المولود سنة ٦٢١ والمتوفى سنة ٧٠١ [1] ، فقد جاء في هامش صفحة ١٨٦ (بلغ مقابلة وتحريراً بأصل ... [2] الذي بخط يده وهو يدل على الضبط التام والنباهة والمعرفة بهذه الصناعة قدس الله نفسه ورحم رمسه وايانا ... [2] يوم الدين كتبه علي بن احمد بن محمد ... ابن عيسى بن احمد بن احمد بن محمد بن محمد ... اليونيني في يوم الخميس سابع شهر رمضان المعظم سنة ... وجدت فيه أشياء حررتها ونبهت عليها فان كان المؤلف رحمه الله لم يقابل فمعذور ، وربما يكون الغلط من المستدرك ، جعلنا الله ممن اذا عمل عملاً يكون خالصاً لوجهه الكريم) . وفي هامش صفحة ٣٣٠ (جميع ما عليه من الحواشي نقلته من خط مختصر الأصل أيضاً الا ما هو عن الأمير ابن ماكولا رحمه الله ومن كتاب الاكمال للحافظ عبد الغني المقدسي رضي الله عنه . في مدة آخرها يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شهر الله المحرم سنة ست وستين وستمئة) . وفي بعض الحواشي التي يستدرك بها على المؤلف يصرح باسمه كما في حاشية صفحة ١٣٠ حيث ختمها بقوله (قاله علي) .

مميزات هذا المختصر على مختصر ياقوت :

١ - يقع هذا المختصر في ٣٣٠ صفحة . وتقع هوامشه ـ لو أفردت ـ

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة والمنهل الصافي (نسخة دار الكتب الخطية) وانظر مادة (ي و ن) من التاج ،

(٢) مكان النقط كلمات غير واضحة .

فيما يقرب من ١٥٠ . ومختصر ياقوت تبلغ صفحات النسخة القديمة الموجودة في دار الكتب في ٢٣٢ صفحة .

٢ — في نسخة مختصر ياقوت (المقتضب) مواضع في آخر الصفحات تغيرت كلماتها فصارت لا تقرأ الا بصعوبة وقد لا تقرأ أبداً لانطماس حروفهـا . وأما كتابة هذا المختصر فواضحة جميلة ولكاتبه اليونيني لدى علماء الحديث منزلة عالية من ناحية الصحة والضبط في الكتابة وتعتبر نسخته من (صحيح البخاري) من أوثق نسخ ذلك الكتاب (انظر وصفها في مقدمة صحيح البخاري ص ٣ طبعة بولاق سنة ١٣١١) .

٣ — ليس على هامش المقتضب شيء من الحواشي الموجودة على هامش هذا المختصر .

٤ — في هذا المختصر زيادات عن غير ابن الكلبي زادها السكري ففي صفحة ٦٠ (الربائع ـ عن غير كتاب ابن الكلبي) . وفي صفحة ٤٠ (في أصل كتاب ابن الكلبي خلف بن معشر وليس فيه بدر . ويدو من كتاب ابن الأعرابي) . وفي صفحة ٤٧ (قال محمد بن زياد سواءة بن الحرث بن سعد) . وابن زياد هذا هو ابن الأعرابي . وفي صفحة ٥٢ (قال الكلبي قيل لهم الأسبذيون لأنهم كانوا يعبدون فرساً ويقال هي مدينة يقال لها اسبذ كان نزلها فنسب اليها . وقال الهيثم بن عدي انما قيل لهم الاسبذيون اي الجمّاع وهم من بني زيد بن عبد الله بن دارم) . هكذا ورد النقل عن الهيثم ـ وأستبعد أن ينقل ابن الكلبي عنه فقد روى الجاحظ في (البيان والتبيين) وابن النديم في الفهرست وياقوت في معجم الأدباء (ج ١٩ ص ٣٠٤) ان ابن الكلبي اذا رأى الهيثم ذاب كما يذوب الرصاص . وفي صفحة ١٤٠ (قبائل فهم عن غير ابن الكلبي)

وفي صفحة ٨٢ (وذكر من هنا خارج عن كتاب محمد بن حبيب عن ابن الكلبي فكأنه زيادة زادها السكري عن غيرهما) . وقد يوجد بعض هذه الزيادات في المقتضب كما يوجد كثير منها في نسخة المتحف البريطاني من أصل الجمهرة المصورة في (المجمع العلمي العراقي) .

٥ – قد نقل المختصر فصولاً كاملة من أصل الجمهرة بدون اختصار وصرح بذلك . ففي صفحة ٣ (الى هنا نقل ما في أول كتاب الجمهرة نقل المسطرة وما بعد هذا نقل اختصاراً) وفي صفحة ١٨٣ (إلى هنا نقلت من الأزد متوالياً ثم اختصر الآن) . وفي صفحة ٢٠٨ (هذه الفصول الثلاثة لم أحذف منها شيئاً بل هي في الاصل مختصرة كذا) . وفي صفحة ٢١١ (لم أختصر من هذا شيئاً بل هو كذا في الأصل) . وأشار في صفحات أخرى الى عدم الاختصار . وتقيد هذه المواضع التي لم تختصر في تحقيق أصل كتاب الجمهرة .

٦ – تعتبر النسخة الأصلية المحفوظة في مكتبة راغب باشا من هذا المختصر أصح المخطوطات العربية وأوثقها وأكثرها دقة وعناية في الضبط بحيث لا يمر بك حرف واحد فيها بدون اشارة الى ضبطه . وكان من أثر كتابة عناوينها ورموز الكتب التي نقل منها المختصر بالمداد الأحمر عدم ظهور ما كتب بذلك المداد في النسخة التي صورها معهد المخطوطات التابع للادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ولذلك فلا بد لمن أراد نشر هذا الكتاب او الاستفادة منه استفادة تامة من الرجوع الى النسخة الأصلية .

وبعد فهل من عالم بجاثة ، يهدي الى الحق ، ويرشد الى اليقين ، في اسم مؤلف هذا المختصر النفيس القيم ؟؟ الى العالمين الفاضلين الدكتورين الجوادين (جواد علي ومصطفى جواد) عضوي مجمعنا العلمي العربي يساق هذا الحديث .

مراجع عن (جمهرة النسب) لابن الكلبي :

١ — مجلة المستشرقين الألمانية :

ا — مقالة للمستشرق بيكر عن نسخة الاسكوريال في صفحة ٧٩٦ — ٧٩٩ سنة ١٩٠٢

ب — مقالة للمستشرق جولد زيهر عن ابن الكلبي وجمهرته في المجلد ٦٢ صفحة ١١٧

٢ — مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن .

مقالة ليوسف اسباط في صفحة ٥٠٧ من سنة ١٩٢٥

٣ — نشرت جريدة المقطم في عددها الصادر في ١٣ رمضان سنة ١٣٤٣ — ٧ ابريل سنة ١٩٢٥ ما هذا نصه « بلغنا اليوم ان القس بولس اسباط صاحب الخزانة العظيمة الشهيرة عثر على مخطوط قديم يحتوي على كتابين أحدهما (جمهرة الأنساب) لأبي محمد هشام بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦ والثاني يدعى (التيجان في أخبار قحطان) لأبي محمد عبد الملك بن هشام وهما من الكتب المفقودة » .

٤ — كتاب (بروكلمان) ج ١ ص ٢١١ — ٢١٢ .

٥ — مقدمة كتاب (الأصنام) بتحقيق أحمد زكي باشا — المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية .

٦ — مقدمة (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم بقلم ليفي بروفنسال — المطبوع بمطبعة دار المعارف بمصر .

٧ — مقال للدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العربي — نشر في العدد الأول من مجلة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

الرياض (نجد) حمد الجاسر

التأليف في الملوك

بقلم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله

كان لكثير من الملوك رغبة في العلم لاشراف نفوسهم الملكية على علو قدره وجلالة أمره ، فمنهم من كان يرغب فيه ، ويقرب أهله ويسعى في نشره ، ومنهم من اشتغل به وسعى في تحصيله حتى فاز بحظ وافر منه . ومنهم من زاد على ذلك فألف فيما عني به من العلوم ، غير ان المؤلفين فيهم قليلون ، لمنع شواغل تدبير المملكة ، والقيام بأعباء أمورها في أكثر الأوقات من التفرغ للتأليف . ومن الملوك الذين ألفوا عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن . وفي كثير من خزائن الكتب شيء من مؤلفاته وأغرب مؤلفاته كتاب [1] عثرنا عليه في هذه المدة ألفه في صنع الاصطرلاب بعد أن زاول عمله مدة وأتقنه . وقد أجاد في هذا الكتاب اجادة وافرة بحيث قرب هذه الصناعة على الراغبين فيها ، ولم يستعمل الابهام الموجب للايهام . فأحببنا ان نورد منه ما ذكره في المقدمة لنقف على أسلوب الكتاب والغرض منه قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والثقة يقول العبد الفقير الى الله تعالى عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول غفر الله له . الحمد لله الذي لا يبلغ أداء حمده الحامدون ، وشكراً له على نعمه فوق ما شكره الشاكرون ، فهو الواحد الذي لا تحيط به الظنون ، جعل النجوم دلائل يهتدي بها المهتدون ، فقال سبحانه : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » . أحمده حمد مقصر ، وأستهديه

(١) هو من أسفار خزانة كتب احمد تيمور باشا في القاهرة . وهذه النسخة كانت ملكاً لذاك الملك الجليل .

الى طريق الصواب وأستنصر ، وصلواته على محمد النبي الكريم الذي أثنى عليه في كتابه العزيز الحكيم فقال مادحاً له : « وانك لعلى خلق عظيم » . وعلى آله المنتخبين صلوة وسلاماً دائمين متلازمين الى يوم الدين ورضي الله عن الصحابة أجمعين .

« وبعد فلما كان الاصطرلاب أشرف آلة وضعت في علم الفلك ، وطريقه أوضح طريق بيّن في هذا الفن سلك ، أحببت ان أجمع في علمه رسالة موضحة قريبة المسالك بطريقة مصححة ، فما زلت أداخل أصحاب هذا الفن ، واستجلب درّهم بالبحث المستحسن ، لتعرف من منهم يورد من فنونه ويُبين ، ويصوّر خلاف غيره ويبرهن ، حتى ايقنت النفس بما مثلوه ، وعرفت نقل الأصل الذي أصلوه ، فتشجعت بأن كررت التعلم والتحرير والتصوير لاشكاله الموضوعة والتقدير ، الى أن حسنتُ ما لم يحسنوا من آلته ، وعرفتُ ما يختار من عمله وصناعته ، ولم يذكروا في علمهم بالتحقيق ، سوى المقنطرات والبروج والكواكب بالتدقيق ، واستكفوا فيما عداها بحسن الروية من غير تقدير .

« فلم أزل أفكر فيما أهملوه حتى وضعت له المقادير تابعاً لما رسمه الأولون من الحساب ، مكتسباً ما أمكنني منه الاكتساب ، فوضعت على غاية ما يبلغ الاجتهاد اليه ، ووقع عند التخير الاختيار عليه ، ما يغني الصانع في تيسير المعرفة ، ويكفيه عن كثير من الكتب المصنفة ، وعليه في وضع المقنطرات والكواكب المعول ، والعمدة على وضعها وتحريرها على المصنف الأول ، مع معرفتي بفلك حروفها واعدادها ، وابعاد مراكزها وانصاف أقطارها ، ولست بالمدعي في معرفة هذه الصناعة ، ولا ممن يتخذها حرفة وبضاعة ، بل اجتهدتُ فيها والتمست ، واحتذيتُ من ضوء سناها واقتبست ، فألفت هذه الرسالة لتكون للصانع أوضح دلالة ، وسميتها معين الطلاب على عمل الاصطرلاب ، فمن وقف عليها فليتسامح عما فرط ، وليكن أول من لعذر بسط ، فان الحليم اذا رأى حسناً مخفياً

أظهره ، واذا رأى قبيحاً منشوراً ستره . ونسأل الله الهداية في الصلاح ، والبلوغ الى أفضل المقاصد والنجاح ، انه العظيم الحنان ، والكريم المنان .

اعلم ان الاصطرلاب يعمل بحالات ، فمنها ما يكون تاماً وعدد مقنطراته تسعون ، ومنها ما يكون ثنائياً وعدد مقنطراته خمسة واربعون ، ومنها ما يكون ثلثاً وعدد مقنطراته ثلثون ، ومنها ما يكون خمساً وعدد مقنطراته ثمانية عشر ، ومنها ما يكون سدساً وعدد مقنطراته خمسة عشر ، ومنها ما يعمل عشراً لصغره وضيق مداراته ، وعدد مقنطراته عشرة ، فالتام هو الذي يكون درج بروجه ومقنطراته مقسومة على درجة درجة ، والنصف ما كان بروجه ومقنطراته مقسومة على درجتين درجتين ، والثلث ما كان درج بروجه ومقنطراته مقسومة على ثلاثة ثلاثة ، والخمس ما كان درج مقنطراته وبروجه مقسومة على خمسة خمسة ، والسدس ما كان درجه ومقنطراته مقسومة على ستة ستة ، والعشر ما كان درج بروجه ومقنطراته مقسومة على عشرة عشرة .

« وأما الرسوم التي لا يقع فيها اختلاف في جميع الاصطرلابات ، فهي دوائر المدارات ، أعني مدار السرطان والحمل والجدي ، وخط نصف النهار وخط الاستواء ، فان هذه الخطوط كلها في جميع الاصطرلابات لا يقع فيها خلاف البتة ، وانما تختلف دوائر المقنطرات ، وهذا الذي اتصل الى علمنا من أعمال الاصطرلابات واعمال التارجهار ، فانه لا يمتنع ان يكون قد زيد على هذه الأقسام التي ذكرناها ، ولم نطلع عليه ، فليس لنا أن نقطع بأن هذه الأقسام التي ذكرناها هي التي تعمل فقط ، فعلى هذا ما كان صغيراً وقسم على درجة او درجتين او ثلاث تزاحمت خطوط المقنطرات لا سيما عند المركز ، فلأجل ذلك جعل ما صغر منها على عشر عشر ، وأصحها ما كانت مقنطراته مقسومة على درجة درجة ، ليتحقق منها الصحة ، لأن ما كبر منها وكان فتحه ذراعاً بالحديد خلص نصف درجة ، اي تقسم درجته الواحدة بنصفين لسعة ما بينهما وبين

المقنطرة الثانية ، وما كان فتح ذراعين حديد خلص عشر دقائق ، أي تقسم درجته الواحدة بستة أقسام كل قسم منها عشر دقائق ، وما كان منه اربعة أذرع او خمسة بالحديد خلص دقيقة اي تقسم الدرجة الواحدة بستين قسماً ، كل قسم منها دقيقة ، لأن كل ما اتسعت الآلة صح تقسيمها ، ويؤدي الى الصواب لاحاطة النظر ، واحاطة الصانع بالصنعة ، والتمكن من قسمة الدقائق بين الدرجات ، لكبر الآلة فيؤدي ذلك الى الضبط والى الصحة . فقد قيل ان الحاكم من خلفاء المصريين عمل ذوات الحلق ، وهي تسع حلقات الحلقة يدخل فيها الفارس راكباً برمحه ، فيكون وزن الحلقة الواحدة نفسها الفي رطل ، وكانت جوانبها محزوزة مربعة على زوايا قائمة ، حتى اذا ركب بعضها على بعض كانت كصفيحة واحدة فيرصد بها ، وبها حققوا طول مصر وعرضها ، ثم ان التتر لما طلبوا الرصد صنعوا دائرة بناء طول حلقة سعتها عشرون ذراعاً ، فاستخرجوا ربع دائرة من محيطها ، ثم بنوا جداراً طوله مائة ذراع ، ونصبه مائة ذراع مربع ، وضعوا عليه ربع دائرة طول قائمها على زوايا قائمة ستون ذراعاً ، وطول القطر الآخر الممتد على الأرض مثل ذلك ، والقوس تسمون درجة كل درجة ذراع قوسية اي قطعة من قوس هذا الربع ، ودرجوه درجاً كدرج القطر من أسفله الى أعلاه ، ليعملوا اشغالهم لأخذ الارتفاع ، وأنفقوا على ذلك أموالاً طائلة .

وقيل ان هلاوون اخذ آلة الحمالين وجعلها على رأسه ليبرد عنه الم الحجر ، وحمل حجراً كبيراً فلم يبق احد الا وحمل ، وبهذه الآلة الارتفاعية حصل الارتفاع بدقائقه وربما بثوانيه ، فقوس كل درجة هي ذراع ، فتمكنوا بهذه الآلة ، واستخرجوا بها اعمال الرصد وطوله ، وما أرادوا من باقي الأعمال . وأوردنا هذه الحكاية ليعلم منها فائدة كل ما كبر من الاصطرلابات وزيادتها فائدة في

التحقيق ، ومع ذلك اذا كان الاصطرلاب سعته كما قلنا في فتح ذراعين وما فوقه الى خمسة فلا يمسك باليد وقت أخذ الارتفاع لكبره وعظمه ، بل يرفعه شخص بيديه وآخر يأخذ به الارتفاع ، فان عظم علّق على سيبا بقدر ما يتمكن منه الناظر ، وهو معلق بالسيبا ، فعند أخذ الارتفاع برفع الناظر العضادة ويخفضها ، حتى يصح له أخذ ارتفاعه من الشمس او الكواكب ، وأول ما يبتدئ به الراسم من العمل يخط خطاً بأي قدر شاء ، ثم يقسمه بتسعين قسماً ، أجزاء صحيحة محكمة ، بقدر الجهد والطاقة ، فان صحة العمل موقوفة على قسمة الخط المذكور ، فمتى كان في القسمة خلل لم تصح بها الأعمال ، والخط هو المسطرة المقسومة ، وهذا مثالها (وهنا أورد صورتها) وان كانت هذه المسطرة بخلاف المسطرة الستينية التي ذكرها الفرغاني في كتابه ، فان تلك مقسومة بستين قسماً فاذا أردت عمل هذه المسطرة الستينية التي يقاس منها أعمال الاصطرلاب فانك تبدأ أولاً بعمل مسطرة صحيحة من خشب صلب .

الى أن قال : « فاذا أردت عمل الاصطرلاب كبيراً كان أو صغيراً على أي قدر شئت عمله من الأقدار ، فانما يكون كبره وصغره من حساب هذه المسطرة ، لأنه متى أراد الاصطرلاب كبيراً ، كبر في طول المسطرة ليتباعد ما بعد أقسامها ، ومتى أراد الاصطرلاب صغيراً صغر المسطرة ليتقارب ما بين أقسامها ، لأن فتح نصف قطر دائرة الاصطرلاب ، بقدر الثلث من طول المسطرة المقسومة بتسعين جزءاً ، ويكون قسمة هذه المسطرة اما في مسطرة من خشب صلب كالأبنوس والعاج ، أو ما كان في صلابتهما من الخشب والعاج وما شاكله في الصلابة واللون ، والعاج أجود من الأبنوس ، لكونه أسود لا تتبين فيه أجزاء المسطرة ، وان كانت من نحاس كانت أجود من الجميع ، اذ المراد بالصلابة ان لا ينزل شيء من رأسي البيكار في الخشب فيختل العمل ،

فاذا أراد قسمة الصفائح فانه يبدأ أولاً بفتح البيكار بقدر ما يغلب على ظنه انه نصف قطر الصفيحة اه .

وفي آخر الكتاب شهادتان من أهل هذه الصناعة تشهدان له باتقانها والبراعة فيها وهذه صورة الأولى منها : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي قدر مقادير الكواكب ، وأظهر من مكنونات الغيب أسرار العجائب ، وسير النيرين كتهادي الكواعب ، وأجرى النحيرات كجري القواضب ، وقدر بروجها بين السابق واللاحق والطالع والغارب ، وجعل النجوم السبعة متجبرة بالقواعد والمراتب ، فنسبة الشمس كالسلطان ، والقمر كولي العهد والصاحب ، وزحل كالقهرمان ، والمشتري كالحاكم ، والمريخ كصاحب الجيوش والكتائب ، والزهرة كالخادم والمطرب ، وعطارد كالوزير والكاتب ، فسبحان خالق هذه المحاسن والغرائب ، ووصفها في كتابه المنزل على سيد الأنبياء والشهداء والأباعد والأقارب ، فقال عز وجل : «انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب» ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الكرام وأصحابه الأطايب . وبعد فأقول وانا أقل عباد الله وأصغرهم ابراهيم بن ممدود الحاسب الملكي المظفري الأشرفي : اني لما شاهدت الاصطرلابين قسمة السدس من عمل مولانا الملك الأشرف عمر بن مولانا ومالك رقنا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي ابن رسول خلد الله ملكهما وطول عمرهما من سنة ٦٨٩ وصحة جميع ما عمله بهما من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وانصاف الأقطار والكواكب والحجرة والصفائح ، سبكاً وضرباً ، قسمة ووضعاً ، وصحة قسمة دائرة البروج وصحة العضايد ، وعيار المجموع فيهما ، ولم أجد فيهما مأخذاً الا ان كان اليسير من جهة الصانع الخراط ومولانا خلد الله ملكه عارف به وباصلاحه ، فشهدت له بالفضيلة ، وبتجويده في صناعة الاصطرلاب ، ووضعت له خطي هذا شاهداً على

صحة ذلك ، وأجزت له أن يعمل ما شاء من ذلك أي من الاصطرلابات ، بما استقريته من اتقانه ومعرفته ، وذكائه وخبرته ، واختياري له في ذلك وامتحاني اياه ، وكذلك في اصطرلابين عملها في سنة ٦٨٩ أحدهما اصغر من الآخر قسمة السدس والأكبر فيها قسمة الثلث ، أجزته وشهدت له بالصحة في الأربع اصطرلابات المذكورة . وكذلك أجزته في عمله لساعات مستوية يستخرجها بترجهار بعمله علماً وعملاً ، وان يعمل منها ما شاء لوثوقي بعلمه وعمله ، فيما استقريته من أعماله ، في جميع ما ذكرته عنه نفعه الله بما استفاده ونفعنا بما أفدناه . وكتب أقل العبيد المظفري الأشرفي ابراهيم بن محمود الجلاد الموصلي الحاسب في شهور سنة ٦٩٠ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وشرف وعظم . ثم أقول وانا أقل عباد الله ابراهيم الحاسب الملكي المظفري الأشرفي ان مولانا الملك الأشرف بن مولانا السلطان الأعظم الملك المظفر خلد الله ملكهما ، جدد اصطرلاباً قسمة السدس سنة ٦٩١ هجرية صحيحة وتحرير بالغ أعظم مما قبله ، مما استدللت به على زيادة فضائله ، فالله تعالى يزيده من فضله ، وينور باطنه بعلمه بمنه وكرمه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم .

وأقول أيضاً ان مولانا الملك خلد الله ملكه أوقفني على سموت باصطرلاب قسمة الثلث سنة ٦٩٢ والسموت لعشرات ، فاستقريت الكثير منها أعني من السموت التي عملها بالآلات الصحيحة وبالحساب ، فوجدتها في غاية الصحة والتناسب ، مما استدللت بصحة يده ، وجودة ذهنه ، وتمكنه في العمل ، فحكمت بصحة ما يعمله من السموت ، وأجزت له أن يعمل بعد ذلك ما شاء من الاصطرلابات المسمتة ، وكذلك مما يعمله من الساعات الزمانية والمستوية ، وخطي

الفجر والشفق ، بأي اصطرلاب شاه وذلك من جمادى الآخرة سنة ٦٩٢ والحمد لله حق حمده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه كتب ذلك أقل العبيد المظفري الأشرفي ابراهيم الحاسب في التاريخ المذكور .

وهذه صورة الشهادة الثانية منها : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وكذلك يقول العبد الفقير الى الله تعالى حسن بن علي الفهري المظفري اني شاهدت الاصطرلابات التي أتقن احكامها ووضعها ، مولانا ومالكنا ، السيد الأجل العالم الأنبل الملك الأشرف ممهد الدنيا والدين عمر بن مولانا ومالكنا السلطان الأجل السيد الأوحد العالم العادل الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول خلد الله مملكتهما ، فمنها اثنان قسمة السدس عملا في سنة تسعين وستمائة ، واثنان أحدهما قسمة السدس والآخر اكبر منه قسمة الثلث ، عملا في سنة تسع وثمانين وستمائة ، واصطرلابان قسمة السدس ايضاً عملا في سنة احدى وتسعين وستمائة . وشاهدت جميع ما عمل بها من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وانصاف الأقطار والقطرين المتقاطعين على ظهورها ، وامتحنت حروف العضائد المستعملة وقيام الشظايا على العضائد ، ومقابلة ثقوب الشظايا بعضها لبعض ، على موازاة حروف العضائد المستعملة ، واعتبرت كل واحد من ربعي الارتفاع فيها ، وادراجها من الواحد الى التسعين ، ومربعات الظل وأصابعها الاثني عشر ، واقدام الظل ، واعتبرت ارباع الحجرة في جميعها وادراجها الثلاث مائة وستين ، وخط وسط السماء مع وتد الأرض ، وخط المشرق والمغرب ، وانتهاء اطراف كل واحد من هذين القطرين الى محاذاة أرباع الحجرة ، ودوائر المقنطرات ، ودائرتي مداري المنقلبين ، ودائرة مدار أول الحمل ، وأول الميزان ، وخط العصر ، وخط الفجر ، ومغيب الشفق ، والساعات الزمانية ، وفي الاصطرلاب السدامي الصغير المعمول في سنة

تسع وثمانين وستمائة خطوط للساعات المستوية متقاطعة مع خطوط الزمانيـة ، ثم بعد ايام قريبة شاهدت الاصطرلاب قسمة الثلث المعمول في سنة تسع وثمانين وستمائة ، وقد سمت صفائحه الثلث لست عروض وهي : عرض يح ، وعرض يحه ، وعرض يد ه ، وعرض يد ل ، وعرض ٠٠ ، وعرض كا ه ، فوجدت سموتها متقنة العمل صحيحة محققة قسمتها بعشر قسي عشر قسي من قسي السموت ، ووجدت الجميع من الاصطرلابات المذكورة بقسمتها وتاريخها كاملة الجودة والتحقيق والصحة ، وأجزت له صناعة الاصطرلاب ووضعها ، سبكاً وضرباً ورسماً ، لما استقريته من اتقانه ومعرفته ، وذكائه وفطنته ، واختباري لأعماله التي أحكمها ، وامتحاني اياها ، ثم أجزت له أن يعمل ما شاء من الساعات المستوية ، يستخرجها بطرجهار بحكمه علماً وتحقيقاً ، وشاهدت طرجهارين من احكامه وعمله أحدهما فضة ، والثاني نحاس ، فوجدتها في غاية التحقيق فليعمل ما شاء منهـا ، فقد وثقت بما استقريته منه في جميع ما ذكرته في خطي هذا ، ووثقت بثقوب معرفتـه وفطنته ، نفعه الله بالعلم والعمل آمين ، وذلك بتاريخ اليوم الثاني من رجب الأصم سنة اثنتين وتسعين وستمائة أحسن الله خاتمتها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله اهـ .

وفي الكتاب تساهل في كثير من المواضع في اللغة والاعراب ، وهو مما يغمض عنه في مثل هذه الكتب ، لا سيما ان كان من طبقة الملوك الذين لا يساعدهم الوقت على التنقيح ، والمهم في مثل هذا هو تعليم الصناعة بأي عبارة كانت .

مقتطفات من كتاب

الأشباه والنظائر للخالديين

(٣)

— ٧ —

[ص ٣٤ : من شعر جران العود]

وقال جران العَود [1] :

١ كأنني يوم حثّ الحاديان بهم ... مرنّح من سلاف الخمر مَعْلول
٢ يوم ارتحلتُ برَحْلي قبل بَرذعتي ... والقلبُ مستَوهِلٌ بالبين مشغولُ
٣ ثم اغترزتُ على كوري لأدفعَه ... إثر الحُمُول الغوادي وهو معقولُ
٤ لم يُبق من كبدي شيئاً أعيش به ... طولُ الصبابة والبيض العطابيلُ
٥ ممن يجول وشاحاها اذا انصرفت ... ولا تجولُ بساقيها الخلاخيلُ
٦ يرنو اليها ، ولو كانوا على عَجَل ... بالشِّعب من مكة، الشِّيبُ المثاكيلُ

.. أما قوله « ثم اغترزت [2] على كوري » البيت فلا يكون في الطيش والدهش وشغل القلب بالبين مثله لأنه ذكر انه جعل رحله على جَمَله قبل بَرْذَعته [3]

(١) اختيار الأصل ضمن الشذرات بآخر . د جرير ٢/٢٠١ - ٢٠٢ والقصيدة في د ٣٥ - ٣٨ وفي منتهى الطلب ١/٩٦ أنها « تروى للتحيف الخفاجي وللحكم الخضري » وراجع البيتين الثاني والثالث في الشعراء ٢٥٠٤ والحماسة ٢٤٤ والثاني فقط في خ ٤/٥٠٤ .

(٢) اغترزت أي وضعت رجلي في الغرز وهو الركاب .

(٣) ما أسخف قول من فسّر بأن الشاعر كنى بالبردعة عن الزوجة !

ثم ركبه واثاره وبعثه في السير وهو لا يعلم انه معقول دهشاً لما ناله من فراق من يحب، والى هذا نظر أبو تمام في قوله [١] :

أظلّه البينَ حتى انه رجلٌ لو مات من شغله بالبين ما عَلِما

على انّ جران العود أتى بما يمكن ويقوم في العقل وأتى ابو تمام بما لا يكون الا أنه إغراق جيد .

وقوله «يرنو اليها ولو كانوا» البيت [نهاية في معناه ، فهو] [٢] قد جمع محاسن كثيرة ، لأنه قد «يرنو اليها ولو كانوا على عَجَل» فجعل العجلان وغير العجلان في النظر اليها بمنزلة واحدة ، ثم قال «بالشِّعب من مكةَ» أي انهم في الحرم ، ومن كان في الحرم كان خاشع القلب غاضّ الطرف ، ثم قال «الشيب» والأشيب قلما يلتفت الى شيء من اللهو من جهاتٍ ، أما احداها فلما مضى من عمره ، والأخرى ان الأشيب أتقى من الشباب ، وأخرى ان الأشيب يستحيي من الغزل أكثر مما يستحيي الشباب ، ثم قال «المثاكيل» والثاكل يشتغل بثكله عن النظر الى الحسن والقبيح لا سيما اذا كان أشيب ثاكلا ، فقد يئس من الولد لكبره وعلوّ سنه ، والأول في هذا المعنى قيس بن الخطيم في قوله :

ديار التي كادت ، ونحن على منىً ، تحُلُّ بنا لولا نجاء الركائبِ

وقد ذكرنا هذا البيت ونظائره في صدر كتابنا هذا ، وبيت جران العَود هذا الذي قدّمنا ذكره أجود من كل ما عُمِل في هذا المعنى وأشدّ إغراقاً [٣] .

---

(١) د ٢٦٨ . أظلّه أي غشيه وفي أ و م «أطلّه» .

(٢) سقط من ب .

(٣) أ و م «إغراباً» .

— ٨ —

[ص ٦٤]

بعض الأعراب :

١ رُجُحٌ فلسن من اللواتي بالضحى لذيولهن على الطريق غبارُ [١]
٢ واذا خرجن يعدن أهلَ مصيبة كان الخطا [إسراعها][٢] الاشبارُ
٣ يأنسن عند بعولهن اذا خلوا واذا هم خرجوا فهن خِفارُ
٤ وكلامهن كأنما مرفوعه بحديثهن اذا التقين سِرارُ

من ههنا أخذ ابو تمام قوله [٣] :

فالمشي همس والنداء اشارة خوفَ انتقامك والحديث سرارُ

(١) تأمل قول صاحب المثل السائر ٢٩٤ في معرض الكلام عن عكس الظاهر (أي نفي الشيء باثباته وهو من مستظرفات علم البيان) : « ولقد مكثت زماناً أطوف على أقوال الشعراء قصداً للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجد إلا بيتاً لامرىء القيس . . . . ولي أنا في هذا بيت من الشعر وهو :

أدنين جلباب الحياء فلن يرى لذيولهن على الطريق غبارُ

وظاهر هذا الكلام ان هؤلاء النساء يمشين هوناً لحيائهن فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد انهن لا يمشين على الطريق أصلاً أي أنهن مخبآت لا يخرجن من بيوتهن » وحسبنا ان نقول ان الخالديين لم يمرّا ما يسمونه التوارد في مثل هذه الأحوال ، وقد قال صاحب المثل السائر نفسه « والذي عندي في السرقات انه متى أورد الآخر شيئاً من ألفاظ الأول في معنى من المعاني ولو لفظة واحدة فان ذلك من أدلّ الدليل على سرقته » . ص ٤٦٨ .

(٢) بياض في م وفي ا « لسراعها » .

(٣) د ١٣٠ والعسكري ٢١/١ والرواية « فالقول همس » الا في المنتحل ٢٧٥ حيث « فالمشي » كما هنا . وقريب منه قول أعشى نهشل د ق ٢٧/١٧ :

ينطقن مخفوض الحديث تهامساً فبلغن ما حاولن غيرَ تنادي

— ٩ —

[ص ٨٠]

قال ذو الرمة [1] :

١ وليل كجلباب العروس ادَّرعتُه بأربعة والشخصُ في العين واحدُ
٢ أحمُّ علافيٌّ [2] وأبيض صارمٌ وأعيَسُ مَهْرِيٌّ وأشعبُ [3] ماجدُ

أخذه البحتري [4] فقال :

١ يا نديميَّ بالسواجير من ودّ بن عمرو [5] ويحتر بن عتودِ
٢ اطلبا ثالثاً سوايَ فاني رابعُ العيس والدُّجى والبيدِ

وما نعلم أنّ البحتري أخذ لمتقدم معنى أو لمحدث الا زاد فيه أو ساواه بكلام عذب مليح الا هذا المعنى فانه لم يلحقه وقصّر عنه ، ولله درُّ ذي الرمة

---

(١) د ١٢٩ والمرتضى ١٣/٣ : جلباب العروس أخفر والعرب تجمع بين الخفرة والسواد ، وجاء في العمدة ٤٥/٢ : « زعم الجاحظ ان قول ذي الرمة أراد به سبوغ، لا لونه وأكثر الناس على خلاف قوله وأمّا أرى أنّ هذا كقول عوف بن عطية ابن الجزع التيمي يصف خيلاً :

وجلّلن دعّا قاع العروس تدني على حاجبيها الخمارا »

اذن فسيرتفع الاشكال اذا تدّبرنا ان الأصل « وليل أدرعته كجلباب العروس » أي كما تدّرع العروس الجلباب ، هذا وقد وجدت انّ الجاحظ بيّن في الحيوان ٢٤٦/٣ ان العرب يصفون الليل بالخفرة !

(٢) أ « غدافي » .

(٣) ب « اشعث » وهي الرواية .

(٤) د ٢٠٥/١ وانظر نهج البلاغة ٣٢١/٢ وجاء في الصناعتين ١٧٦ ان ابا تمام أخذ المعنى من ذي الرمة فقدّر وقال :

البيد والعيس والليل التمام معا ثلاثة أبداً يقرنّ في قرنِ

وبيت البحتري في معناه : اطلبا ثالثا .... الخ أجود من هذا الا انه لم يلحق بيت ذي الرمة » .

(٥) د « ممن » بدل « عمرو » .

فلقد طرّف كلام بيته [الأوّل] [١] وقد جوّد قسمة الثاني ، وقد ذكر قوم ولم يصحّ عندنا ان البحتري ردّ هذا المعنى في قصيدة أولها [٢] :

١ ما لها اولعت بقطع الوداد كلّ يوم تروعني بالبعاد

وان صحّ هذا الشعر للبحتري فانّ معنى ذي الرمة أجود كثيراً ، يقول فيها :

٢ عنى الخضر بي فصيّرني [٣] بَعْـدك عينا على عيار [٤] البلاد

٣ ثاني العيس ثالث الليل والذئب ر نديم النجوم تِرب [٥] السهاد

— ١٠ —

[ص ٩٥ : بمعنى وصف الابتسام]

أعرابيّ [٦] :

١ هلاليّة أو من نمير بن عامر بذي السرح من وادي المياه خيامها

٢ اذا ابتسمت في البيت والبيت مُظلم أضاء دُجى الليل البهيم ابتسامُها

٣ تكشّف برق من حَبيّ تلألأت به سمحة [٧] الايماض غرّ غمامُها

قد أكثر الشعراء قديماً ومحدثاً في ذكر الابتسام وتشبيهه بالبرق ، وأصابوا أيضاً في صفات الثغور وتشبيهها بالاقحوان والاغريض والبرد واللؤلؤ وغير ذلك ،

---

(١) سقط من أ و ب .

(٢) د ١٨٢/١ والبيت الثالث مع آخر لأبي تمام (لم يثبتا في د) في نهج البلاغة ٣٢١/١ .

(٣) د «كلفي الخضر لي فصيرني . . . » .

(٤) د «عباد» .

(٥) د «ربّ» بدل «ترب» .

(٦) الأولان للنابغة الجعدي في المرتضى ١٩٥/١ والرواية هناك :

«عقيلية أو من هلال بن عامر بذي الرمث . . . . الخ

(٧) في الأصول «صحة» وصححت في ب «سمحة» .

ونحن نذكر ههنا من ذلك طرفاً وفي غير هذا الموضع أشياء بمشيئة الله وعونه ،
فمن أحسن ما قيل في الابتسام وأجوده وأملحه قول الشاعر (١) :

أحاذر في الظلماء أن تستشفني عيونُ الغيارى (٢) في وميض المضاحك

هذا البيت أجود ما قيل في هذا المعنى ، وما نعرف مثله حسن كلام وجودة
معنى واحكام بناء . من ذلك قول مسلم (٣) :

تبسمن فاستضحكن طامسة الدجى عن الأفق والظلماء أوجهها طُحْلُ

مثله [أيضاً لحاتم] (٤) :

يضيءُ بها البيت الظليل خَصاصُهُ إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما

ومثله (٥) :

كأنّ ابتسام البرق بيني وبينها اذا لاح من بعض الحديث ابتسامُها

وهذان البيتان ، وان كانا لمتقدمين ، فما يقصر بيت مسلم عنهما ، بل هو
أجود لولا استكراه في لفظه ، وأما البيت الثاني الذي قدّمناه فما لمسلم
ولا لغير مسلم عن أتينا بشعره أو نأتي ، مثلُه ، ولآخر في هذا المعنى (٦) :

يستبرق الأفُق الغربيُّ ما ابتسمت برقَ السيوف سوى (٧) أغمادها القُضُبِ

(١) النويري ٢/٦٧ والراغب ٢/١٣٦ .
(٢) ا « العذارى » وفي النويري « العبارى » .
(٣) د ق ٤٥/١٠ والراغب ٢/١٣٦ من غير عزو .
(٤) زيادة في م والبيت لحاتم في د ص ٢٥ والعسكري ١/٢٤٣ وغ ٨/٢٠٥
ومختارات ابن الشجري ١١ .
(٥) البيت باختلاف في الرواية لسهري في اللآلي ١٧٨ والنويري ٢/٦٧
والبصرية ١٧٦ وفي المصدر الأخير نفسه ١٧٣ لأبي الميثل [تصحيف « أبي الذيل »
كنية السهري ؟ – انظر غ ٢١/٥١] وقد ثبت في د حاتم الطائي ص ٥٣ من
قواعد الشعر لثعلب وهو من غير عزو في خ ٣/٤٨٣ والراغب ٢/١٣٦ .
(٦) البيت باختلاف في الرواية في اللسان (برق) .
(٧) في الأصول « سرى » والتصحيح عن اللسان .

ومثله لجميل :

١ وتبسم عن لمع البروق منصَّبٍ أغرّ الذُّرى يُزجي[1] صَبِيراً[2] منضَّدا

٢ كشمس تجلّت عن فُروج غَمامةٍ وقد وافقت طَلْقًا[3] من النجم أسعدا

وللبحتري[4] :

فيرجع الليل مبيضًا اذا ضحكت عن أبيضٍ خَصِرٍ[5] السمطين وضّاحِ

ومثله لذي الرمّة[6] :

إذا ما التقَيْن من ثلاثٍ وأربعٍ تَبَسَّمْنَ إيماضَ الغَمام المكلَّلِ

وقال [آخر][7] :

إذا ما ابتَسَمْنَ حسبتَ البروقَ بدَتْ لك في الليلة المُظلمَه

قد ذكرنا هنا طرفًا مما ذكر به الابتسام ، ونحن نأتي بما بقي في مواضع أخر من كتابنا هذا .

— ١١ —

[ص ١٢٢ : معنى مشي النساء والرجال]

وقال ابن مقبل[8] :

١ يَهْزُزْنَ للمشي أعطافًا مُنَعَّمَةً هزّ الرياح ضُحىً أغصانَ يَبرِينا

---

(١) ا و ب « رحى » م « مدحى » .

(٢) ا و م « صبرا » ب « درا » والصبير : السحاب الأبيض .

(٣) ا و ب « طلما » وهو تصحيف ، انظر قول ذي الرمة « لها سنّة كالشمس في يوم طَلْقَة » اللسان (طلق) .

(٤) د ١/١١٣ والعسكري ١/٢٣٨ والنويري ٢/٦٦ .

(٥) في العسكري : « خضل » لأن قلة الريق تورث تغير الفم .

(٦) د ٥٠٧ .

(٧) زيادة في م .

(٨) في م « آخر » بدل « ابن مقبل » وهو تميم بن أبيّ بن مقبل والبيتان من قصيدته في الجمهرة ١٦٠ – ١٦٣ مع أن الأول سقط منها هناك وهو موجود في اللآلي ١/٢٢٩ والشعراء ٣٧٨ واللسان (ذرق) والنويري ٢/١٠٧ .

٣ يمشين مثل [1] النقا مالت جوانبه ينهال [2] حيناً وينهاه الثرى [3] حينا

هذا من جيد ما قيل في المشي وقد ذكرنا قطعة من هذا النوع فيما تقدم، ونحن نذكر ههنا أشياء أخر لم نذكرها قبل هذا الوقت، بل نذكر أموراً شتى من أمور مشي النساء والرجال على ضروب مختلفة مثل مشي السكران وغيره، اذ كان قصدنا ان نعدد في هذا الكتاب قطعة في كل نوع من انواع الشعر، فمن أحسن ما نعرف، وهو أحق بالتقديم لجودة ألفاظه ورقة معانيه واحكام بنيته، أبيات لمسلم بن الوليد يذكر فيها مشي امرأة، ولا نعرف في هذا المعنى أحسن من هذه الأبيات، وهي [4] :

١ مريضة أثناء التهادي كأنما تخاف على أحشائها أن تقطما

٢ تسيب انسياب الأيم أخصره الندى فرفع [5] من أعطافه ما ترنما

٣ تأملتها مغترة [6] وكأنما رأيت بها من سنة البدر مطلعا

٤ اذا ما ملأت العين منها ملأتها من الدمع حتى تنزف الدمع أجمعا

لولا انا شرطنا ان لا نقدم في هذا الكتاب الا أشعار المتقدمين ثم نأتي بعد ذلك بالنظائر للمحدثين والمتقدمين، لكان سبيلنا ان نجعل هذه الأبيات

(١) كذا في ا و ب كما في الجمهرة، وفي م « ميل » والرواية « هيل ».

(٢) ب و م « ينهاك ».

(٣) كذا في ب وهي الرواية المشهورة (انظر أيضاً العمدة ٢/٢٠٧) وفي م « المرى » ا « المدى » ويمكن أن تكون « الندى » كما في البصرية ١٤٧ وبعدهما :

من رمل عرنان أو من رمل أسنمة جعد الثرى بات في الأمطار مدجونا

(٤) لا توجد الأبيات في د مسلم وقد ورد الأولان والأخيران قطعتين متفرقتين غير منسوبتين في الحماسة ٥٦٥ و ٥٦٦ والأولان في الراغب ٢/١٣٩ للسعدي والأربعة لفس رواية النص في البصرية ١٩٥ .

(٥) ا « فيرفع ».

(٦) رواية الحماسة « مقترة » أي على غرة منها وفي البصرية « مفترة » وصححت « مقبرة ».

الامام في هذا المعنى لجودة ألفاظها وصحة معانيها وانها واسطة القلادة في هذا المعنى ، والمعاني في صفة المشي كثيرة التصرف ، فمن الشعراء من شبه المشي بتحريك الأغصان ، ومنهم من ذكر ذلك بانسياب الحية ، ومنهم من وصفه بمرور السحاب ، الى أشياء من التشبيهات [1] كثيرة ، ونحن نذكر من كل هذه الصفات والتشبيهات ما يعنّ لنا بحول الله وقوته .

العَرْجي [2] :

يمشي كما حرّكت ريحٌ يمانيةٌ غُصْناً من البان [رطباً] [3] طاتَه الرِهمُ

والى هنا نظر البحتري في قوله [4] :

تهتز مثل اهتزاز الغصن أتعبَه [5] مرور غيثٍ من الوسمي سحّاحِ [6]

وقال ذو الرمّة [7] :

مشين كما اهتزّت رماحٌ تسفّهت [8] أعاليَها مرُّ الرياحِ النواعمِ

آخر :

تأوّدنَ لما أن تهادَين نحونا كما حرّكت ريحُ العشيّاتِ خروعا

---

(١) ا و م « الشبهات » .

(٢) بهامش ا « هو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان سمي العرجي لأنه كان يسكن عَرْج الطائف » والبيت من كلمة له في غ ٣٨٨/١ والرواية هناك « أمشي » (بدل « يمشي ») يصف الشاعر مشيه هو الى الحُور اللائي بعثن اليه ان ايتنا ، وقد عهدنا مثل هذا التصرف عن الخالديين .

(٣) سقط من ا و ب .

(٤) د ١١٣/١ .

(٥) ب « اينعه » .

(٦) في ا « هتان » مع اثبات « سحاح » بالهامش .

(٧) د ٦١٦ وقد وردت رواية النص على انها هي الصحيحة في الكامل ٣١٣ الا ان هناك « النواعم » بدل « النواعم » .

(٨) كذا و « تسفّدت » أيضاً فعل متعد انظر اللسان ٣٩٣/١٧ .

آخر [١] :

يمشين مشي قطا البطاح تأوّدا قبّ البطون رواجح الأكفال

وأول من شبّه مشي المرأة بمشي السكران امرؤ القيس بقوله [٢] :

وإذ هي تمشي كمشي النّزيف يصرعه بالكثيب البهرْ

وشبه المنخّل اليشكري بمشي القطاة فقال [٣] :

ودفعتها فتدافعت مشي القطاة الى الغدير

وقال ابن ميّادة [٤] :

١ إذ الطوالُ سدّون المشيَ في خَطَل قامت تَزَيّكُ [٥] قواماً غيرَ ذي أوَدِ

(١) نسب البيت الى « الكميت بن زيد في رواية اليزيدي » في المرزباني ٣٤٨ كذا في غ ١٩/١٥ والحيوان ١١٧/٥ وهو ضمن كلمة لـ « الكميت بن معروف الأسدي » في البصرية ١٤٧ وبعده :

واذا اردن زيارة فكأنما ينقلن ارجلهنّ من اوحال

[وفي اللباب ٢٧١ من غير عزو :

وكأنهن اذا أردن زيارة بُزل الجمال دكلن بالأحمال]

والبيت من غير عزو في غ ٢٢٧/٨ والنويري ١١٤/٢ .

(٢) العقد الثمين ق ١٠/١٩ وانظر اللباب ٣٧ والراغب ١٣٩/٣ - وتبعه كثير بقوله ، د ١٩٦/١ :

اذا ما مشت بين البيوت تخزّلت ومالت كما مال النزيفُ المُرَنّحُ

(٣) من الأصمعية ٣٢ وانظر الحماسة ٢٦٤ .

(٤) البيتان له في الحيوان ٥٧٦/٥ .

(٥) كذا في ب « تزيك » من الزوك : مشي الغراب وهو الخطو المتقارب مع تحرك جسد الانسان الماشي تبخترا (انظر اللسان) وهذا المعنى هو مقصود الشاعر ، قارن قول رُوبة : « تزيك جسا في الثياب عبهرا » (مجموع الأراجيز ٢٧/٩) ، وفي ا و م « تزيل » وهو صحيح أيضاً قريب من معنى الزوك بل ربما وقع اللبس بين المادتين (انظر اللسان « زول ») ، أما « تُريك » كما في الحيوان فأراه تصحيفاً يفقد البيت جماله ويفوت على الشاعر غرضه .

٢ تمشي كُكُدرية[1] في الجوف واردة[2] تهدى سروب قطا يسرين للثمد[3]

آخر [وهو جران العَود] [4] :

فلما رأين الصبحَ بادرن ضوءه رسيم قطا البطحاء أوهنّ اقطَفُ

آخر [5] :

وكأنهنّ اذا أردن خُطا يقلعن ارجلهنّ من وحَل

البحتري [6] :

لماشين بذي الأراك تشابهَتْ أعطافُ قضبان به وقدود

آخر [7] :

وبيض تَطَلّى بالعبير كأنما يطأن، ولو أعنقْن في جَدَدٍ، وحْلا

هذا بيت جيد في هذا المعنى لأنه لم يرض ان يجعلها تمشي في الجَدَد ، وهو السهل المستوي من الأرض ، حتى قال : كأنها تطأ الوحل ، وان هي أسرعت في مشيها .

(١) « كمشي كدرية » .

(٢) كذا في ب « في الجوف واردة » وفي ا و م « في الجوّ واردة » كما في معظم نسخ الحيوان وفي نسخة منه « في الجوّ فاردة » لعلّ النساخ خلطوا بين « ... ف » و « وا ... » .

(٣) في الحيوان « يشربن بالثمد » وروايتنا أحسن لأن الشاعر متّقٍ بالسير الى الماء لا بالشرب .

(٤) زيادة في ب والبيت له في د .

(٥) البيت من كلمة لصالح بن عبد القدوس في الوحشيات (نسخة الدار رقم ٢٢٩٧ أدب) ١٦٨ وهو لابن عائشة في النويري ٢/١٠٦ وللموسوي في الراغب ٢/١٣٩ ، وما أقرب هذا البيت من قول الكميت الذي نقلناه آنفاً :

واذا أردن زيارة فكأنما ينقلن أرجلهن من أوحال

(٦) د ١/١٢٧ والراغب ٢/١٣٩ .

(٧) الراغب ٢/١٣٩ ومثله قول معن بن أوس ، د ص ١٩ :

أوانس يركضن المروط كأنها يطأن اذا استوسَقْن في جَدَد وَحْلا

آخر :

خرجت تأطّر في الثياب كأنها أيْم يسيب على كثيبٍ أهيل

وصفها [بالتثني والمتثنية لا تكون الا][1] بطيئة المشي ، والتأطّر : التثني ، يقال أطرتُ الغصن أي ثنيته ، قال كثير[2] :

تأطّرن حتى قلت : لَسْنَ[3] بوارحاً وذُبْنَ كما ذاب السديف[4] المُسَرْهَدُ

آخر[5] :

يزجين بكراً يُنْهِيج[6] الرّيط مشيُها كما مارَ ثعبانُ الغضا المتدافعُ

فأما اول من شبه المشي بمشي السكران للتثني والانعطاف فامرؤ القيس في قوله[7] :

واذ هي تمشي كمشي النزيفِ يصرعه بالكثيب البُهُرْ

أخذه مضرس الفقعسيّ فقال :

تَساكَرُ سلمى من سجية مشيها وما سكر سلمى من طلاء ولا خَمْرِ

وقال الشمّاخ[8] :

تخامَصُ عن بَرْد الوشاح اذا مشتْ تخامُصَ حافي الخيل في الأمعز الوجي

(١) ب « بالتأني في المشية أي تكون » .

(٢) د ١/١١٥ ولسبة البيت الى عمر بن ابي ربيعة (د ق ٣٧٠) أكثر واقوى . هذا وجاء في اللسان (أطر) : تأطّرت المرأة أي لزمت بيتها . وقال سحيم ، د ب/٤٦ :

تأطّرن حتى قلت لسن بوارحاً ولا لاحقات الحي الا سواريا

(٣) م « ليس » .

(٤) ا و ب « النزيف » .

(٥) من كلمة لمحمد بن عبد الله السلاماني في نقد الشعر ٩ .

(٦) كذا في ب وفي ا « يبيج » وفي نقد الشعر « يبهر » .

(٧) أتى عمر بن أبي ربيعة مثله فقال :

تمشي الهُوينا اذا مشت فُضُلاً مشي النزيف المخمور في الصُعُد

د ص ٢٣٢ .

(٨) د ٧ والشعراء ١٧٨ واللسان (خمص) .

أخذه جرير فقال [١] :

اذا مامشت لم تبتهر وتأودت كما انآد من خيل وجي غير منعل

وشبه عبد بني الحسحاس مشي النساء بتدافع السيل فقال [٢] :

تهادي سيل جاء من رأس تلعة اذا ماعلا صمداً تفرع واديا

اخذه حميد بن ثور فقال :

فجاءت تهادى مشية مرجحنة تهادي سيل قد مضى وتصرما

وقال مسلم في صفة مشي السكران [٣] :

١ دارت عليه فزادت في شمائله لين القضيب ولحظ الشادن القرد

٢ مشتته لما تمشت في مفاصله [٤] لعب الرياح بغصن البانة الخضد

اخذه خالد الكاتب فقال :

وولى وفعل السكر في حركاته [٥] كفعل نسيم الريح في الغصن الغض

فأما وصف مشية السكران على غير هذا المذهب [٦] فمثل قول الشاعر :

١ اسقني بالكبير ، ياسعد ، حتى أحسب الناس كلهم لي عبيدا

٢ وأراني ، اذا مشيت ، كأني أعدل الارض خشية ان تميدا

اخذه الآخر فقال :

وما زلت أشرب حتى اعتمدت على الأرض أعدلها أن تميلا

---

(١) د ٦٢/٢ .

(٢) د ب/١٥ .

(٣) لا يوجد البيتان في د ولعلها سقطا من القصيدة ٨ .

(٤) ا « تفاصله » .

(٥) ا « لحظاته » .

(٦) يذكر لمسلم ايضاً قوله :

اذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشت به مشي المقيد في الوحل

انظر العمدة ٤٧/٢ (د ق ٣٠/٣) .

ومن جيد ما قيل في هذا المعنى قول الآخر (١)

١ سقاني هذيلٌ من شراب كأنه ... دمُ الجوف يستدعي الحليمَ الى الجَهْلِ
٢ فما زلتُ أُسقَى شربة بعد شربة ... لعمرك حتى رُحتُ متَّهم العَقْلِ
٣ خرجتُ أجوبُ الأرضَ أركُلُ متنَها ... اذا هي مالت بي فيعدلها ركْلي
٤ يقدمني طوراً أمامي قاصداً ... ويركض مشي القهقرى مرةً رِجْلي
٥ ترى عيني الحيطانَ حولي كأنها ... تدور، ولو كلَّمتني قلتَ: ذو خبلِ (٢)
٦ فلا العين تهديني، وبالرِجْل ما بها (٣) ... فلا يًا بلأيٍ ما بلغت إلى أهلي

آخر:

وذي غَيَد (٤) لم يدر ما الخمر قبلها ... سقيناه حتى صار قيداً له السُكْرُ

قد ذكرنا شيئاً من ضروب المثي، وانما ذكرنا من كل شيء يسيراً كما شرطنا، ولو أردنا أن نأتي بما قيل في جميع الفنون بأسره لطال ذلك واتسع ولكان في شعر البحتري وحده ما يقع في كتاب مفرد، ولا بدَّ بعد هذا أن نذكر منه شيئاً آخر ان شاء الله .

(القاهرة) الدكتور محمد يوسف



(١) الأبيات بحذف الرابع واضافة بيتين آخرين في المرزباني ٢٨٢ لعلي بن أبي كثير مولى بني أسد وقيل بل مولى بني تيم اللات بن ثعلبة ، شاعر مكثر صاحب شراب وفتوة . . . . استكتبه أبو بجير الأسدي عند تقلده الأهواز للمنصور . . . . . » والثلاثة الأول من ستة بدون عزو في نوادر القالي ٢٢٠ .:
(٢) ا و م « سحل » .
(٣) ا و م « وبالرجل تاثها » ب « ولا الرجل تاثها » والتصحيح عن المرزباني .
(٤) كذا في ب « ذي غيد » بدله في ا « رعه » م « رعية » وأفضل « ذي رعدةٍ » .

مقدمة المرزوقي

في شرحه لحماسة أبي تمام

« ... بيّن فيها الفرق بين النثر والنظم ، والمكاثر والمُغالِق ، وبين اختيار أبي تمام شعر غيره واختياره شعر نفسه ، وأسباب ذلك ... »

وقفتُ على مقدمة المرزوقي هذه في شرحه لحماسة أبي تمام ، وهي مقدمة نقدية بارعة قلّ أن نظفر في الخزانة العربية ، في باب النقد ، بمثل دقتها وتحديدها ، ولعلّها وحدها هي التي عالجت عمود الشعر ووضعت معاييره . وقد آثرتُ تحقيقها ونشرها واعتمدت النسخ الأربع[1] التالية :

١ — نسخة دار الكتب المصرية

يصف فهرس الدار هذه النسخة (٣٠٦ أدب) فيقول : « بها ترقيع وتقطيع وتلويث وأكل أرضة » وهي في ٢٤٧ ورقة (قياس ٢٨ × ١٩ والمكتوب منها ٢٣,٥ × ١٤) تشمل نصف ديوان الحماسة ، وتنقطع عند أبيات من باب المراثي (الأبيات الدالية . كأني وصيفيّا خليليّ ... ديوان الحماسة مطبعة التوفيق ١٣٢٢ هـ جـ ١ ص ٢٦٧) .

---

(١) يشير الأستاذ بروكلمان الى نسخ اخرى كثيرة من شرح ديوان الحماسة موزعة بين برلين ولندن وليدن والآستانة والموصل وطهران . وقد كنتُ ارجو أن يتاح لي الاطلاع عليها جميعاً ، ولكني وجدتني مضطراً أن أقتصر على ما اقتصرتُ عليه .

والمقدمة منها تستغرق عشر صفحات من ظهر الورقة الثالثة والورقات التي تليها حتى بعض وجه الثامنة ، وهي مكتوبة بخطين وورقين مختلفين ، قديم وحديث ، ويبدو أنه كان من فعل الأيام بها أن ضاع بعضها الأول فعمد أحد النساخ أو المتملكين إلى تعويض هذا الذي ضاع فكتب صفحتين ونصف الصفحة بخط وورق يخالفان خط النسخة الأصلية وورقها ، حتى اذا بلغ منقطع النص جرى قلمه ببعض الكلمات (فاذا كان الأمر على هذا فالواجب أن يتبيَّن ما هو) توثيقاً للصلة بين الجزئين : الجزء الباقي والجزء المفقود المعوَّض ، ثم ترك بقية الصفحة فارغة[1] .

وتحديد تاريخ هذه النسخة عسير ، لأنه ليس في صفحاتها الأولى ولا الأخيرة ما يساعد على ذلك من ذكر تاريخ النسخ مثلاً أو اسم الناسخ أو اسم متملك معروف ، بل انه ليس في صفحاتها الأخيرة ما يدلّ على انتهاء الجزء ، فاذا كان هنالك مكان للترجيح فان قلم النسخة وورقها يرجحان أنهما كُتبت في زمن لا يرقى الى القرن السابع ولكنه يدور حوله .

والنسخة بعدُ ، حسنة الخط ، مشكولة ، في حواشيها توضيح بعض الكلمات التي تعسر قراءتها ، باعادة كتابتها ، ولعلّها أن تكون في جزئها الثاني القديم أفضل النسخ وأدناها الى الصواب ، ولكن الذي لا شك فيه أنها أقدمها .

وقد رمزتُ الى هذه النسخة عند التحقيق بالحرف (ا) .

٢ — نسخة جامعة فؤاد الأول

ذكر فهرس خزانة الجامعة هذه النسخة تحت رقم ٢٢٩٦٤ دون أن يصفها بشيء . وهي نسخة فوتوغرافية مأخوذة عن احدى خزائن الآستانة ، في ٢٥١ لوحة ، تتضمن الجزء الأول الذي ينتهي بشرح أبيات مسجاح بن سباع (الأبيات الميمية : وأيّ فتى ودعت ... الحماسة مطبعة التوفيق ١٣٢٢ هـ ج ١.

---

(١) انظر هنا ص ٨٢ سطر ٣ .

ص ٢٩٠ دون ذكر لصاحب الأبيات) ، ثم تنقطع النسخة عند أول الجزء الثاني فتذكر الأبيات الثلاثة الأولى فقط من أبيات حراز بن عمرو يرثي زيد الفوارس .

والمقدمة منها تنتهي في اللوحة السادسة ، وعلى النسخة خاتم وقف والدة السلطان عبد الحميد ، غير أنه ليس في صفحاتها كذلك ما يسهل تحديد تاريخها والمرجح أنها كتبت حوالي القرن الثامن .

وهي مكتوبة بخط عادي جميل ومشكولة شكلاً كاملاً لا يخلو أحياناً من خطأ ، وميزتها أنها نسخة متقنة ، وان المقدمة والكتاب ، كليهما ، من خط واحد متسق ، على حين كان جزء كبير من المقدمة في النسخة السابقة مكتوباً بخط حديث . ويبدو أثر ذلك في التصحيحات التي أفدتها منها وبخاصة في القسم الأول من المقدمة .

وقد رمزت الى هذه النسخة عند المعارضة بالحرف (ب) .

٣ — نسخة الأستاذ الشنقيطي (دار الكتب المصرية) (١)

تقتصر هذه النسخة على مقدمة المرزوقي ، وقد جاءت في فهرس الدار ضمن مجموع رقمه (٦٤ ش نحو) وعدد صفحاته ٢٩٢ (قياس ٢٦ × ١٧،٥ والمكتوب منها ١٨،٥ × ١٢) مضمومة الى رسالة « شرح الأبيات المشكلة الاعراب لأبي نصر النحوي » .

ويبدو أن الأستاذ الشنقيطي رحمه الله ، استنسخها من احدى خزائن الآستانة ، ثم ألحقها أو ألحقت عند التجليد بالكتاب المذكور .

---

(١) أنا مدين بالاطلاع على هذه النسخة إلى الأستاذ الصديق محمد بن تاويت الطنجي ، وفي هذه الاشارة اشادة بفضله .

وهي تبدأ بالصفحة ٢٧٣ من هذا المجموع وتنتهي مع نهايته ، وفي الأسطر الأولى كتب الشنقيطي رحمه الله تعريفه بهذه الرسالة وهو التعريف الذي ساقه أصحاب فهرس الدار .

وفي ختامها أن الكتاب تمّ في الواحد والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة (٦٢٣) وأنه كمل رسم خط هذه النسخة في اليوم السابع عشر من ذي القعدة الذي هو من شهور القرن الرابع عشر من هجرته صلى الله عليه وسلم .

والمجموع كما ترى من تاريخه حديث ، ولكن ميزته تأتي من هذه النواحي الثلاث : من ناحية الناسخ فقد كان متقنًا دقيقًا ، ومن ناحية الأصل إذ يرتد الى أوائل القرن السابع ، ومن ناحية الأستاذ الشنقيطي – وتلك أهم النواحي – فقد راجع النسخة وقرأها وصحح بعض كلماتها .

وقد أشرت الى هذه النسخة عند المقابلة بالحرف (ش) .

٤ – نسخة خزانة طلعت

ذُكرت هذه النسخة في فهرس خزانة طلعت (احدى الخزائن الخاصة في دار الكتب) تحت رقم ٤٩٦٣ وهي مجلد واحد في ٣٤٨ ورقة (قياسها ٢٣و٥ × ١٥و٥ والمكتوب منها ١٤ × ١٠و٥) تستغرق المقدمة منها خمس أوراق (من الورقة الخامسة) يبدأ بعدها الشرح ويستمر في جزئين في خط عادي غير مشكول ، إلا في الأقل ، وبعض الكراريس مختلف خطها عن سائر أخواتها ، وعلى هامش بعض الصفحات تعليقات تكثر وتقل ، وهي بخط أحدث من خط النسخة نفسها ، وقد ذكر ناسخها أن فراغه منها كان في شعبان من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة (٧٣٣) .

وقد أشرت الى هذه النسخة بالحرف (ط) .

***

وتلخيص النظر في هذه النسخ من حيث قيمتها وتاريخها ينتهي بنا الى أنَّ نسخة دار الكتب أقدم هذه النسخ وأقربها الى الضبط لولا أنَّ جزءاً من مقدمتها حديث ـ ونسخة جامعة فؤاد الأول متأخرة عنها في الزمن ولكنها تفوقها في الضبط ـ ونسخة الشنقيطي أقرب الأربع الى الضبط لولا حداثة خطّها ولولا أنا لا نعرف ما صحّح الشنقيطي مما كان صحيحاً في الأصل ـ ونسخة خزانة طلعت أكمل النسخ ولكنها أكثرها خطأً رغم الهوامش التي حلاّها بها صاحبها ورغم الاشارات المبثوثة في أطرافها دالةً على مراجعتها ٠

***

وقد تحرّيتُ الضبط ما استطعت في نشر هذه المقدمة الطيبة ، ولكني لم أثبت هذه الوجوه الهينة اليسيرة من الخلاف التي ترجع الى طبيعة الناسخ وعاداته التي درج عليها من مثل تخفيف الهمزة أو تحقيقها ، واهمال الحروف أو اعجامها ، وتأنيث الضمائر أو تذكيرها حين يكون ذلك جائزاً ؛ وإنما قصدتُ إلى ابراز النص واضحاً نيّراً ، وأرجو أن أكون قد وُفقت ٠ ومن الله العون٠

النص [١]

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله رب العالمين (٢) خالق الانسان متميّزاً بما علّمه من التبيين (٣) والبيان ، وصلى الله على أفضل من صدع بأمره وزجره داعياً (٤) وناهياً ، وعلى الطاهرين من آله وسلم .

وبعد فانك جاذبتني (*) ـ أطال الله بقاءك (٥) في أشمل سعادة وأكمل سلامة ـ ـ لمّا وجدتني (٦) أقصر ما استفضله من وقتي (٧) واستخلصه من وكدي على عمل شرح للاختيار (٨) المنسوب الى ابي تمام حبيب بن أوس الطائي المعروف بكتاب الحماسة ـ أمْرَ الشعر (٩) وفنونه ، وما نال (١٠) الشعراء في الجاهلية وما بعدها وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به إذ كان الله (١١) عز وجل قد أقامه للعرب مقام (١٢) الكتب لغيرها من الأمم فهو مُستودَع آدابها ومُستحفَظ أنسابها وديوان حِجاجها (١٣) يوم (١٤) الخصام ، ثم سألتني

(١) في (ط) وبه نستعين ؛

(٢) لم تذكر « رب العالمين » في (ش) و (ط) و (ب) .

(٣) (ش ، ط) التبين . (٤) في (ا) وداعياً .

(*) النسخ جميعاً على أنها (جاريتني) والوجه في هذا التصحيح للأستاذ محمد احمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة فاروق ، يرى في ذلك اتساق الكلمة مع قول المؤلف بعد صفحات (انظر ص ٨٢ سطر ٤) آمناً من الجاذبين والمدافعين .

(٥) في (ا ، ب) بقاك ، على التسهيل . (٦) في (ب ، ط ، ش) رأيتني .

(٧) في (ط) ما استفضله من دقتي واستخلصه من دقتي واستحلصه من فكرتي على عمل . (٨) الاختيار في (ط) .

(٩) في (ط) في أمر الشعر وفي (ا) أمر بالشعر .

(١٠) في (ا) نال . (١١) في (ش) تعالى عزّ وجلّ .

(١٢) في (ط) كالكتب . (١٣) في (ا) حجابها .

(١٤) في (ب) و (ط) عند .

عن شرائط الاختيار فيه وعما يتميز به النظم عن النثر وما يحمد او يذم من الغلو فيه أو القصد ، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن وأركانها محروسة من الوهي (١) اذ كان لا يحكم للشاعر أو (٢) عليه ، بالاساءة أو بالاحسان ، إلا بالفحص عنها وتأمل مآخذه (٣) منها ومدى شأوه فيها وتمييز المصنوع مما يحوكه من (٤) المطبوع والأتي المستسهل من الأبي المستنكر (٥) .. وقضيت (٦) العجب كيف وقع الاجماع من النقاد على أنه لم يتفق (٧) في اختيار المقطعات أنق مما جمعه ولا في اختيار المقصدات أوفى مما دونه المفضل ونقده ، وقلت إن أبا تمام معروف المذهب فيما يقرضه مألوف المسلك لما ينظمه (٨) نازع في الابداع الى كل غاية ، حامل في الاستعارات كل مشقة ، متوصل الى الظفر بمطلوبه من الصنعة أين اعتسف وبماذا عثر ، متغلغل الى توعير اللفظ وتغميض المعنى أنّى تأتى له وقدر ، وهو عادل فيما انتخبه في هذا المجموع عن سلوك معاطف ميدانه ، ومرتض ما لم يكن فيما يصوغه من أمره وشانه ، فقد فليته (٩) فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوب إلا اليسير . ومعلوم أن طبع كل امرئ ، اذا ملك زمام الاختيار ، يجذبه الى ما يستلذه ويهواه ويصرفه عما ينفر منه فلا يرضاه .

---

(١) في (ب) الوني . (٢) في (ا) وعليه .

(٣) في (ب ، ش) مأخذه .

(٤) أول الصفحة الثانية من (ش) على إعتبار ان الصفحة الأولى أول المقدمة (البسملة) .

(٥) في (ا ، ط) المستكره . (٦) في (ط) وقضيه .

(٧) في (ا) يتفق .

(٨) في (ب ، ش ، ط) هذه الرواية وفي (ا) لما ينظمه فلما ينظمه . ولعله أراد فيما ينظمه وهي أقرب الى صحة العبارة .

(٩) في هامش (ط) التفسير اللغوي التالي : فليت الشعر اذا تدبرته واستخرجت معانيه وغريبه .

وزعمتَ بعد ذلك أجمع أنك (١) مع طول مجالستك لجهابذة الشعر والعلماء بمعانيه والمبرزين (٢) في انتقاده لم تقف من جهتهم على حدٍّ يؤديك (٣) الى المعرفة بجيده ومتوسطه ورديئه (٤) حتى تجرد الشهادة في شيء منه وتبتّ الحكم (٥) عليه أو له ، آمناً من المجاذبين والمدافعين ، بل تعتقد أن كثيراً مما يستجيزه زيد يجوز أن لا يطابقه عليه عمرو وانه قد يُستحسن البيتُ ويُثنى عليه ثم يستهجن نظيره في الشبه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفة (٦) فيعرض عنه اذ كان ذلك موقوفاً (٧) على استحلاء المستحلي واجتواء المجتوي (٨) وأنه كما يرزق الواحد في مجالس الكبار من الاصغاء اليه والاقبال عليه ما (٩) يحرم صنوه وشبيهه (١٠) مع أنه لا فضيلة لذلك (١١) ولا نقيصة لهذا إلا ما فاز (١٢) به من الجدّ عند الاصطفاء والقَسْم .

وقلتَ أيضاً إني أتمنى أن أعرف السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب

(١) سقطت (أنك) في (ا) .

(٢) برّزت الشيء تبريزاً أي أظهرته وبينته ، وبرّز الرجل أيضاً فاق على أصحابه وكذلك الفرس اذا سبق وامرأة برزة أي جليلة تبرز وتجلس للناس . وقد جاء هذا الشرح في هامش (ط) كثير النقص شديد الاضطراب فأثبته مستفيداً من الصحاح .

(٣) النسخ على تسهيل الهمزة .

(٤) النسخ على تسهيل الهمزة (رديّه) إلا (ش) .

(٥) كذا في (ا ، ط) و تبت لتحكم في (ب ، ش) .

(٦) مطلع الصفحة الثانية في نسخة (ا) على اعتبار الصفحة الأولى أول المقدمة (البسملة) .

(٧) » » (ب) » » » » » » » »

(٨) في (ط ، ا) احتواء المحتوي بالحاء المهملة .

(٩) في (ط) مما .

(١٠) في (ا) وشبهه وفي (ط) تبدو الكلمة بين بين .

(١١) في (ا) لذاك وفي (ط) في ذاك. (١٢) في (ط) ما كان .

البلغاء والعذر (١) في قلة المترسلين وكثرة المفلقين (٢) والعلة في نباهة (٣) أولئك (٤) وخمول هؤلاء ولماذا كان أكثر المترسلين لا يُفْلِقون في قرض الشعر، وأكثر الشعراء لا يبرعون في انشاء الكتب حتى خُصّ بالذكر عدد يسير منهم مثل ابراهيم بن العباس الصولي وابي (٥) علي البصير و(٦) العتابي في جمعهم بين الفنين واعترازهم (٧) ركاب الظهرين، هذا ونظام البلاغة يتساوى في أكثره (٨) المنظوم والمنثور (٩).

وأنا إن شاء الله وبه الحول والقوة أورد في كل فصل من هذه الفصول ما يحتمله هذا الموضع ويمكن الاكتفاء به اذ (١٠) كان لتقصي (١٠) المقال فيه موضع آخر من غير أن أنصب، لما (١١) تصوره (١٢) النعوت، الأمثلة تفادياً (١٣)

---

(١) سقطت هذه الكلمة (والعذر) في (ط) لأن الأسطر الاخيرة من الصفحة الأولى كتبت بخط حديث، لاهتراء فيها. والصفحة الثانية تبدأ بكلمة (في قلة).

(٢) في هامش (ط) الفِلْق بالكسر الداهية والامر العجب، تقول منه أفلق الرجل وافتلق وشاعر مُفْلِق قد جاء بالفلق.

(٣) في (ط) والنلق ونباهة وهو تحريف بيّن.

(٤) على التسهيل (اوليك) في (ط) والتسهيل والهمز في (ب) (أوليك).

(٥) في (ا) وأبو، على سقوط كلمة مثل: عدد يسير، منهم ابراهيم وابو علي.

(٦) سقطت الواو في (ط). (٧) الكلمة كلها مهملة في (ط). وفي المعاجم اغترز الراكب رجله في الغرز (ركاب الرحل) جعلها فيه.

(٨) في (ا) اكثرهم. (٩) في (ط) المنثور والمنظوم.

(١٠) في (ط) إذا كان لتقفي. (١١) في (ط) بما.

(١٢) سقطت الهاء في (ط). وجاء بعدها في أول سطر جديد (والنعوت) بزيادة الواو. ولا شك في أن الواو المزادة هنا في اول السطر هي الهاء الساقطة من آخر السطر السابق مجتلبة هنا على أنها واو، خطأ.

(١٣) في هامش (ط): تفادى فلان من كذا اذا تحاماه وانزوى عنه (صحاح). وقد جاء هذا الشرح اللغوي مضطرباً في كتابته فصححته بمقابلته على الصحاح.

من الاطالة لأنه (١) اذا وضح السبيل (٢) وقعت الهداية بأيسر دليل ، والله عز وجل (٣) ، الموفق للصواب وهو (٤) حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

اعلم ان مذاهب نقاد الكلام (٥) في شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوي المعارف بأعطافها وارادفها مفترقة ، وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها (٦) وتنازح (٧) أقطار مظانها ومعالمها . ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة (٨) في المنثور أنسع مجال الطبع فيها ومسرحه ، وتشعب مترّاد الفكر فيها (٩) و(١٠) مطرحه .

فمن البلغاء من يقول (١١) : نقر الألفاظ وغررها كجواهر العقود ودررها فاذا وُسِم أغفالها (*) بتحسين (١٢) نظومها وحُلّي أعطالها بتركيب (١٣) شذورها فراق مسموعها ومضبوطها وزان مفهومها ومحفوظها وجاء ما حرّر منها (١٤) مصفّى بن كدر العي (١٥) والخطل ، مقوماً (١٦) من أود اللحن والخطأ ، سالماً من جنف (١٧) التأليف ، موزوناً بميزان الصواب ، يموج في حواشيه رونق الصفاء لفظاً

(١) في (ط) ولأنه .
(٢) في (ش) السبل وهو لا يساعد على سجع العبارة .
(٣) لم ترد (عز وجل) في (ش) . (٤) أول الصفحة الرابعة في (ش) .
(٥) في (ط) مذاهب النقاد في شرائط .
(٦) في (ا) لتفاوت اقتدارها على اتساعها .
(٧) في (ط) تبازح . (٨) في (ط) هي الأمتعة .
(٩) في (ب ، ط) لها . (١٠) سقطت الواو في (ط) .
(١١) سقطت (من يقول) في (ط) . (١٢) في (ا) بحسن .
(*) مفرده غُفْل وهو من القداح والدواب وغيرها ما لا علامة فيه .
(١٣) في (ا) بتركيب بترك وهي زيادة خاطئة .
(١٤) سقطت في (ط) . (١٥) في (ط) الغيّ .
(١٦) في (ط) معوّجاً .
(١٧) وردت على صور مختلفة باختلاف النقط في النسخ الأربع .

وتركيباً ـ قبله الفهم والتذّ به السمع ، واذا ورد على ضدّ هذه الصفة صدئ الفهم منه وتأذّى السمع به تأذّي الحواس بما يخالفها .

ومنهم من لم يرض بالوقوف على هذا الحد فتجاوزه (١) والتزم من الزيادة عليه تتميم المقطع وتلطيف المطلع ، وعطف الأواخر على الأوائل ، ودلالة الموارد على المصادر ، وتناسب الفصول والوصول ، وتعادل الأقسام والأوزان ، والكشف (٢) عن قناع المعنى بلفظ هو في الاختيار أولى حتى يطابق المعنى اللفظ ويسابق فيه الفهمُ السمعَ . قال ولا غاية وراء هذا .

ومنهم من ترقى الى ما هو أشق وأصعب فلم تقنعه (٣) هذه التكاليف في البلاغة حتى طلب البديع من الترصيع والتسجيع والتطبيق والتجنيس وعكس البناء في النظم ، وتوشيح العبارة بألفاظ مستعارة ، إلى وجوه أخر (٤) تنطق بها الكتب المؤلفة في البديع فإني لم أذكر هذا القدر إلا دلائل على أمثالها ولكل مما ذكرته وما لم أذكره رسم من النفوذ (٥) والاعتلاء ، بازائه ما (٦) يضاده ، فيسلم للنكوص والاستفال .

فأكثر (٧) هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ اذ كانت للمعاني (٨) بمنزلة المعارض (٩) للجواري (١٠) فأرادوا أن يلتذ السمع بما يدرك منه ولا يمجه (١١) ويتلقاه بالاصغاء اليه والاذن (١٢) له فلا يحجبه (١٣) .

---

(١) في (ط) فيجاوزه . (٢) أول الصفحة الخامسة في (ش) .
(٣) في (ش) يقنعه وفي (ط) من غير نقط .
(٤) في (ط) أخر . (٥) في (ط) النفود .
(٦) في (أ) مما (٧) في (أ) وأكثر .
(٨) في (ب ، ط) للمعاني . والكلمة مطلع الصفحة الثالثة في (ب) .
(٩) ج معرض : الثوب تجلى فيه الجارية ليلة العرس .
(١٠) في (أ) للعواري . (١١) في (ط) تمجه .
(١٢) في (ش) والأذن (بالشكل) (بمعنى الاستماع) (والإذن بمعنى الاباحة) .
(١٣) في (أ) يحجبه .

وقد قال ابو الحسن بن (١) طباطبا (٢) في الشعر : هو ما ان عري من معنى بديع لم (٣) يعر من حسن الديباجة . وما خالف هذا فليس بشعر (٤) .

ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره (٥) إلى أن تكون استفادة (٦) المتأمل له والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله (٧) وهم أصحاب المعاني، فطلبوا المعاني (٨) المعجبة (٩) من خواص أماكنها وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة طريفة (١٠) ، أو رائقة (١١) بارعة فاضلة (١٢) كاملة ، او (١٣) لطيفة شريفة زاهرة فاخرة ، وجعلوا رسومها (١٤) أن تكون (١٥) قريبة التشبيه لائقة الاستعارة صادقة الأوصاف لائحة الأوضاح (١٦) خلابة (١٧) في الاستعطاف ، عطافة لدى الاستنفار (١٨) مستوفية لحظوظها عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض والاطناب والتقصير والجد والهزل والخشونة والليان والإباء والاسماح ، من غير تفاوت يظهر في خلال أطباقها ولا قصور ينبع من أثناء أعماقها ، مبتسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف (١٩)

---

(١) سقطت (بن) في ط .

(٢) في (ط) رحمه الله .

(٣) مطلع الصفحة الثالثة في (ط) .

(٤) في (ب) بالشعر .

(٥) في (ط) صدره .

(٦) في (ط) استعادة .

(٧) في (ا) وفعله .

(٨) سقطت (فطلبوا المعاني) في (ط) والسبب واضح .

(٩) في (ا) المعجمة .

(١٠) في (ب) و (ش) بالظاء المعجمة (ظريفة) .

(١١) في (ا) رائعة .

(١٢) مطلع الصفحة الثالثة في (ا) و(كاملة) مطلع الصفحة السادسة في (ش) .

(١٣) سقطت في (ش ، ب) وجاءت (و) في (ط) .

(١٤) في (ا) وسومها .

(١٥) في (ط) يكون .

(١٦) في (ا) الأوضاع .

(١٧) في (ط) حلابة .

(١٨) في (ط) الاستتار .

(١٩) في(ا) الاشتفاف ولا معنى له هنا .

محتجبة في غموض الصيان لدى الامتهان(١) تعطيك مرادك إن رفقت(٢) بها وتمنعك جانبها(٣) إن عنفت معها .

فهذه مناسب المعاني لطلابها وتلك مناصب الألفاظ لأربابها . ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوب(٤) به(٥) العقول فتعانقا، وتلابسا(٦) متظاهرين في الاشتراك(٧) وتوافقا، فهناك يلتقي(٨) ثريا(٩) البلاغة فيمطر روضها وينشر وشيها، ويتجلى البيان فصيح اللسان نجيح البرهان، وترى رائدي(١٠) الفهم والطبع متباشرين، لما من المسموع والمعقول بالمسرح الخصب والمكرع(١١) العذب .

فاذا(١٢) كان النثر، بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم، اتسع نطاق الاختيار فيه على ما بيّناه بحسب اتساع جوانبها وموادها(١٣) وتكاثر أسبابها ومواتّها(*) وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك(١٤) وشاركه، ثم تفرد عنه وتميز بأن كان حدّه لفظ موزون مقفى يدل على معنى، فازدادت(١٥) صفاته التي أحاط الحدّ بها بما(١٦) انضم من الوزن والتقفية اليها — ازدادت الكُلَف(١٧) في شرائط الاختيار فيه، لأن للوزن والتقفية أحكاماً تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب، وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمنتقد(١٨) مثل

(١) في (ا) سقطت لدى الامتهان وفي (ط) الدى .
(٢) في (ط) رفمت .
(٣) في (ط) حانبها .
(٤) في (ب ، ط) يصوب .
(٥) سقطت (به) من (ط) .
(٦) في (ط) مما تعاوت لابساً .
(٧) في (ب ، ش) الاشتراف وفي (ط) الاعتراف .
(٨) في (ب ، ش) تلتقي .
(٩) في (ا) ثديا .
(١٠) في (ط) وروى رايد .
(١١) في (ا) المشرع .
(١٢) في (ط) واذا .
(١٣) في (ط) وموارده‌ا .
(*) ج ماتّة وهي الوسيلة .
(١٤) رأس الصفحة السابعة في (ش) .
(١٥) في (ش) فان زادت .
(١٦) سقطت (بما) في (ط) .
(١٧) في (ط) ازداد التكلف .
(١٨) في (ا) الشعر للمنتقد وفي (ط) الشاعر والمستمد .

ما تقتضيه (١) تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح ، لئلا يختل لها أصل (٢) من أصولها أو يعتل فرع من فروعها .

واذا (٣) كان الأمر على هذا فالواجب أن يتبين ما هو (*) عمود الشعر المعروف عند العرب ليتميز تليد الصنعة من الطريف وقديم نظام القريض من الحديث ولتعرف مواطئ أقدام (٤) المختارين فيما اختاروه ، ومراسم أقلام (٥) المزيفين على ما زيفوه ، ويُعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفضيلة الأتيّ السمح على الأبيّ (٦) الصعب ، فنقول وبالله التوفيق .

انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ـ ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات ـ والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير (٧) من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار (٨) له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما (٩) للقافية حتى لا منافرة بينهما .

فهذه (١٠) سبعة أبواب هي عمود الشعر . ولكل باب منها معيار .

فعيار (١١) المعنى ان يُعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب فاذا (١٢)

---

(١) في (ب ، ش) يقتضيه وفي (ط) بلا نقط .
(٢) سقطت لها في (ا) وسقطت (لها أصل) في (ط) .
(٣) في (ش) فاذا . والكلمة رأس الصفحة الرابعة في (ا) .
(*) تنقطع الصفحة الثالثة في منتصفها عند هذه الكلمة في النسخة (ا) ويتصل ما بين الجزئين القديم والحديث من هذه المقدمة بتكرار الجملة (واذا .. ما هو) .
(٤) في (ب) إقدام . (٥) في (ط) وهو اسم اقدام .
(٦) سقطت في (ط) الكلمات (السمح على الأبيّ) .
(٧) في (ط) متخير .
(٨) سقطت في (ط) الكلمات (منه للمستعار) . وللمستعار رأس الصفحة الثامنة في (ش) . (٩) في (ط) وشدة اقتضائها .
(١٠) (وهو) بدل (فهذه) في (ط) . والكلمة رأس الصفحة الرابعة في (ب) .
(١١) في (ط) فعيار . (١٢) في (ط) فان .

انعطف عليه جَنَبَتَا (١) القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه (٢) خرج وافياً وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشته (٣) .

وعيار (٤) اللفظ الطبعُ والرواية والاستعمال فما سلم مما يهجّنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم ، وهذا في مفرداته وجملته (٥) مراعى ، لأن اللفظة تُستكرم بانفرادها فاذا ضامّها ما لا يوافقها عادت الجملة هجيناً .

وعيار (٦) الاصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز ، فما وجداه صادقاً في العلوق ، ممازجاً في اللصوق ، يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه ، فذاك سيماء (٧) الاصابة فيه . ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال في زهير كان لا يمدح الرجل إلاّ بما يكون للرجال . فتأمل هذا الكلام فان تفسيره ما ذكرناه .

وعيار (٨) المقاربة في التشبيه الفطنةُ وحسن التقدير ، فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس ، وأحسنه ما أوقع بين شيئين ، اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ، ليبين (٩) وجه التشبيه بينهما (١٠) بلا كلفة إلاّ ان يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبّه به وأملكها له لأنه حينئذ يدل على نفسه (١١) ويحميه من الغموض والالتباس . وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة (١٢) مثل سائر ، وتشبيه نادر ، واستعارة قريبة .

(١) في (ط) الكلمة محرفة ومنونة (خبباً) .
(٢) رأس الصفحة الرابعة في (ط). (٣) في (ط) ووحشه .
(٤) في (ط) ومعيار .
(٥) في (ط ، ا) وجمله ويبدو أنه الأصح .
(٦) في (ط) ومعيار . (٧) في (ا،ط) على حذف الهمزة .
(٨) في (ط) ومعيار . (٩) في (ط) ليس .
(١٠) لم ترد بينهما في (ا ، ب ، ش) وانما أضفناها من (ط) .
(١١) رأس الصفحة التاسعة في (ش) .
(١٢) في هامش (ط) أقسام الشعر ثلاثة .

وعيار[١] التحام أجزاء النظم والتئامه على تخير[٢] من لذيذ الوزن الطبعُ واللسان فما[٣] لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقوده[٤] ولم يتحبّس اللسان في فصوله ووصوله ، بل استمرا[٥] فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال ، فذاك يوشك أن تكون[٦] القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تسالماً لاجزائه وتقارناً[٧] وإلا[٨] يكون كما قيل فيه :

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه لسان دعيّ في القريض دخيل[٩]

وكما قال خلف :

وبعض قريض الشعر أولاد علة يكدّ[١٠] لسان الناطق المتحفظ

وكما قال[١١] رؤبة لابنه عقبة ، وقد عرض عليه شيئاً مما قاله ، فقال :

قد قلت لو كان له قيران

وإنما قلنا على تخيّر من لذيذ الوزن لأن لذيذه يَطْرب الطبع لايقاعه ويمازجه بصفائه ، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه . ولذلك قال حسان رضي الله عنه[١٢] :

تغنّ في كل شعر أنت قائله ان الغناء لهذا الشعر مضمار

---

(١) في (ط) ومعيار .
(٢) في (ط) تحير وقد مرّ بنا من قبل في نفس النسخة متخير .
(٣) في (ط) مما .
(٤) في (ط) بأبنيه وعقده وفي (ا) بأبنه وعقوده .
(٥) في (ط) سقطت الالف . (٦) في (ش ، ط) يكون .
(٧) في (ا ، ط) تقارباً . (٨) في (ط) وألا وفي (ا) ولا .
(٩) في (ط) بعد (دخيل) هذه الكلمة (احى) (اجني) والبيت مكتوب كما يكتب النثر .
(١٠) في (ش) يَكُدّ .
(١١) في (ا ، ط) وقد قال . والكلمة رأس الصفحة الخامسة من النسخة (ا) .
(١٢) زيادة (رضي الله عنه) في (ا) فقط ولم ترد في النسخ الأخرى الثلاث .

وعيار (١) الاستعارة الذهنُ والفطنة ، وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبّه والمشبّه به ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان (٢) له في الوضع الى المستعار له (٣) .

وعيار (٤) مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية طولُ الدربة ودوام المدارسة ، فاذا حكما بحسن التباس (٥) بعضها (٦) ببعض ، لا جفاء في خلالها ولا نُبُوّ ولا زيادة فيه (٧) ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جُعل (٨) الأخصّ للأخصّ والأخسّ للأخسّ – فهو البريء من العيب .

وأما (٩) القافية فيجب أن تكون (١٠) كالموعود به (١١) المنتظر ، يتشوفه (١٢) المعنى بحقه واللفظ بقسطه والا كانت (١٣) قلقة في مقرها ، مجتلَبة لمستغنٍ (١٤) عنها .

فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب . فمن لزمها بحقّها وبنى شعره عليها فهو عندهم المفلق المعظّم والمحسن المقدّم ، ومن لم يجمعها كلها فبقدْر سُهْمَته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان .

وهذا إجماع مأخوذ به ومُتّبع نهجه حتى الآن .

واعلم ان لهذه الخصال وسائط وأطرافاً فيها ظهر صدق الواصف (١٥) وغلو الغالي واقتصاد المقتصد (١٦) وقد اقتفرها (١٧) اختيار الناقدين فمنهم من قال

---

(١) في (ط) ومعيار .
(٢) في (ب ، ش) كما كان .
(٣) سقطت في (ط) .
(٤) في (ط) ومعيار . والكلمة رأس الصفحة العاشرة في (ش) .
(٥) سقطت في (ط) .
(٦) في (ا) بعضها .
(٧) لم ترد (فيه) في (ا) .
(٨) في (ط) وقد حصل .
(٩) في (ط ، ا) فأما .
(١٠) في (أ) يكون وفي (ط) بغير نقط .
(١١) لم ترد (به) في (ش ، ب) .
(١٢) في (ا) يتشوفها .
(١٣) في (ط) كان .
(١٤) في (ا ، ش) بمستغن .
(١٥) رأس الصفحة الخامسة في (ب) و (ط) .
(١٦) في (ط) المقتصد .
(١٧) في (ط) اقتفرها والتاء مهملة . واقتفر الأثر تتبعه .

أحسن الشعر أصدقه . قال : لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق . ومنهم من اختار الغُلُوّ حتى قيل أحسن الشعر أكذبه لأن قائله (١) اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتدَّ فيما يأتيه الى أعلى الرتبة وظهر قوته في (٢) الصياغة وتمهره في الصناعة ، واتسعت مو الجه ومخارجه (٣) فتصرَّف في الوصف كيف شاء لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق . وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال : أحسن الشعر أقصده (٤) لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط ، فما (٥) استوفى أقسام البراعة والتجويد أو جُلَّها من غير غُلُوّ في القول ولا إحالة في المعنى ولم يُخْرِج الموصوف إلى أن لا يؤمَن بشيء (٦) من أوصافه لظهور السرف في آياته وشمول التزيد لأقواله كان بالايثار أولى .

ويتبع هذا الاختلاف ميل بعضهم الى المطبوع وبعضهم الى المصنوع ، والفرق بينهما أن الدواعي اذا قامت في النفوس وحرّكت القرائح أعملت (٧) القلوب واذا (٨) جاشت العقول (٩) بمكنون ودائعها وتظاهرت مكتسبات العلوم وضروريّاتها نبعت المعاني ودرّت أخلافها وافتقرت خفيّات الخواطر إلى جليات (١٠) الألفاظ ، فمتى رفض التكلف والتعمل وخُلّي (١١) الطبع ، المهذب (١٢) بالرواية

(١) في (ط) لأن القائل .
(٢) رأس الصفحة ١١ في (ش) .
(٣) في (ش) و(ب) مخارجه ومو الجه.
(٤) في (ط) اصدقه .
(٥) في (ب ، ش) فاستوفى .
(٦) في (ب) لشيء .
(٧) في (ا) عملت .
(٨) في (ا ، ط) فاذا .
(٩) في (ط) المنقول .
(١٠) في (ط) حليات .
(١١) (في ب ، ش) حلي .
(١٢) رأس الصفحة السادسة في (ا).

المُدرَّب في الدراسة ، لاختياره فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه ـ أدّى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر وعفواً بلا جهد وذلك هو الذي يُسمّى المطبوع . ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف (١) عاد (٢) الطبع مستخدما (٣) مُتملّكاً وأقبلت الأفكار (٤) تستحمله أثقالها وتردّده في قبول ما يؤديه اليها (٥) مطالبةً له بالاغراب (٦) في الصنعة وتجاوز المألوف الى البدعة ، فجاء (٧) مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته ؛ وذلك هو المصنوع . وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم ، من غير قصد منهم اليه ، اليسير النزر ، فلما انتهى قرض الشعر الى المحدثين ورأوا استغراب الناس للبديع على افتتانهم فيه أولعوا (٨) بتورّده إظهاراً للاقتدار وذهاباً الى الاغراب (٩) فمن مفرط ومقتصد ، ومحمود فيما يأتيه ومذموم ، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يُحمّل ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلّف .

فمن مال إلى الأول فلأنه أشبه بطرائق الاعراب (١٠) لسلامته في السبك واستوائه عند الفحص ، ومن مال الى الثاني فلدلالته على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابة (١١) .

وأما تعجبك من ابي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه واجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده (١٢) فالقول فيه :

---

(١) في (ط) التكلف والتعمل . (٢) في (ط) وعاد .
(٣) رأس الصفحة ١٢ في (ش) . (٤) في (ط) الأذكار .
(٥) في (ط) اليه .
(٦) في (ا) بالاعزاب وفي (ط) جاءت الكلمة غير منقوطة .
(٧) في (ط) فجاءه . (٨) في (ط) وأولعوا .
(٩) في (ط) الاعراب . (١٠) في (ش) الاغراب .
(١١) في (ا ، ب) بالبداية . (١٢) سقطت (في قصده) في (ا) .

ان أبا تمام كان يختار ما يختار [١] لجودته لا غير ، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته ، والفرق [٢] بين ما يُشتهى وبين ما يستجاد ظاهر بدلالة أن العارف بالبزّ قد يشتهي (لبس ما لا يستجيده ويستجيد ما لا يشتهي [٣]) لبسه وعلى ذلك حال [٤] جميع أعراض الدنيا مع [٥] العقلاء العارفين بها في الاستجادة والاشتهاء . وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المُشَهّرين منهم دون الأغفال ولا [٦] من الشعر إلى المتردد في الأفواه و[٧] المجيب لكل داع فكان [٨] أمره أقرب ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم [٩] واسلاميهم ومولدهم ، فاختطف منها الأرواح دون الاشباح واخترف [١٠] الأثمار دون الأكمام وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه وطرق الاحسان والاستحسان لم تستتر عنه حتى [١١] انك [١٢] تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه فيجبُر نقيصته من عنده ويبدل الكلمة باختها في نقده ، وهذا يبين [١٣] لمن رجع إلى دواوينهم [١٤] فقابل ما في اختياره بها . .. ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس .

---

(١) في (ا) ما يختارونه . (٢) مطلع الصفحة السادسة في (ط) .
(٣) سقط ما بين الفاصلتين في (ط) والعلة ظاهرة .
(٤) سقطت كلمة حال في (ا) . (٥) في (ش ، ب) من .
(٥) مطلع الصفحة ١٣ في (ش) . (٦) رأس الصفحة السادسة في (ب) .
(٧) سقطت الواو في (ط ، ب) . (٨) في (ط ، ا) وكان .
(٩) في (ا) مخضرميهم .
(١٠) في (ط) واحترف .
(١١) تكرر بعد كلمة حتى في نسخة (ط) من قوله (ما يوافق) في السطر السابق الى قوله (لم تخف) .
(١٢) سقطت (انك) في (ش ، ب) .
(١٣) في (ط) بيّن . (١٤) في (ط) دواديهم .

ويكشف هذا أنه قد يميز (١) الشعر من لا (يقوله ويقول الشعر الجيّد من) (٢) لا يعرف (٣) نقده ، على ذلك كان البحتري لأنه فيما حكي عنه كان لا يعجب من الشعر إلاّ بما يوافق (٤) طبعه ومعناه ولفظه .

وحكى الصوليّ أنه سمع المبرّد يقول سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً (٥) قطّ أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام . وحُكي عنه أنه مرّ (٦) بشعر ابن أبي (٧) عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : وهذا كله مختار . هذا وشعره أبعد الأشياء (٨) من شعره وهذا واضح .

وأما ما غلب على (٩) ظنك من أن اختيار الشعر موقوف على الشهوات إذ ما كان يختاره (١٠) زيد يجوز أن يزينه عمرو وان سبيلها سبيل الصور في العيون الى غير ذلك مما ذكرته ، فليس الأمر كذلك ، لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ومرفوض اللفظ ومألوفه وميّز البديع الذي لم تقتسمه (١١) المعارض ولم تعتسفه الخواطر ونظر وتبحر ودار في أساليب الأدب فتخير (١٢) وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاث والتداول والابتعاث وبان له القليل النائب (١٣) عن الكثير واللحظ الدال على الضمير ودرى تراتيب الكلام وأسرارها كما درى تعاليق المعاني وأسبابها إلى غير ذلك مما يُكمّل الآلة

---

(١) في (ط) ميّز .
(٢) سقطت هذه الجملة بين القوسين في (ط) . والسبب في سقوطها بيّن .
(٣) في (ط) لم يعرف .
(٤) في (ط) وافق .
(٥) رأس الصفحة السابعة في (ا) .
(٦) سقطت في (ط) .
(٧) سقطت في (ط) .
(٨) رأس الصفحة (١٤) من (ش) .
(٩) في (ا ، ط) في .
(١٠) في (ط) اذا كان ما يختاره .
(١١) في (ا) يقتسمه .
(١٢) في (ا) فتحير بالمهملة .
(١٣) في (ا ، ب) بتسهيل الهمزة (النايب) .

ويشحذ القريحة تراه لا ينظر إلاّ بعين البصيرة ولا يسمع إلاّ بأذن النَّصفة ولا ينتقد إلا بيد (١) المَعْدلة ، فحكمه الحكم الذي لا يُبَدَّل ونقده النقد الذي لا يُغيَّر .

واعلم أنه قد (٢) يعرف الجيد من يجهل الرديء ، والواجب أن تعرف المقابح (٣) المتسخَّطة كما عرفت المحاسن المرتضاة . وجماعها ، اذا أجملت ، أنها أضداد ما بيناه من عمد البلاغة وخصال البراعة في النظم والنثر .

وفي التفصيل كأن يكون اللفظ وحشياً أو غير مستقيم أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير : لا يتتبَّع الوحشيَّ ولا يعاظل (٤) في الكلام ، أو تكون (٥) فيه زيادة تفسد المعنى أو نقصان ، او لا يكون بين أجزاء البيت التئام ، أو تكون القافية قلقة في مقرها أو معيبة في نفسها ، أو يكون في القسْم أو في (٦) التقابل أو في التفسير فساد أو في المعنى تناقض أو خروج الى ما ليس في العادة والطبع ، أو يكون الوصف غير لائق بالموصوف ، أو (٧) يكون في البيت حشو لا طائل فيه ، الى غير ذلك مما يحصله لك تأملك جمل المحاسن وتفصيلها وتتبعك ما يضادها و(٨) ينافيها وهذا هين قريب .

وانما قلت هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول : هكذا قضية طبعي ، أو ارجع (٩) الى غيري ممن له في الدُّربة والعلم بمثله فإنه يحكم

(١) في (ا) بعين .
(٢) سقطت في (ب) .
(٣) في (ط) المقابح بالتسخط .
(٤) رأس الصفحة (١٥) في (ش) .
(٥) في (ط ، ش ، ب) يكون .
(٦) سقطت في (ش) .
(٧) مطلع الصفحة السابعة في (ط).
(٨) في (ا) ما يضادها أو .
(٩) في (ب) أرجعْ بالشكل وفي (ط ، ش) من غير شكل وهو فعل أمر. كما يدل عليه السياق .

بمثل حكمي ، وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفيه الاختيار لأنه لاشيء من ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه واقامة [١] البرهان على رداءته فاعلمه .

وأما [٢] غنيتك معرفة السبب [٣] في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين ، والعلة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء والبداء كان أكثر المفلقين لا يبرعون في انشاء الكتب وأكثر المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر فإني أقول في كل ذلك ما [٤] يحضر [٥] والله ولي توفيقي وهو حسبي وعليه توكلي .

اعلم ان تأخر الشعراء [٦] عن رتبة البلغاء موجبه تأخر [٧] المنظوم عن رتبة المنثور [٨] عند العرب لأمرين :

أحدهما أن ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها ويعدونها أكمل أسباب الرياسة وأفضل آلات الزعامة فاذا وقف أحدهم بين السماطين لحصول تنافر أو تضاغن أو تظالم أو تشاجر فأحسن الاقتضاب عند البداهة وأمعن في الاسهاب وقت الاطالة أو اعتلى في ذروة منبر فتصرف في ضروب من تخشين القول و[٩] تليينه داعياً الى طاعة أو مستصلحاً لرعية أو غير ذلك مما تدعو [١٠] الحاجة اليه [١١] كان ذلك أبلغ عندهم من انفاق مال عظيم وتجهيز [١٢] جيش كبير [١٣] .

(١) مطلع الصفحة الثانية في (ب) .
(٢) في (ب) واتما ، وهو تحريف . وكذلك كانت في (ش) ثم صححت .
(٣) في (ط) وأما يمنك السبب .
(٤) مطلع الصفحة (٤٦) في (ش) .
(٥) في (ب) عما وكذلك في (ش) . وفي (ط) لما يحضر .
(٦) في (ا) الشعر .
(٧) رأس الصفحة الثامنة في (ا) .
(٨) هذه الجملة مكتوبة بخط حديث في (ا) .
(٩) في (ب ، ش) أو .
(١٠) في (ب ، ش) يدعو .
(١١) سقطت اليه في (ا) .
(١٢) في (ب) وتجهيز .
(١٣) في (ا ، ط) كثير .

وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ويعدّه ملوكهم دناءة وقد كان لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حجر بن عمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت وحالاً بعد حال ما أخرجه إلى أن أمر (١) بقتله، وقصته مشهورة . فهذا (٢) واحد .

والثاني انهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة وتوصلوا به إلى السّوَق (٣) كما توصلوا به الى العليّة وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم ، والكريم (٤) عند تأخر صلته بصفة اللئيم ، حتى قيل : الشعر أدنى مروّة (٥) السري وأسرى مُرُوّة (٥) الدني . فهذا (٦) الباب أمره ظاهر .

واذا (٧) كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته وكان النظم متأخراً عن رتبة النثر وجب أن يكون الشاعر أيضاً (٨) متخلفاً عن غاية البليغ .

ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم أن الاعجاز من الله تعالى جده والتحدي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم ، يكشف (٩) ذلك أن معجزات (١٠) الأنبياء عليهم السلام (١١) في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت

(١) في (ا) أمر . (٢) في (ا) وهذا .

(٣) السوقة (بالضم) الرعية للواحد والجمع وللمذكر والمؤنث أو قد يجمع سوقاً كصُرَد (القاموس) . وفي (التاج) السوقة بالضم خلاف الملك وهم الرعية التي تسوسها الملوك ، سموا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم (للواحد والجمع والمذكر والمؤنث) أو قد يجمع سوقاً كصُرَد ومنه قول زهير ...

(٤) مطلع الصفحة (١٧) في (ش) .

(٥) في (ش) بالكسر في كلا الموضعين ، على أن ما قبلها أفعل التفضيل . وسياق الجملة يبيح الفتح على أن ما قبلها فعل ماض .

(٦) في (ب ، ط) وهذا . (٧) ولهذا في (ط) .

(٨) سقطت في (ط) . (٩) في (ب ، ش) فيكشف .

(١٠) في (ب) معجز وكذلك كانت في (ش) ثم أضيفت الألف والتاء بخط غير خط النسخة .

(١١) في (ط) صلوات الله عليهم .

أممهم يولعون به في حينهم ويغلب على طبائعهم وبأشرف ذلك الجنس ، على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن [١] السحر والسحرة فصارت [٢] من ذلك الجنس وبأشرفه .

وكذلك كان حال عيسى عليه السلام [٣] لأن زمنه كان زمن الطب فكانت معجزته وهي إحياء الموتى من ذلك الجنس وبأشرفه .

فلما كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يولعون به [٤] وبأشرفه فتحداهم بالقرآن كلاماً منثوراً لا شعراً منظوماً [٥] وقد قال الله عز وجل في تنزيه [٦] النبي صلى الله عليه [٧] : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وقال أيضاً : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد [٨] يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون » .

ولما كان الأمر على ما بيناه وجب أن يكون النثر أرفع شأناً وأعلى سمكاً وبناء من النظم وأن يكون متراوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات ومزاوليها .

وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المفلقين وعز من جمع بين النوعين مبرزاً فيهما فهو أن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج سهل المعنى متسع [٩] الباع واسع النطاق ، تدل [١٠] لوائحه على حقائقه وظواهره [١١] على بواطنه اذ [١٢]

(١) في (ا) من .

(٢) هذه الكلمة سقطت في (ط) أو هي متآكلة لأن جملة (وزمنه زمن عيسى عليه السلام) التالية كتبت في الهامش .

(٣) في (ط) بعد ذلك : (لأنها ظهرت عليه وزمن زمن الطب) .

(٤) سقطت به في (ا) بها (٥) رأس الصفحة الثامنة في (ط) .

(٦) في (ب) في تنويه .

(٧) زيادة (وسلم) في (ط) . وفي (ب) و (ش) عليه السلام .

(٨) رأس الصفحة (١٨) في (ش) .

(٩) في (ب) متسع . (١٠) في (ط) يدل وفي (ا) يدل .

(١١) في (ط) وظواهر . (١٢) في (ط) إذا .

كان مورده على أسماع مفترقة من خاصي وعامي وأفهام مختلفة (١) من ذكي وغبي فمتى كان متسهلاً متعادلاً ومتسلسلاً متجاوباً تساوت (٢) الآذان في تلقيه والأفهام في درايته والألسن في روايته ، فيتسمح شارده اذا استدعي ويستعجل وافده (٣) اذا استدفع ، وإن تطاول أنفاس وصوله وتباعد أطراف حزونه وسهوله .

ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك (٤) لأنه بني على أوزان مقدرة (٥) وحدود مقسمة وقواف يساق ما قبلها اليها مهيأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر الى غيره إلا أن يكون (٦) متضمناً بأخيه وهو عيب فيه .

فلذلك كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار (٧) عروضه وضربه وكلاهما قليل وكان (٨) الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد ، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى وأن يبلغ (٩) الشاعر في تلطيفه (١٠) والأخذ من حواشيه حتى يتسع له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفائه حداً يصير المدرك له (١١) والمشرف عليه كالفائز بذخيرة اغتنمها والظافر بدفينة استخرجها وفي مثل ذلك يحسن انمحاء الأثر وتباطؤ المطلوب على المنتظر فكل ما يحمد في الترسل ويختار يذم في الشعر ويرفض .

(١) رأس الصفحة التاسعة في (ا) .

(٢) رأس الصفحة الثامنة في (ب) .

(٣) في (ا) واقده .

(٤) في (ط) من ذلك ، وفي (ش) من جميع ذاك

(٥) في (ا) متقددة .

(٦) في (ا) إلا ما يكون ، وكذلك في (ب) .

(٧) في (ا) إلا بمقدار .

(٨) في (ش) فكان ، وكذلك في (ب) .

(٩) في (ط) تبلغ وفي (ش) يبالغ .

(١٠) مطلع الصفحة (١٩) في (ش) .

(١١) سقطت في (ط) .

فلما اختلف المبنيان كما بيّنا (١) وكان للمتولي لكل واحد منهما يختار أبعد الغايات لنفسه فيه اختلفت (٢) فيهما (٣) الاصابتان لتباين طرفيهما وتفاوت (٤) مطربهما فبَعُد (٥) على القرائح الجمع بينهما .

يكشف ذلك أن الرجز وان خالف القصيد مخالفة قريبة (٦) ترجع (٧) إلى تقطيع شأو اللفظ فيه وتزاحم (٨) السجع عليه قلّ عدد الجامعين بينهما لتقاصر الطباع عن الاحاطة بهما .

فاذا كان الرجز والقصيد ، مع أنهما من واد واحد ، أفضت الحال بجمعهما الى ما قلت على خلاف يسير بينهما ، فالنثر والنظم - وهما في طرفين ضدين وعلى حالتين متباينتين - أولى وأخص (٩) .

وأما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ونباهة أولئك وخمول هؤلاء فهو أن للترسل يحتاج إلى مراعاة أمور كثيرة إن (١٠) أهملها أو أهمل شيئاً منها رجعت النقيصة اليه وتوجهت اللائمة عليه (١١) .

منها تبيّن (١٢) مقادير من يكتب عنه واليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع رفيعاً .

---

(١) في (ا) خطأ في الشكل : المبنيتان كما بيّنا .
(٢) في (ط) اختلف .
(٣) سقطت في (ا) .
(٤) في (ب ، ش) تقارب ، وهو تحريف .
(٥) في (ب ، ش) وبعد .
(٦) في (ط) قوية .
(٧) في (ا ، ط) ترجيع .
(٨) في (ب) فتزاحم .
(٩) في (ا ، ط) وأحق .
(١٠) في (ب) وان وفي (ش) وإن وهو خطأ . وقد ذكر الناسخ بعد ذلك (أملها) ثم صححها (أهملها) .
(١١) سقطت في (ا) .
(١٢) كذا في (ا ، ط) وفي (ب ، ش) يبين .

ومنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه حتى تجيء لائقة بمن يخاطب بها مفخمة لحضرة سلطانه [١] التي يصدر عنها .

ومنها أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثان فيتصرف معها على مقاديرها [٢] في النقض والابرام والبسط والانقباض .

ومنها أن يعلم أوقات الاسهاب والتطويل ، والايجاز والتخفيف ، فقد يتفق ما يحتاج فيه [٣] إلى الاكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ، ويتفق أيضاً ما تغني فيه الاشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة .

ومنها [٤] أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به [٥] على سواء السبيل فلا يشتط في الحكومة ولا يعدل ، فيما يخط ، عن الحجة فهو انما [٦] يترسل في عهود الولاة والقضاة وتأكيد البيعة والأيمان وعمارة [٧] البلدان واصلاح فساد وتحريض على جهاد وسد ثغور ورتق فتوق واحتجاج على فئة أو مجادلة لملة أو دعاء إلى ألفة أو نهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ماشا كل ذلك من جلائل الخطوب وعظائم الشؤون التي يحتاج فيها الى أدوات كثيرة ومعرفة مفتنة .

---

(١) كذا في النسخ الثلاث وفي (ا) سلطانها .
(٢) مطلع الصفحة التاسعة في (ط) .
(٣) سقطت فيه في (ا) .
(٤) رأس الصفحة (٢٠) في (ش) .
(٥) سقطت في (ا ، ش) .
(٦) في (ط) وإنما .
(٧) رأس الصفحة (١٠) في (ا) .

فلما كان الأمر على هذا صار وجود المضطلعين بجودة النثر أعز وعددهم أنزر، وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأتهم منزلة رئاستها، فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ومعاقد رئاستهم وشدة الفاقة الى كفايتهم .

والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون [1] نحوها وغاياتهم التي ينزعون اليها وصف الديار والآثار والحنين الى المعاهد والأوطان والتشبيب [2] بالنساء والتلطيف في الاجتداء [3] والتفنن [4] في المديح [5] والهجاء والمبالغة في التشبيه والأوصاف، فاذا [6] كان كذلك لم يتدانوا في المضمار ولا تقاربوا في الأقدار .

واذ قد أتينا بما أردنا ووفينا بما وعدنا فإنا نشتغل بما هو القصد من شرح الاختيار والله الموفق للصواب والصلاة والسلام على رسوله [7] وآله الأخيار .

الدكتور شكري فيصل



(١) في (ط) يشددون .
(٢) رأس الصفحة (٩) في (ب)
(٢) في (ط) والتشبب .
(٣) في (ط) في الاحتداء .
(٤) في (ط) والتمين .
(٥) في (ط) في المدح ؛
(٦) في (ب ، ش ، ط) واذا
(٧) زيادة (محمد) في (ش) ،

التعريف والنقد

آراء وأحاديث في القومية العربية

وآراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع

ومحاضرات في نشوء الفكرة القومية

هذه رسائل ثلاث ، ألفها الأستاذ ابو خلدون ساطع الحصري . تقع الرسالة الأولى في مئة وعشر صفحات . والثانية في مئتين وست وعشرين صفحة ، والثالثة في مئتين وأربعين صفحة .

بسط الأستاذ ابو خلدون في رسالته الأولى أو في الكتيّب الأول آراءه في القومية العربية ، ثم علّق على ذلك بمناقشات وتوضيحات ، ذكر فيها : « أسباب انفصال الولايات المتحدة الأميركية عن انكلترة ، حجة اختلاف المصالح الاقتصادية بين البلاد العربية ، ما الفائدة من أن أكون عربياً ، مواقف المصريين من قضية العروبة ، بين النزعة الفرعونية وبين القومية العربية » .

ويبحث في الكتيّب الثاني ـ وهو في أكثره مجموعة مقالات ـ هذه الموضوعات : « بين القديم والجديد ، تعليم التاريخ والعلاقات الدولية ، تأثير الحملة الفرنسية في النهضة المصرية ، النهضة الأدبية في لبنان ، مسألة تاريخية ، العرب في مقدمة ابن خلدون ، هل الشقاق طبع في العرب ، وتعليقات على ذلك ، قصة سامراء ، الضلال والتضليل في الأبحاث التاريخية ، الغرور والخيلاء في كتابة التاريخ ، و.. و.. » .

والكتيّب الثالث ست محاضرات ، ألقاها صاحبها « في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة ، بدعوة من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول » في مطلع

سنة ١٩٤٨ ، عالج فيها نشوء الفكرة القومية في أوربة ، وما نجم عنها من انقلابات ، ونشوء هذه الفكرة في المانية ، وتصادم النظريتين الفرنسية والالمانية في تعريفها وتحديدها ، ونشوئها في بلاد البلقان ، ثم عند الترك ، الى أن يصل الى موضوعه : وهو نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية .

والأستاذ الحصري من القليلين المؤمنين بالقضية العربية ايمانا عمليا ، مبنيا على العلم ، وعلى وقائع التاريخ ، يستشهد لآرائه وأحاديثه بما وقع من حوادث في الشرق والغرب عند مختلف الأمم والشعوب ، كل ذلك بعبارة سهلة رصينة ، وحجج قاطعة ، بعيدة عن الاستعلاء بالبحث ، والتهكم بالخصوم والمناظرين .

قدم ابو خلدون لما كتبه ، بكلمة قال فيها : « ما أسعد الأمم التي حققت وحدتها القومية ، واستكملت شخصيتها السياسية ، فاستطاعت ان تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية !

ذلك لأن مفهوم الوطن عند أمثال هذه الأمم يكون واضح المعالم ومستقر الشكل : الأمة تكون دولة مستقلة موحدة ؛ فتتعين حدود الوطن عندها بحدود الدولة القائمة ، التي تجمع شمل الأمة بأجمعها تحت راية واحدة .

ولكن ... ما أتعس الأمم التي ظلت بعيدة عن تحقيق وحدتها القومية ، واستكمال شخصيتها السياسية ، فلم تستطع ان تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية ! » .

ثم يأخذ الأستاذ الحصري على « الجامعة العربية » تقصيرها في العمل على تقوية « القومية العربية » .

ويختتم مقدمته بدعوة : « جميع المؤمنين بالقومية العربية الى مضاعفة الجهود في خدمة الشعوب العربية ... لأنها أصبحت في حاجة الى الخدمات الجدية أكثر من أي وقت مضى ... »

ويستهل المؤلف كلامه بعد المقدمة بـ «كلمة حول كارثة فلسطين» فيقول :
سمعت بعض الشبان يتساءلون : ـ كيف خسر العرب معركة فلسطين ضد اسرائيل ، مع أنهم كانوا سبع دول ؟
فيجيب الأستاذ الحصري :
إن العرب خسروا معركة فلسطين لأنهم كانوا سبع دول » وهي كلمة حق .
وفي هذه الكتيبات بعض أغلاط لغوية ونحوية ، لا بد ان تصحح في طبعات قادمة نرجوها لها في مستقبل الأيام .
وبعد فانا اشكر لأبي خلدون هذه الدراسات القيمة ، يمليها عليه اخلاصه لقومه العرب .



الوجيز في الحقوق الادارية

تأليف الدكتور مصطفى البارودي

هذا الكتاب : «محاضرات ألقيت على طلاب السنة الثانية في كلية الحقوق بدمشق خلال العام الدراسي ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ » وهو يقع في ما يزيد على ثلاث مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، طبعته مطبعة الجامعة السورية طبعاً متقناً على ورق صقيل .
مهد المؤلف لموضوعه بمقدمة تناول فيها :
١ ــ القواعد الحقوقية في الجماعة .
٢ ــ تقسيم الحقوق .
٣ ــ تعريف الحقوق الادارية وصفاتها العامة .

٤ — مصادر الحقوق الادارية ، والطابع المميز لها في سورية .

٥ — مراجع الحقوق الادارية .

وقد وفق الدكتور في مقدمته ، فوفى بحوثه حقها ، وسلسلها تسلسلاً مترابطاً واضحاً ، ووصف وضع سورية من وجهيه : الادارية والسياسية ، في عهد الانتداب الفرنسي ، وأثبت بطلان تصرفات الدولة المنتدبة من الناحية القانونية .

والكتاب أبواب ، والباب فصول . بحث فيها المؤلف السلطات الثلاث ، والصالح العام ، واحداث المصالح العامة لسداد الحاجات العامة ، والأشخاص الادارية ، والتقسيمات الادارية أيام الانتداب ، وفي عهد الاستقلال ، والموظفين العاملين : تعيينهم وترفيعهم ، وانهاء خدمتهم ، وتسريحهم ، ومحاكمتهم ، وعزلهم ، وطردهم ، واستقالتهم ، وتبعاتهم ، والمستخدمين العامين ، والنشاط الاداري ، والعقود ، والاستملاك ، والمصادرة ، والاشغال العامة ، والتبعة الادارية ، والقضاء الاداري : مجلس الشورى والمحكمة العليا .

وهذه الموضوعات عززها الأستاذ المؤلف بالنصوص التي أقرتها ، من قوانين ومراسيم وقرارات ، فجاء الكتاب وافياً جامعاً .

وكان جميلاً بالمؤلف على ما فيه من نزعة قومية ، ان يذكر بعض ما يتصل بموضوعه مما عرفه العرب فجروا عليه في ادارتهم ، ولا سيما تبعة العامل ، فلقد بلغوا من ذلك ما لم تبلغه أرقى القوانين المعاصرة .

ولسنا نوافق الدكتور في القول الذي أخذ به من أن : « الحقوق المدنية قديمة عريقة القدم في تاريخ البشرية . احتاج اليها الناس منذ فجر حياتهم الاجتماعية .. في حين ان الحقوق الادارية حقوق جديدة ... » نقول :

« ان الحقوق كلها الادارية كالمدنية ، احتاج اليهـا الناس منذ فجر حياتهم الاجتماعية ، نشأت منذ عرف الناس الاجتماع ـ أولية فطرية ، ثم جعلت تترقى شيئاً فشيئاً ، فليس من جديد فيها الا التدوين والتوسع على قدر ما اقتضته سنة الارتقاء والعمران وتقدم الأزمان .

ويقول المؤلف : « ان المدرسة الحديثة ترى ان الانسان يسير سيراً طبيعياً الى « المجموعة العالمية » بعد ان قطع صلة الحقوق بالسماء ليربطها بالأرض ... » الى ان يقول : « وبهذا يخرج أنصار المدرسة الجديدة على ما تعارفنا عليه في شرقنا الروحي الذي يأنف من الشكل المادي الذي صارت اليه روح العالم الغربي . فالشرق ما يزال يؤمن بقواعد انسانية ثابتة على مر الزمن لا تحول ولا تزول ، وهي القواعد التي رضيها الله للناس فأنزلها على أنبيائه .. » وان : « دولتنا السوريه الناشئة .. قد قامت منذ ثلاثين عاماً على أسس متنازعة فيما بينها ، فنرى القائم على التشريع فيها يخالف الدين تارة ، ويرجع اليه أخرى . فهو يزعم حيناً ان ليس في القواعد الحقوقية ما يحمل صفة الديمومة والثبات فيغير في طرقة عين ما قبله الناس في مئات من السنين ، ثم يعلن حيناً آخر : ان الدولة تعلن استمساكها بالاسلام ومثله العليا[1] ، وان الفقه الاسلامي هو مصدر رئيسي للتشريع[2] .. » .

« وهكذا جاءت قواعدنا الحقوقية في دولتنا السورية الناشئة مزيجاً من الأحكام السماوية في بعض الشؤون والأحكام ، المخالفة لها في كثير من الشؤون ، حتى ليحار الباحث الحقوقي المتجرد حين ينسب حقوق بلاده أينسبها للفكرة الدينية ، أم ينسبها للفكرة التي اعتنقتها المذاهب الجديدة ، أم يجعلها بين هذه وتلك ! » .

(١) مقدمة الدستور الجديد الذي أقرته الجمعية التأسيسية عام ١٩٥٠ .
(٢) المادة الثالثة من الدستور الجديد .

وهذا رأي خليق أن يصدر عن أجنبي يريد أن يتهم سورية بالتخلف عن عن مسايرة الزمن ، وبالرجوع الى أحكام الدين في أمور الدنيا . وهو غير الواقع . فسورية تسير - خطأً أم صواباً - في ركب « المدرسة الحديثة » . وهذه قوانينها التي أصدرتها في مختلف فروع الحقوق من مدنية وجزائية وتجارية وادارية - وهي موضوع بحثنا هذا - أي شيء فيها من الفكرة الدينية ، أو الأحكام السماوية ؟

أما ما جاء في الدستور مما استشهد به المؤلف ، فحري أن يجوز على من يأخذ بظاهر النص من غير تدبر للعلل والأسباب [1] .

ولسنا من رأي المؤلف في ان : « التشريع البيزنطي ناهل من المسيحية » ، فالمسيحية لم يؤخذ عنها اشتراع ديني ولا دنيوي ، بل حصرت جهودها ودعاياتها في ملكوت السماوات .

وكنا نود توسع المؤلف بعض التوسع في أوضاع الولايات في العهد العثماني ، ففي ذلك احياء لذكرى تلك الروابط التي كانت بين العرب ، وبعث للوحدة التي كانت قائمة بين بعض الأقطار ، فقطعها الاستعمار ، وصيّر البلد الواحد.

(١) قام فريق من النواب السوريين يدعون الى نص في الدستور الجديد ، على أن دين الدولة هو الاسلام ، وقالوا انهم يريدون من ذلك شيئاً رمزياً ، وفي الحقيقة أرادوا الدعاية والاعلان ، فلما صمد لهم آخرون عن ايمان وهددوا بأن ينسحبوا من المجلس ، تراجع أصحاب الدعاية الدينية وعمدوا الى هذه النصوص يتسترون بها ، وهي نصوص لا تقدم في الموضوع ولا تؤخر ، ولا سيما مع صراحة المادة الـ ٧ من الدستور التي جعلت السوريين - مها تباينت عناصرهم وأديانهم - متساوين أمام القانون في الحقوق والواجبات .

ولعل من أغرب المفارقات بين المسلمين والغربيين : ان المسلمين يتساهلون عملياً تساهلاً دينياً كريماً ويعلنون التعصب ، والغربيين يتعصبون تعصباً دينياً ذميماً ويعلنون التسامح . والناس ، يأخذون بالظاهر فيحكمون على المسلمين بالتعصب ، ويزعمون لغيرهم التساهل .

دولاً ، ثم جاء الاستقلال فأقر سياسة الاستعمار جرياً وراء الاستغلال والمنافع الشخصية . ان « الوحدة العربية » او « المجموعة العربية » تكون تمهيداً من قبل العرب « للمجموعة العالمية » التي « يسير الانسان ـ على ما نقل المؤلف ونقلنا عنه ـ سيراً طبيعياً اليها .. » .

وكان خليقاً بالأستاذ البارودي أن يعالج التقسيمات الادارية ، ولا سيما الحلقات الثلاث : المدير والقائم مقام والمحافظ (المتصرف أو الوالي) التي لا تزال قائمة في سورية دون سائر الأجزاء التي انفصلت عن الدولة العثمانية ، فاقتصرت على حلقتين . وان ينبسط في البحث في صلاحيات المحافظين وتبعاتهم أكثر مما فعل نعمل الادارة في الدولة الناشئة عمل عظيم لا يقاس غيره به ، وليست تستقيم أمور الدولة من الوجهة الادارية مع النصوص الضيقة ، والتطبيقات الحرفية .

وأحسن المؤلف في تأييده النص الذي يحرم على الموظف أن يكون حزبياً ، غير انه يجب ان يؤكد عليه ان يكون قومياً يعمل لقومه ويخلص لوطنه ، لا أن يكتفي له بالولاء للدولة . .

وكان من الأصح ان تستعمل الألفاظ الادارية المشهورة في كل عهد ، في الكلام على ذلك العهد . فقوله « ولاية دمشق » في غير محله فالولاية كانت « ولاية سورية » لا « ولاية دمشق » واستعمال « السنجق » في الكلام على « لبنان » و « القدس » لا وجه له ما دام الاستعمال الغالب عليها ، حتى عند الترك « المتصرفية » ولا معنى للعدول عن اللفظ العربي المشهور المأنوس ، الى لفظ غير مشهور وغير عربي .

هذه ملاحظات عاجلة على هذا الكتاب القيم الذي أحسن مؤلفه تأليفه وتقسيمه وتبويبه ، وأخرجه في حلة عربية ناصعة لا يؤخذ عليه فيها الا بعض ألفاظ سبق أن أشرنا الى بعضها في كلامنا على كتابه « مفهوم الدولة » .

المحاضرات العامة

للسنة الجامعية ١٩٤٩ — ١٩٥٠

طُبعت هذه المحاضرات في مطبعة الجامعة السورية، طبعاً أنيقاً على ورق صقيل، فجاءت في حلة قشيبة، خليقة بهذه المحاضرات النفيسة.

وهي ثلاث عشرة محاضرة.

الأولى: «مظاهر الحرية عند العرب» للأستاذ شفيق جبري عميد كلية الآداب.

والثانية: «الرحلة النجمية» للأستاذ وجيه السمان عميد كلية الهندسة.

والثالثة: «تاريخ اللغة البرتغالية» للأستاذ جورج ليان.

والرابعة: «نحو كيان انساني جديد» للدكتور عزة مريدن.

والخامسة والسادسة: «البحر الميت» للدكتور مجدي الشوا.

والسابعة: «رئاسة الوزراء في الفقه الدستوري المقارن» للدكتور منير العجلاني.

والثامنة: «دور التربية في توثيق الروابط بين العرب» للأستاذ أحمد شكري مهران.

والتاسعة: «تطور المثل الأعلى» للدكتور عادل العوا.

والعاشرة: «الرياضيات أو العلوم الصحيحة» للأستاذ نادر النابلسي.

والحادية عشرة: «أحكام المنازعات القانونية» لعميد كلية الحقوق الدكتور سامي الميداني.

والثانية عشرة: (فرنسية) «القواعد الأساسية لدستور ديموقراطي»
Les bases fondamantales d'une constitution démocratique
للأستاذ روبار باللو Robert Pelloux.

والثالثة عشرة: (فرنسية) «المشروعات ذات النفع العام»
Les entreprises d'intérêt general
للأستاذ فرانسوا ترابو François Trevoux.

قدم هذه المحاضرات الأستاذ قسطنطين زريق رئيس الجامعة السورية بتوطئة قال فيها :

« والجامعة بتنظيمها هذه المحاضرات انما تقوم بواجب مستمد من صميم مهمتها . فمهمتها نحو طلابها لا تقتصر على تلقينهم الدروس النظامية ، بل تتعدى هذا الى تنمية مواهبهم ، وتوسيع أفقهم بما تزودهم به من ثقافة شاملة منيرة ، وما تهيئه لهم من أسباب النشاط الحر في مختلف ميادين العلم والاجتماع .

ثم ان مهمة الجامعة لا تقف عند حدود طلابها ، بل تتعداهم الى المجتمع الواسع ، وعليها — اذا أرادت تأدية وظيفتها حق التأدية — أن تكون في محيطها مركز اشعاع للتفكير الجاد الى الحقيقة ، المخلص لها ، المنكب على اكتسابها ونشرها بين الناس » .

وفي الحق ، ان هذه المحاضرات : العربية والفرنسية : العلمية منها والأدبية ، محاضرات مفيدة حرية بأن تلقى فتسمع ، وأن تنشر فتقرأ . ليفيد منها المستمعون والقارؤن أيما فائدة . وبذلك تكون الجامعة السورية قد أدت رسالتها الثقافية على الوجه الصحيح . وكان علينا أن نتناول هذه المحاضرات واحدة واحدة بتفصيل نذكر ما لها وما عليها ، غير أن ذلك يدعو الى تطويل لا تتسع له صفحات مجلتنا . وليس جميلاً أن نذكر بعضها ونهمل بعضها الآخر ؟ فنقف عند كلمتنا الموجزة هذه .

عبد الله بن المعتز (أدبه وعلمه)

تأليف عبد العزيز سيّد الأهل

للمفتش بوزارة المعارف المصرية والمنتدب للتدريس في الكلية العاملية ببيروت

أخرجت هذا الكتاب القيم « دار العلم للملايين » ببيروت ، اخراجاً حسناً طبعاً وترتيباً فجمعت بذلك حسنات الطبع الى حسنات الوضع ·

وكأن للمؤلف هوى في ابن المعتز ، فهو قد سبق له ان ألف فيه كتاباً سماه « يوم وليلة » ثم عاد فألف فيه كتابه هذا بعد أن « تقصّاه ـ على ما قال ـ من سيرته وتاريخه الا فيما يتصل بالناحيه العلمي والأدبي » · وقد تناول الأستاذ في كتابه : « ابن المعتز » : — ١ — العصر العباسي المتوسط · — ٢ — مذهبه الشعري · — ٣ — فنون شعره · — ٤ — الأراجيز · — ٥ — النقد والبلاغة · — ٦ — أنواع نثره · — ٧ — صفته وأخلاقه ·

وقد وفّق الأستاذ في بحوثه الممتعة ، وفي بسط آرائه القيمة ، توفيقاً كبيراً ، حتى ليخيل الى القارئ وهو يقرأ هذه الفصول ، انه قد انتقل الى عصر المؤلف نفسه : يحضر مجالسه ، ويستمع الى محاضراته ومسامراته ، والى أدبه وبيانه ونقده ·

ويحدثك المؤلف عن أسلوب ابن المعتز فيقول :

« ··· وابن المعتز يبالغ في السهولة ، فيدنو بألفاظه من ألفاظ الناس وادراكاتهم ، مع الاحتفاظ به متماسكاً في معظم الأحيان ، قوياً في بعضها ، دانياً قريباً أحياناً ، ولا يصف لك هذا الادناء والتقريب في شعره ، حتى لتكاد تحسبه ناثراً الا مثل قوله : ..

كأني بك قد قلت وأطنبت وأكثرتا
وهوّنت وعظّمت وأسرفت وأفرطتا

وقربت . وبعّدت وطوّلت وعرّضتا
ووليت وأقبلت وقدمت وأخرتا
فدع عقلك هذا [1] فبالعقل تبرعتا

الا أن ابن المعتز لا يستطيع أن يجد لشعره في الطراد ألفاظاً قريبة ، فيضطر الى الاغراب في أراجيزه وطردياته ..

وكذلك يتوخى الوضوح والسهولة في الاسلوب ، فلا يعقد ولا يقدم ولا يؤخر ، ولا يصعب ويصلب ، وهو في كل ذلك ، انما يساير طبعه الرقيق ، ومزاجه اللطيف ، ويسلك مسالك اولاد الملوك ، فهو لا يتحاشى الخشونة والغرابة عن صنعة واحتيال ، بل لطبع مخلوق ، ومزاج موروث .

ويراود ابن المعتز المعاني مترفة كريمة ، فتطاوعه قوية قريبة ، ويلبسها أسلوبه الرشيق ، فيتجانس لفظه ومعناه أتم تجانس ويتمازلان . وكأنما لسانه وقلبه قد قرب أحدهما من الآخر واتفقا وتقابلا ، فانعكست صور قلبه انعكاساً واضحاً صادقاً على مرآة لسانه ، وعلى هيئتها وحقيقتها ، وقد صفا ابن المعتز ورق كضحضاح الماء النمير يظهر سطحه وقراره لأول لحظة من ناظر ، ويبين اهتزازه وسكونه لأدنى ادراكة من لامح ، فما ينوي عملاً او يتحرك في نفسه خاطر ، أو يهمس بين جنبيه هامس ، الا ظهر على لسانه مصوراً في كلامه . وكأنما خلق ابن المعتز وليس له سر ، فهو ينقل دائماً ما في قلبه للناس : غير متغير ولا منقوص » .

هذه العبارات التي نقلنا بحرفها تصف لنا المؤلف والمؤلَّف عنه أصدق وصف أسلوباً وبياناً . وقد عزز الأستاذ سيد الأهل أقواله بقطع مختارة من شعر ابن المعتز ونثره . أكثرها آية من آيات الأدب والفن .

(١) كذا وردت ولعل الصواب : فدع عقلك يا هذا ، ليستقيم الوزن .

ولغة الكتاب كما رأيت لغة صحيحة صافية لولا تساهل في بعض ألفاظ وتراكيب ، لا تنسجم كثيراً في وبيان المؤلف الفصيح ، وأسلوبه العربي الصحيح .

ولا نرى بدّاً باسم العلم والأدب ، من شكر سيّد الأهل ، على كتاب يعد من عيون كتب الأدب .



هداية القرآن لبني الانسان

موجز منتخب لتفسير القرآن

تأليف يحيى احمد الدرديري

الدكتور في الحقوق ولسانسيه في العلوم السياسية

يقع هذا الكتاب في مئتين وستين صفحة وهو « المجلد الأول : يتضمن تفسير سورتي الفاتحة والبقرة وهو الجزء الأول والثاني وبعض الثالث من كتاب الله الحكيم » .

يقول المؤلف في مقدمة كتابه : « وقد وضعنا هذا التفسير الموجز بعد ، وهو منتخب من تفاسير علمائنا الأعلام ، وفقهائنا الكرام ، وقد اقتصرنا فيه على هداية القرآن التي هي الغرض الأول ، وتركنا ما عداه من نحو وصرف وبلاغة وبيان ، حتى لا نصرف ذهن القارىء عن الهدف المقصود من الهداية » .

وفي هذه المقدمة كثير من الآراء الصائبة والصيحات الداوية ، يريد بها الدكتور أن ينبه أبناء دينه الى ما لهم وما عليهم . فهو يقول لهم في جملة ما يقوله :

« أمرنا الله في صريح العبارة بأن ندفع عن أنفسنا العدوان ، ونبذل المال والنفس في صيانة حقوقنا ، والاحتفاظ بحريتنا ومبادئنا ، وحذرنا من التهاون والبخل لأنهما طريق الذل والاستعباد والتهلكة ...

فالاسلام يدعو بصريح العبارة الى الكرامة والذود عنها ، والقتال في سبيلها ، ويعلمنا جلياً : ان الحياة ما هي الا معركة دائمة لا يبقى فيها الا الاصلح والأقوى . فهو يدعو كل مسلم لأن يكون مصلحاً ، ولأن يكون قوياً ...

فلا بد للمسلم الصادق من :

(١) التخلق بالفضيلة : الصدق في القول ، والاخلاص في العمل ، وانجاز الوعد ، وكتمان السر ، وحسن المعاشرة والمعاملة .

(٢) البذل والتضحية في النفس والمال في سبيل احقاق الحق وازهاق الباطل ، وان يحارب كل فساد وتدمير ، ويعمل على كل اصلاح وتعمير ، ويعمل على تحقيق كل خير لصلاح المجتمع .

(٣) الاعتصام بالله وبكتابه وهديه ، فيحل حلاله ، ويحرم حرامه ..

بهذه الصفات والأخلاق ساد المسلمون في الصدر الأول ، واستخلفهم الله في الأرض ، فكانوا خير الخلفاء ، وأحسن الناس سيرة وأقومهم عدلاً .» .

ويعود فيصف ما هم عليه المسلمون اليوم فيقول :

« ... يضحي الأفراد بالمبادئ السامية في سبيل المال والجاه ، والشهوة الجامحة ، وارواء النفس بأحط الشهوات .

أين هي الكرامة يا معشر المسلمين وقد غلبتم على أمركم وضاعت بلادكم واستعبدتكم شهواتكم ، وأنتم تعاملون في كافة أنحاء الدنيا معاملة الخسف والهوان ؟» .

ويستشهد المؤلف في هذه المقدمة ، كما يستشهد في خاتمة كتابه بأقوال فريق من جلة العلماء الغربيين : فرنسيين والمانيين وانكليزيين ، والعرب المسيحيين ، نوهوا بعظمة الاسلام وصلاحه من الوجهتين : الدينية والزمنية ، وبالرسالة الانسانية العليا التي حملها (ﷺ) فأداها الى الناس .

هذا شيء مما جاء في مقدمة الكتاب ، أما ما اختاره في التفسير فهذا شيء منه :

قال في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة : « ومما رزقناهم ينفقون » الرزق : ما انتفع به . والانفاق « الصرف » هنا يشمل النفقة الواجبة على الأهل والولد[1] بالعدل والقسطاس ، وصلة ذوي القربى ، وصدقة التطوع ، وهذه تكون للفقراء والمساكين ، أو لمصلحة من مصالح المسلمين ، ومنفعة من منافعهم العامة كبناء المدارس لمحاربة الجهل ، والمستشفيات لمحاربة المرض ، وانشاء معامل تعاونية ، ومؤسسات اقتصادية لمحاربة الفقر ... » .

ومنها في قوله :

« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » .

« وهذه الآية قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق الا أمراً واحداً عبر عنه بقوله : (وللرجال عليهن درجة) وليس المراد بالمثل : المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها ، وانما المراد ان الحقوق بينهما متبادلة ، وانهما أكفاء . فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله لها ، ان لم يكن مثله في شخصه ، فهو مثله في جنسه ... وجعل لهن عليهم ، مثل ماجعل لهم عليهن . وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة ، وبايع النبي المؤمنات كما بايع المؤمنين ، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم .. »

والآية تدل على اعتبار العرف في حقوق كل من الزوجين على الآخر ـ ما لم يحل العرف حراماً أو يحرم حلالاً مما عرف بالنص ـ والعرف يختلف باختلاف الناس والأزمنة » ..

ويختم الدكتور الدرديري كتابه بكلمة يصف بها سورة البقرة : مكانتها وأهدافها وأثرها ، وبكلمة ثانية في القرآن لمصطفى صادق الرافعي رحمه الله .

هذه صورة من هذا التفسير الموجز الواضح ، حري بالمتأدبين أن يرجعوا اليه ، ويعتمدوا عليه .

عارف النكدي

(١) لعله يريد النفقة على الأهل والولد .. لا الواجبة عليهم ، إذ هي واجبة لهم لا عليهم .

كتاب التشبيهات لابن أبي العون

عني بتصحيحه محمد عبد المعين خان
طبع في مطبعة جامعة كمبردج

أثبت ابن أبي عون في كتابه : التشبيهات ، أبياتاً من تشبيهات الشعراء الواقعة وبدائعهم فيها الطريفة وفي رأيه ان الشعر مقسوم على ثلاثة أنحاء ، منه المثل السائر ومنه الاستعارة الغريبة ومنه التشبيه الواقع النادر وما خرج من هذه الأقسام الثلاثة فكلام وسط أو دون لا طائل فيه ولا فائدة معه وابن أبي عون يرى أن أجلّ هذه الأنحاء وأصعبها على صانعها انما هو التشبيه وذلك انه لا يقع الا لمن طال تأمله ولطف حسه وميّز بين الأشياء بلطيف فكره وهو يعتقد ان التشبيهات التي أثبتها في كتابه فيها حظ ومتعة وتأدب ورياضة .

هذه مقدمة الكتاب التي شرح فيها المؤلف غايته ثم ابتدأ بتشبيهات الخالق ثم ذكر أدوات التشبيه وبعد هذا كله أتى على ذكر جملة من تشبيهات الشعراء من أيام الجاهلية وقد قسم هذه التشبيهات أقساماً فمنها ما يتعلق ببعض مشاهد الطبيعة كالثريا والصبح والبرق والسراب والمزن والروض والمياه والجداول وغير ذلك ومنها ما يتصل بالنساء وبعض مظاهرهن كالغنج والوجه والحديث والثدي ومنها ما يدخل في أمور نفسية كغناء الناس والخوف والدهش والجود وبعض العيوب ومنها ما يدخل في أمور مادية كالحرب وبعض أدواتها ، وفي الكتاب تشبيهات من موضوعات ثانية قد يطول ذكرها .

حقاً ان الكتاب يشتمل على متعة على نحو ما ذكر ذلك صاحبه فقد نجد فيه مشي بعض الشعراء على آثار بعض في تشبيهاتهم ، من هذا النحو قول أبي قيس ابن الاسلت :

وقد لاح في الصبح الثريّا لمن يرى كعنقود ملاّحية حين نوّرا

تبعة ابراهيم بن المهدي فوصف أرضاً قطعها فقال :

خَطْرقتها وثريا النجم خاضعة كأنّها في أديم الليل عنقود !

وقد نجد اختلاف الشعراء وتفننهم في التشبيهات ، من ذلك قول كعب الغنوي في الجوزاء :

وقد مالت الجوزاء حتى كأنها فساطيط ركب في الفلاة نزول

وقول ابن المعتز في الجوزاء أيضاً :

كأنما الجوزاء في أعلى الأفق أغصان نَور أو وشاح من ورق !

تكررت في هذا الكتاب اللطيف تشبيهات للمحدثين مثل أبي نواس وبشار ومسلم والطائي والبحتري وابن الرومي وابن المعتز وأضرابهم ووازن صاحب الكتاب بين تشبيهات المتقدمين والمحدثين فهو يرى أن المتقدمين قد افتتحوا القول وفتحوا للمحدثين الباب ونهجوا لهم الطريق فكان لهم فضل السبق واستئناف المعاني وصعوبة الابتداء الا ان المحدثين قد أحسنوا التأمل وأصابوا التشبيه وولّدوا المعاني وزادوا على ما نقلوا وأغربوا في ما أبدعوا ٠

لا شك في أن التشبيه انما هو روح الشعر لأن اللغة المجرّدة التي لا تشتمل على شيء من الصور المحسوسة الناطقة انما هي لغة الفلسفة ونحوها وهذا هو الفرق بين الفلسفة والشعر فالفلسفة تخاطب العقل والشعر يخاطب القلب والحياة اذا كانت كلها عقلاً كانت جامدة جافية فلا بدّ من شيء يهوّن من أمر هذا الجمود وهذا الجفاء ولغة الشعر هي الشيء المهوّن والتشبيه من جملة أدوات هذه اللغة ولكن التشبيه لا يعمل عمله في القلوب الا اذا كان معقولاً قريباً من واقع الحياة ولهذا كان شعر الشعراء الذين غلوا في تشبيهاتهم وبعدوا عن واقع الحياة ضعيفاً غير مهذّب ٠

شفيق جبري

مختارات

من الأدب العامي الحضرمي

جمعها السيد روبرت سارجنت ، طبعت في لندن سنة ١٩٥٠ م
عدد صفحاتها ١٨٤ صفحة

أقام جامع هذه المختارات السيد (R. B. Serjeant) في بلاد حضرموت حيناً من الدهر يخدم سياسة بلاده ويرعى مصالحها . ومن جملة مصالح انكلترا أن تعرف روحية الشعب العربي الحضرمي . وتقف على خلائقه ومختلف طبائعه ولا يتسنى هذا الا لمن خالط الشعب وأكثر من معاشرته على اختلاف طبقاته ولا سيما طبقة الأدباء والشعراء وهواة النكت والنوادر العامية . وهو ما فعله الفاضل المشار اليه . فقد شافه أدباء حضرموت وشعراءها الشعبيين وتلقى عنهم آثارهم وعُني بضبطها وتحقيق ألفاظها جد العناية حتى استكتب (كليشهات) لها بخط فاضلين من خريجي مدرسة الخطوط الملكية المصرية ، وطبع الكتاب كله على تلك (الكليشهات) . فأصبحت المختارات تُقرأ بسهولة ومن دون جهد وتفكير . ولكن ما الفائدة من ذلك كله إذا كانت تلك المختارات الحضرمية لا يفهمها الا الحضارمة ما دامت مكتوبة نثراً ونظماً بلغتهم العامية ولهجتهم الدارجة ؟ ومن قرأ المختارات أدرك لأول وهلة مقدار فضل الله على العرب مذ جمع كلمتهم بلغة القرآن الفصحى التي يلجأون اليها في التفاهم حين الحاجة ولولاها لقام في كل قطر عربي لغة جديدة لا يفهمها الا أهلوها . ولذا كان من مبدئنا مقاومة فكرة إحياء اللهجات والعناية بنشرها والكتابة بها . أما المستعمرون فيهمهم أمرها . وتمتين عراها . فيبلغون ما يريدون من أصحابها المتكلمين بها .

وجامع المختارات عدا عنايته بهذا الكتاب من جهة الخط والطبع وثخانة الورق فانه قدم لكتابه مقدمة باللغة الانكليزية غاية في الفائدة على ما يظهر من حيث

التعريف بحضرموت وأدبائها وطرائقهم في انتاج ما ينتجونه من الآثار في لهجة وطنهم وقد بلغت تلك المقدمة ٨٧ صفحة .

وصنّف تلك الآثار جامعها الى قسمين القسم الأول الآثار المنثورة والقسم الثاني الآثار المنظومة .

وافتتح القسم الأول بقوله :

(كتاب الحبوب والثار . وما كان بينهم من النظم والأشعار . تأليف من هو راجي من ربه الخيرات والبركات أحمد بن عبد الله بركات . دفين بلد شبام في ١١ محرم سنة ١٣٤٨) هـ .

وهذا الأثر الشمي الذي سُمي كتاباً ليس هو سوى رسالة أو مقامة بلغت ١٤ صفحة وقع فيها حوار بين الرزّ والبُرّ أيهما أفضل ؟ وأتبع هذه المقامة - كاتبها أو جامعها بما سماه (قراآت أو ملحوظات) علّق فيها على تلك الألفاظ تفسيراً وتحليلاً واختلاف روايات، وهكذا في سائر ما جمعه من تلك الآثار المعاصرة سواء أكانت نظماً أو نثراً . ولولا أن فائدتها بالنسبة الى قراء مجلتنا قليلة لكنا اقتبسنا طائفةً منها . على أن الأسلوب في هذه الآثار الحضرمية يتخلّله أحياناً ألفاظ فصيحة . وجمل صحيحة . لكن الروح الغالبة عليه ما لا يُفهم من اللهجة العامية الغريبة عنا . وإليك أيها القارئ مطلع هذه القصيدة بعنوان (قصيدة في ملقاة النُحم ما بين يافع وآل كثير لعمر بن محمد باعطوه) :

(يا الله ياربّاه يا خول العطى يا رافع السبع السّماء ونجومها)

(ثم قال باعطوه تزعّل مرقدى تنشّمي يا نفسيَ المهمومه) الخ .

ومهما يكن فالفائدة من هذا الكتاب مرجوة لعلماء اللهجات العربية .

ويشكر المجمع لمن أهدى اليه هذه المختارات وجامعها الفاضل .

معجميّات

عربية — سامية

مؤلفه الأب مرمرجي · طبع في مطبعة المرسلين في جونية (لبنان) سنة ١٩٥٠
عدد صفحاته ٢٤٠ صفحة

موضوع هذا الكتاب كموضوع كتابين سبقاه للمؤلف أحدهما باسم (المعجمة العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية) والآخر بعنوان (هل العربية منطقية أبحاث ثنائية ألسنية) وها هو ذا أخوهما الثالث بعنوان (معجميات عربية سامية) وكنا كتبنا تقريظاً ونقداً للكتاب الثاني (المعجمية العربية) في مجلة المجمع العلمي (سنة ٢٣ صفحة ٤٤١) أشرنا فيه الى صعوبة فهم المراد على القراء ـ من أسماء هذه الكتب فضلاً عن صعوبة فهم موضوعاتها · ومن أراد معرفة رأينا في ذلك فليرجع الى ما قلناه في التقريظ بل النقد المذكور ·

وخلاصة الموضوع ان الأب يقول ان الأسماء والأفعال في اللغة العربية ترجع في أصولها الى حرفين فقط فهي ثنائية الأصول لا ثلاثيتها كما هو المقرر الثابت عند علماء اللغة العربية · ومن أمثلته في الاستشهاد على رأيه كلمة (بلد) فهي مشتقة من مادة (لبد) · و (لبد) مشتقة من (لبّ) ومادة (لب) تفيد معنى (بلد) و (لبد) فاذا قلنا له ان (لب) ثلاثة أحرف : لام وباآن مشددتان أي مدغومة احداها في الأخرى فهي ثلاثة أحرف يقول: كلا بل هي حرفان ، فاذا احتججنا عليه بلفظنا المسموع مذ نقول (لَ بْ بَ) فالباء المشددة حرفان في الواقع ونفس الأمر ، أحالنا على علماء (الألسنية السامية) أي علماء اللغات السامية فنضطر ان نسكت ثم لا نعلم ان كان زملاؤنا في المجمع اللغوي المصري سكتوا سكوتنا مذ ألقى حضرة الأب كلمة في هذا الموضوع عليهم في خلال الصيف الماضي أو انهم سلّموا له رأيه تسليماً أو ناقشوه فيه تزييفاً

على أننا مهما عارضنا زميلنا في رأيه فاننا نعارض كل من حاول تفنيده أو اسكاته عن غير طريق العلم . فللعلم حريته . وللرأي استقلاله .

ولم يقتصر الأب في كتابه هذا (المعجميات) على بسط الموضوع المذكور بل بسط رأيه في مواضيع وألفاظ أخر ومعظمها مما سردة غبطة بطريرك السريان في حمص في كتابه الذي سماه (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية) فالأب أنكر عليه كل الانكار جعله ألفاظاً عربيةً صحيحةً من أصل سرياني . وقد أصاب في ما قال .

وانا لنرجو لصديقنا الأب مرمرجي التوفيق في ما قصد اليه من خدمة اللغة العربية الذي يهواها ويُعدّ من أكبر أنصارها .

المغربي



تهذيب الإيضاح

شرح حديث لكتاب الايضاح الذي ألفه الجلال القزويني ثم الدمشقي قاضي دمشق وخطيب جامعها المتوفى سنة ٧٣٩ هـ . هذبه ورتبه وشرحه الأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي وأستاذ العلوم العربية بكلية الآداب السورية .

الجزء الأول — فن البديع

عهدت الجامعة السورية بتدريس العلوم العربية بكلية الآداب الى صديقنا الأستاذ عز الدين التنوخي ، فقام بتدريس علم البلاغة فيها خير قيام ، وآثر في ترتيب فنونه الابتداء بفن البديع فالبيان فالمعاني ، وكتاب البديع هذا بلغ بفهارسه المنوعة ما يقرب من أربعمائة صفحة ، استهله بعد المقدمة ، وترجمة المؤلف صاحب تلخيص المفتاح ، وشرحه الإيضاح ، بفصل في تاريخ البديع ، ثم عقد نحو خمسين باباً في التحسينات اللفظية والمعنوية ، وشرحها بما لا يقل عن مثلها ، وختم كل باب بإيراد شواهد ونصوص عليه ، ليتم به تطبيق العلم على العمل ، وهذه

النصوص والشواهد آيات من التنزيل الحكيم مشار الى سورها وأرقامها ، وأحاديث نبوية معزو أكثرها الى الصحيحين والسنن ، وشعر ونثر لبلغاء الشعراء والكتاب مع الدلالة على دواوينها وكتبها ، وقد فعل مثل ذلك في ما أورده « الايضاح » من النصوص والشواهد أيضاً ، فذلل من الكتاب الصعاب بما شرح من مسائله ، وبما يسّر لطلاب الآداب من مصادر يرجعون اليها ، ويستوفون المباحث منها .

وكنت قدمت للأستاذ التنوخي كتاب « التبيان في المعاني والبيان » للطيبي ، وهو الذي كنت نسخته أيام الطلب والتحصيل ، وقرأته على أستاذنا القاسمي (رحمه الله تعالى) فنقل الأستاذ عنه ، وأشار اليه في مواضع من مؤلفه ، وقال (ص ١٤٥) : « وهو بخط صديقنا (محمد بهجة) وقد وعدته بنشره يوم أعارني مخطوطته ، وذلك إن أعان الرحمن وسمح الزمان » ونحن نسأل الله تعالى أن يحقق ذلك على يديه بمنه وتوفيقه . هذا وقد تصفحنا « التصحيحات » في آخر الكتاب فرأينا أن نضيف اليها ما سها قلم الأستاذ التنوخي عنه .

فمن ذلك أنه كتب على غلاف الأجزاء الثلاثة عن الخطيب القزويني ما نصه : « المتوفى سنة ٧٣٦ من الهجرة » مع أنه قال في ترجمته ص ١١ : وبعد أن أعيد من القاهرة الى قضاء الشام أقام بها قليلاً وتعلل ، وأصابه فالج فمات منه في منتصف جمادى الأولى سنة ٧٣٩ للهجرة اه . وفي الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٥) : مات الجلال القزويني في منتصف ج ١ سنة ٧٣٩ ومثله في الشذرات (ج ٦ ص ١٢٣) . فليصحح ما كتب على الأجزاء الثلاثة . وقال في ترجمة المؤلف : وذكرنا بأنه أخذ الأصلين أي التفسير والحديث عن الأيكي ، وهو الشمس ابو عبد الله محمد الأيكي الشافعي ، كان فقيهاً صوفياً ، وإماماً في الأصلين ، وشرح مختصر ابن الحاجب (٦٩٧ هـ) .

أقول : أما تفسيره الأصلين بالتفسير والحديث — وبقصد القرآن والحديث —

فهو صحيح في نفسه لغة وشرعاً ـ ولكنهم يريدون بالأصلين : أصول الدين وأصول الفقه ، (أي أصول العقائد وأصول التشريع) ، وفي كليات أبي البقاء : والأصل في الدين هو التوحيد ، ومختصر ابن الحاجب الذي شرحه الأبكي ، هو مختصر كتابه (منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل) وأوله : لما كان علم أصول الفقه من الأمر الجلل ..... الخ وهو مطبوع بمصر .

في الايضاح ص٢٨٣ . وقيل السجع غير مختص بالنثر (أي : بل يتعداه إلى الشعر) قال : ومثاله من الشعر قول أبي تمام من قصيدة يمدح بها نصر بن منصور :

تجلّى به رشدي ، وأثرت به يدي   وفاض به ثمدي ، واورى به زندي

والشاهد في اتفاق فواصل البيت في حرف الدال الأخير .

وقد كتب الأستاذ في تهذيبه : عبارة المصنف مقلوبة ، والصواب أن يقال : (النثر غير مختص بالسجع) لأن معنى اختصاص السجع بالنثر الا يكون شيء من النثر إلا مسجعاً ، وهذا لا يقوله أحد ومعنى اختصاص النثر بالسجع ألا يكون السجع إلا نثرياً ، وهو المقصود .

قلت : وهو من الصديق سهو أو سبق قلم ، لأن الشاهد في (السجع) والكلام فيه ، وأنه كما يقع منثوراً يقع منظوماً ، وقد أورد الشواهد الشعرية عليه ، وليس الشاهد في النثر ، وأنه يكون مسجوعاً وغير مسجوع ، لأن هذا لا خلاف فيه ، وعبارة المؤلف ظاهرة في المراد ، أما عبارة التصحيح « النثر غير مختص بالسجع » فمفادها أن النثر كما يقع مسجعاً ، يكون غير مسجّع أيضاً ، ومن يخالف في هذا ؟ وجملة المؤلف لم ترده ولم تشر اليه ، بل أرادت هذا المحسّن اللفظي ـ وهو السجع ـ وأوردت له الشواهد نثراً ونظماً ، وهي صحيحة في معناها .

مجاز اللغة والأسماء والصفات

شرح الأستاذ التنوخي في تهذيبه ، ما أورده المصنف من أسماء الله تعالى وصفاته ، ناقلاً عن الزمخشري ما فسرها به في كشافه ، وهذه أمثلة منها :

في باب المشاكلة (ص ٦٠) : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » تطلق النفس على الروح والقلب ، فلا يجوز إطلاقها على الله ، إلا على سبيل المشاكلة ، ونقل عن الكشاف ما هو بمعناه ، وقال : ورد في الكتاب المبين كثير من آيات المشاكلة ، (قال) : وبمعرفة المشاكلة يزول الإشكال في تفسيرها ، ومن التفسير ما يوجب التكفير ، وفي بحث « التورية » يقول الكشاف : وجعلوا العرش كناية عن الملك ، أي في الآية الكريمة : « الرحمن على العرش استوى » (ص ٩٠) وقال السكاكي : أكثر متشابهات القرآن من التورية (ص ٩٤) وقال الزمخشري : ولا أنفع ولا أعون على تأويل المتشابهات من كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته منها اهـ ص ٩٦) منه .

وقد وصف الأستاذ التنوخي المفسر الزمخشري بأنه بليغ العلماء والمفسرين ، واعتمد تفسيره في تهذيبه ، قلت : لا ريب أن تفسير الكشاف مؤسس على بلاغة القرآن ، ومبني على علمي المعاني والبيان ، فهو قد حقق كثيراً من فرائد الكتاب العزيز ، وكشف عن كثير من مخدرات معانيه الحسان ، فبرزت بأروع صورة ، وأجلى بيان .

ومن مزاياه أنه يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه ، ويجلي للناظر مطالع من إيجازه وإعجازه ، لكن يؤخذ على هذا التفسير ما يؤخذ على مذهب مؤلفه المعتزلي ، وهو أنه منح العقل سلطة لا تحد بحد نقل ولا عقل ، وحلق في جو لا يبلغه حس ولا علم ، فنفى ما أثبته الله لنفسه من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، كالنفس والوجه واليدين والاستواء وغيرها ، مما يختلف تمام الاختلاف

عن محسوسنا وملموسنا ، بل عن جميع ما نتصوره أو نتصوّره عقولنا وأفهامنا ، والمعتزلة قد فهموا بل زعموا أن ليس لهذه الصفات من المعاني إلا ما هو في المخلوق ، ثم نزهوا ربهم عنها إذ « ليس كمثله شيء » ثم أثبتوا لهذه الألفاظ معاني مجازية ، ثم حكموا وجزموا بأنها هي المرادة لله تعالى ، وأنت تعلم أن هذه المزاعم الأربعة لا يقوم على واحد منها دليل ، وليس هنا موضع التفصيل .

(في ص ٦٢) : نقص آية « قولوا آمنا بالله » جملة « وما أنزل الينا » .

ولعل الاستاذ الكريم يشير في مقدمة الطبعة الثانية من « التهذيب » الى ما رأى الاستغناء عنه من مباحث « الايضاح » كما فعل في حذف « الاستتباع » وهو الوصف بشيء يستتبع وصفاً آخر ، واكتفى (بالإدماج) الذي عده المصنف أعم منه ، وأشار اليه في (ص ١٩٤) . ولعله يستوفي أيضاً ضبط جميع ما يشكل على القراء من الشواهد وأصحابها ، وتاريخ وفياتهم ، وعزو الأحاديث ، ولم يفته من ذلك كله الا القليل .

أثاب الله الأستاذ التنوخي على شديد عنائه ونصبه ، وشكر له إخراج كتاب « الايضاح » مزداناً بحلل شروحه وتهذيبه ، حتى صار عمدة الدارسين والمدرسين ، في أرقى الجامعات الدينية والمدنية .



الجزء الثاني — فن البيان

كنا كتبنا على الجزء الأول من هذا الكتاب النفيس في فن البديع ، وأمامنا الآن الجزء الثاني في فن البيان ، وهو كسابقه تحقيقاً وتدقيقاً ، وشرحاً وتفصيلاً ، وإكثاراً من إيراد الشواهد الشعرية البليغة ، ودلالة على المصادر الكثيرة ، بل وإرشاداً الى صفحات المباحث المطلوبة منها أيضاً ، وختماً لكل باب بنصوص من آي الذكر الحكيم ، وحديث النبي الكريم ، وشعر العرب

التليد والطريف ، تطبيقاً للعلم على العمل ، وإنشاءً لملكة البيان في نفوس الطلاب والطالبات الجامعيين وغيرهم ، وقد وصفت الجزء الأول بمايغني عن الاعادة والتكرار .

.. ومما امتاز به هذا الجزء البياني على غيره ، هو أن الأستاذ التنوخي قد عاد به إلى أصله ، ولا يخفى أن الجلال القزويني قد لخص « المفتاح » للسكاكي في علوم البلاغة ، ثم شرح تلخيصه « بالإيضاح » ؛ ومؤلفا المفتاح والإيضاح قد لخصا كثيراً من مباحثهما من كتابي : « دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة » لإمام هذه الفنون البلاغية الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد وقع في هذه التلخيصات كثير من الإبهام والغموض ، حتى في معاني الشواهد التي أوردها عن « الأسرار » طبع المنار ، فجاء التنوخي في شرحه ، يرد كل فرع إلى أصله ، فتارة ينقل عبارة الجرجاني بتمامها ، فتوضح الغامض ، وتحل المشكل ، وتبعث في نفس القارئ الهمة والشوق إلى دراسة هذين المصنفين العظيمين « الدلائل والاعجاز » وهما أعلى لغة ، وأعذب أسلوباً ، وأوضح دلالة من المفتاح والإيضاح ، وإن كان هذان طريقاً الى الأولين ، وتارة يرشد المهذب إلى صفحات الشواهد المنقولة عن الأسرار ، ويرغب الطلاب في العودة اليها ، واستيفاء معاني الشعر منها ، ولعمري إن صياغة عبد القاهر الأدبية في كتابيه ، هي السحر الحلال لقصاده ، والماء الزلال لوراده .

ومن إيضاحات « التهذيب » أيضاً تلك الجداول البيانية ، التي سطر فيها خلاصة المباحث ، وملخص مذاهب علماء البيان فيما افترقت أنظارهم فيه ، كما ترى في بحث الاستعارة على مذهب السكاكي (ص ٢٤٣) ففيه إنكار تقسيمها الى أصلية وتبعية ، وقد رد التبعية الى قرينة المكنية ؛ كما في :(نطقت الحال) فقال : إن الحال استعارة مكنية ، و (نطقت) قرينتها ، وزيد عليه بأن قرينة المكنية عنده استعارة مصرحة ، والاستعارة في الفعل ـ أي كنطق ـ لاتكون إلا تبعية .

ومما أخذنا على المؤلف والمهذب معاً في فصل (المجاز بالحذف والزيادة) تأويل الأول لآية : « وجاء ربك » قال : أي : أمر ربك ، وعلّل المهذب ذلك بقوله : لاستحالة المجيء على الرب ، أما اسناد المجيء الى أمره فهو جائز اه (ص٢٣٩) .
وأرى أن أزيد هنا على ما استدركته على (ج ١ فن البديع) في مبحث الحقيقة والمجاز : أن مجيئه سبحانه ليس بمستحيل ، فنضطرّ الى هذا التأويل ، ولو جعلناه مجازاً بالحذف كما في قوله « واسأل القرية » أي أهلها ، لشبهناه تعالى بالجمادات التي لا يسند اليها المجيء ، كالقرية التي لا يتوجه اليها السؤال ، على أن إسناد المجيء الى « الأمر » في قولنا « وجاء أمر ربك » مجاز أيضاً ، لأن الأمر « شيء ذهني لا يتأتى منه المجيء » وإن قلنا إنه استعارة وقد حذف المشبه به وهو « الأمر » ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو « المجيء » على طريقة الاستعارة المكنية الأصليه ، فقد شبهنا أصل الموجودات ، وهو خالق الأرض والسموات ، بالمعقول أو المعدوم ، وهو أمر ربك ، لا سيا على مذهب المعطلة الذين لا يثبتون له تعالى كلاماً لفظياً ولا نفسياً ، فتبين أن كلا الأمرين ـ المجاز بالحذف والاستعارة ـ محال على الله عز وجل .

والصواب أن المجيء كالقوة والرحمة والعلم والحكمة وكصفة الكلام ، كلها من صفات الكمال ، الثابتة عقلاً ونقلاً لذي الجلال ، فمن نفاها عنه فراراً من تشبيهه بالأحياء من المخلوقات ، فقد شبهه بالجمادات والمعدومات ؛ والآلة التي تري المتكلم الآن حاضراً عندنا (Télévision) وهو لم يبرح مكانه ، تهدينا إلى فهم المجيء والنزول بلا انتقال ، ولله المثل الأعلى ، فوصفه بما وصف به نفسه حقيقي غير مجازي ، وهو لا يحتاج الى تأويل يلزمه التعطيل ، فراراً من شبهة التشبيه ، فإن تشبيه من « ليس كمثله شيء » بالمخلوق غير وارد من أصله .
وإني مضيف الى التصويب ما سها عنه قلم المصحح ، ففي ص ١١ غلط بالأرقام ظاهر فليصحح ، و (ص ١٣ س ٣) : هوازن ، و (ص ١٢ س ١) : إحداها ،

و (ص ١٣١ س ١٢) : أن تقوم فيه ، و (س ١٣) المطّهّرين ، و (ص ١٣٢ س ٨) : بمثل ، و (ص ١٨٧ س ١٠) ، هذا ما وَعَدَ ، و (ص ٢٦١ س ٥) : بفتح الصاد ، و (ص ٢٨٨ س ٧) : ذاك الغنى ، و (ص ٢٩٠ س ١٣) : لم تنتطق ، و (ص ٣٠٠ س ٩) : مواهب الفتاح .

وقد بلغ هـذا الجزء بفهارسه للموضوعات ، ومراجع البحث ، والشعراء ، والأعلام أكثر من ثلاثمائة صفحة .

شكر الله لصديقنا المؤلف حسن صنيعه وبارك في عمله .



الجزء الثالث — فن المعاني

بدأ الأستاذ التنوخي في تهذيبه وشرحه للإيضاح في علوم البلاغة بفن البديع وختمه بالمعاني ، انتقالاً بالطالب من السهل الى الصعب ، ووفاقاً لما جرى عليه عرف العلماء في الغرب ؛ فقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته أن أهل المغرب اختصوا من أصنافه علم البديع خاصة ، وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية ، وفرعوا له ألقاباً ، وعددوا أبواباً ، ونوعوا أنواعاً (قال) : « وانما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ » قلت : فما أجمل هذه الوحدة الثقافية العربية ، في أقطارها الشرقية والغربية .

وهذا الجزء الثالث كسابقيه ترتيباً وتهذيباً ، وشرحاً وايضاحاً ، واكثاراً من الشواهد ، وتمريناً على القواعد ، واعراباً بيانياً ، ولقد قرّب بعمله هـذا كتابي المفتاح والإيضاح لطلابها ، وحبب الى القراء مطالعة أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز بما نقله عنها ، وهدى إلى المراجع الكثيرة من أمهات كتب النثر والشعر ليسهل الرجوع اليها ، والاستفادة منها .

وكتابه هذا أجل الأجزاء الثلاثة ، فقد بلغت صفحاته أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة ، عدا فهارس الموضوعات ، ومراجع البحث ، ودليل الكتّاب المرتب على حروف الهجاء ، والتصحيحات ، وإني مضيف الى هذه التصحيحات

ما لم أره فيها ، مقدماً الآيات الكريمة : ص ١٠٥ س ٤ : « يدا أبي لهب » ، ص ١٣٧ س ٤ : « أو إياكم » ، ص ١٩٠ س ٩ : فإنهما ، ص ٢٣٥ : « لئن أشركت » ، ص ٢٧١ في الحاشية س ٣ : « حور » ، ص ٣٣٣ س ٦ : « في جنب الله » ، ص ٤٢٤ في الحاشية س ١ « وإذ استسقى » و س ٢ : « أناس » ، ص ٤٣٢ س ٣ « حافظوا » . ومن غير الآيات ص ٣١٦ في الحاشية س ٩ « ومن بك أمسى » بتقديم (بك) على (أمسى) ، وتأخيرها سهو مطبعي .

وقد أورد الجلال القزويني وغيره في بحث المجاز العقلي للصلتان العبدي الشاعر الحمامي قوله :

أشاب الصغير وأفنى الكبيـــر كرّ الغداة ومر العشي

أسند : أشاب وأفنى الى الكر والمر : ولم يسندهما إلى الله عز وجل ، وقال الجلال القزويني (ص ٧٢) : ولهذا لم يحمل على المجاز ما لم يُعلم أو يُظن أن قائله لم يرد ظاهره ، ولكنه عاد الى الاستشهاد بالبيت فقال (ص ٧٨) : وكصدور الكلام من الموحّد في مثل قوله (أشاب الصغير ....) البيت ، وعلق عليه الأستاذ التنوخي بقوله : « فان القرينة الدالة على المجاز معنوية ، وهي نسبة الإشابة والإفناء الى (كر الغداة ومر العشي) اهـ . قلت : ويظهر من كلام الجلال السيوطي في شرحه لأرجوزته (عقود الجمان) أن القرينة لفظية كما في قول أبي النجم « أفناه قيل الله للشمس اطلعي » بعد قوله :

ميّز عنه قنزعاً عن قنزع جذب الليالي أبطئي أو أسرعي

فقد قال السيوطي ص ١٣ : وقد وقفت على القصيدة التي منها (أشاب الصغير ....) البيت ومن جملة أبياتها :

فملتنا أننا المسلمو ن على دين صديقنا والنبي

كذا أورده المبرد في الكامل ، وعزا القصيدة إلى الصلتان العبدي فعلم بذلك حمله على المجاز (أي اللفظي) والله أعلم .

محمد بهجة البيطار

Bishr Farès - Une miniature religieuse de l'école arabe de Bagdad, (Mémoires de l'Institut Français d'Egypte, T.LI. Le Caire 1948).

(منمنمة دينية تمثل الرسول، من أسلوب التصوير العربي البغدادي)

كتاب باللغة الافرنسية عدد صفحاته (١٠٦) صفحة بالقطع الكبير و (٣٢) لوحاً مصوراً يتلوها ملحق عربي في (٣٧) صفحة لخص فيه المؤلف بحثه الافرنسي وزاد عليه بياناً ضمنه الاصطلاحات الخاصة بالفن التي استعملها لهذه الترجمة . طبع في عام ١٩٤٨ في مطبعة المعهد الافرنسي للآثار الشرقية في القاهرة .

اهتدى الأستاذ بشر فارس في دار الكتب المصرية الى نسخة خطية من الجزء الحادي عشر من كتاب الأغاني كتبها محمد بن ابي طالب البدري سنة ٦١٤ هـ . وعثر المؤلف ضمن هذا الجزء على صورة ملونة ـ أو منمنمة حسب اصطلاحه ـ زين بها الكاتب أو الرسام وجه الورقة الثانيـة التي كتب على ظهرها مطلع الفصل الأول وهو : « خبر أساقفة نجران مع النبي صلى الله عليه وسلم » . وهذا يشير الى أن موضوع الصورة هو من مشاهد الخبر الآنف الذكر . وقد أدرك الأستاذ البحاثة قدر ما عثر عليه فأظهره الى الوجود وعرف عنه بقوله : « قد مد هذا الأثر الجديد في عمر التصوير الديني الاسلامي قرناً (من بداية الثامن الى بداية السابع) ويقوم مقام شهادة عربية عظيمة الشأن في مسألة كثر فيها النقاش ، وهي التصوير الديني في الاسلام » .

لقد أضاف المؤلف بنشره هذه الصورة وثيقة جديدة الى دراسة فن التصوير عند العرب . ولهذه الصورة مغزاها في مبلغ عناية المسلمين بالتصوير الى جانب عنايتهم بالزخارف وأضراب التجميل في عصورهم الزاهرة ، وما هذه البقية الباقية

من الصور التي حفظتها عناية القدر وسلمت من عبث الجاهلين وتلف المخربين الا شهادة حق على فساد مزاعم من رموا المسلمين بالتعصب الديني لأنهم أهملوا النحت والتصوير وتجنبوهما . وقد حان الوقت لاعادة النظر في قضية تحريم التصوير في الاسلام ودحض التأولات أو التفاسير الخاطئة في هذا الشأن بعد أن زود الجبانة بمثات الوثائق المصورة التي يرجع عهد بعضها الى صدر الاسلام .

ومن المؤسف ان تغفل كتب التراجم سير أكثر النساخ ولذلك أهملت سيرة صاحبنا محمد بن ابي طالب ، غير انه يمكننا أن نجزم بأنه شيعي المذهب كما يستدل ذلك من العبارة التي اختتم بها ما استنسخه (لوح ٢) وهي : « الحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وعلى وصيه وآلهما الطاهرين وسلامه » . وهذا يدعم ما ذهب اليه المؤلف من نسبة هذه الصورة لأسلوب التصوير العربي البغدادي لأن انتشار المذهب الشيعي وقتئذ كان بأوسع مداه في العراق بخلاف ما كان عليه في بلاد الشام .

ورغم الطابع البغدادي الظاهر على هذه الصورة فانها لا تخلو من معالم تأثير الفن المسيحي السوري ، ولا يستنكر ذلك لأن الفن المسيحي الذي احتفظت به بلاد الشام قد نقله منها فنانو بغداد في عهد العباسيين وطوروه من دون ان يتحرروا من أساليبه حتى امتزج الطابعان وتشابها .

وأما الملحق العربي فهو أبعد من أن يحيط بما في الأصل من فوائد الأبحاث ، ولكن كان الغرض منه كما قال المؤلف : « ان تجري الثقافة العربية الى المشاركة في التأليف العلمي حتى تستوي فتتمكن فتذيع .... ولا يحسن بالناظر المتعقب الا ان يعتمد الكتاب لا الموجز » . وقوله هو خير تعريف .

وأما الاصطلاحات الفنية التي اعتمدها المؤلف فيجدر بحثها على حدة لأهميتها وعظيم فائدتها .

جعفر الحسني

الموسوعة الاجتماعية

تصدرها باللغة العربية لجنة نشر الثقافة الاجتماعية بمصر

مطبعة مصر في ٩٦ صفحة من القطع الكبير

ينصرف العالم الآن بعد حربين طاحنتين الى الدراسات الاجتماعية الحديثة لعلها تقدم للأمراض الاجتماعية والاصلاح الاجتماعي دواء ناجعاً . وتوجهت الأنظار الى علماء الاجتماع يرجون على يديهم الشفاء ، فصدرت لذلك مؤلفات وكتب كثيرة في أوربا وأميركا راجت رواجاً عظيماً في العالمين . ولكن العالم الجديد قطع في هذا الميدان شوطاً واسعاً فقام بانشاء موسوعة للعلوم الاجتماعية يحررها بالانكليزية أئمة علماء الاجتماع في العالم تحت رعاية عشرة مجامع علمية أميركية . وقد اشترك صفوة الكتاب في هذه الموسوعة وعاونهم عدد من المستشارين لمراجعتها ونقدها ، واستمر العمل في تأليفها خمسة عشر عاماً ، فاحتلت موقع الصدارة بين الآثار العلمية الحديثة في أوربا وأميركا .

ويكاد أكثر الشرقيين والعرب يجهلون ما لهذه الموسوعة من مقام رفيع وأثر فعال في تطور الجماعات عندنا وتدرج الحياة في بلادنا ؛ لذلك قامت في القاهرة لجنة من صفوة المثقفين فأنشأت جمعية لترجمة هذه الموسوعة إلى اللغة العربية ودعتها « لجنة نشر الثقافة الاجتماعية » ويشرف على تحرير هذه اللجنة الأستاذان علي حسني وابراهيم زكي خورشيد ، ويقوم على ادارتها الأستاذ احمد الشنتناوي ، ويدير التحرير فيها الأستاذ محمود محمد شاكر . ولكل من هؤلاء الأساتذة جهده المشكور وأثره المذكور في ميدان التأليف والترجمة . والقراء يذكرون ترجمة دائرة المعارف الاسلامية وغيرها من الكتب التي نشرها أو ترجمها هؤلاء الأساتذة .

هذه هي الخطوة المباركة التي خطتها اللجنة في ترجمة هذه الموسوعة ترجمة دقيقة في سلاسة ويسر ، وعبارة منسجمة مع أسلوب البحث . فالمفردات العربية دفينة في قلب معجماتنا ، والمفردات الغربية غريبة على مصطلحاتنا . وقد بوبت اللجنة هذه المباحث ورتبتها على حروف الهجاء العربي فجعلتها كأنها وضعت للعرب حين وضعت . وربما وقع في حرف الألف بالترجمة العربيـة ما موقعه الحرف الخامس عشر من الأصل الانكليزي .

وقد ذكرت اللجنة في ختام كل مقال المصادر التي اعتمد عليها المؤلفون ذكراً كاملاً باللغات الأصلية . ويحتوي هذا المجلد الأول على بعض حرف الألف : كالائتلاف والآثار وآداب المجتمع والمهنة والابعاد السيامي والايقورية والاتحاد والاتحادية والاتفاقات والمعاهدات إلى جانب الأعلام المبدوءة بالألف من شرقيين وغربيين وفيهم ابن تيمية وابن رشد وابن خلدون وابن حنبل ومسكويه وابن ميمون وابـن وغيرهم .

وفي هذه الموسوعة من الجهد ما يقصر عنه كثير من المؤلفين والمترجمين وفقت فيه اللجنة . وإذا كنا نأخذ عليها شيئاً فانما نأخذ عليها الخطأ المطبعي في رسم بعض المصادر الألمانية والفرنسية مما يحتاج الى دقة بالغة في التصحيح والمراجعة .

ونطمع كذلك أن تتزيد اللجنة في الأعلام العربية من ذكر مصادر أغفلتها الموسوعة كمادة ابن تيمية مثلاً فقد ألف فيه المستشرق هانري لاووست كتاباً يزيد على سبعمائة صفحة ونشره في مصر بين ظهراني الأساتذة المترجمين [1] ، وقد فعل ذلك بعض أعضاء اللجنة حين ترجموا دائرة المعارف الاسلامية فذكروا ما أغفل المستشرقون ، وصححوا فيه وأضافوا اليه .



(1) Henri Laoust, *Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-D-Din Ahmad B. Taimiya,* Le Caire 1939, 755 pages, in8°.

ألوان شتى — مجموعة شعر

لطالب الحيدري

١٥٩ صفحة من القطع المتوسط — مطابع دار الكشاف في بيروت

هذا ديوان فيه صورة جديدة لشعر الشباب وألوان جديدة من ألوان الشعر المعاصر قد انطبع بطابع العصر وتلون بلون الزمان فليس من شعر المناسبات الذي انقضى عليه ربع القرن الماضي بولادة مولود ووفاة شيخ أو زيارة زعيم أو تتويج ملك . وليس في شعر الغزل الصرف يمج كله بالصدر والعطر ، والجسد والمادة . ولكنه صورة الشباب المتوثب الذي يتقد وطنية فيثور على نظام الطبقات ، وينتصر للفقير والبائس ، وينتظم في صفوف الشعب المناضل .

والشاعر طالب الحيدري عراقي ، نشر ديوانه وهو في الثانية والعشرين ونظمه وهو في العشرين ، وقد ذكر في ديوانه (ص ٨٧) أنه قد احتفل سنة ١٩٤٧ ببلوغه عشرين عاماً وقال حينذاك :

أيها اللهو لا أرى لك عوداً ... كيف ألهو وقد خطبت الكمالا
سوف أقفو «الشريف» فضلاً ونبلاً ... وأكون «الوليد» سحراً حلالا
ليس من يقطع الحياة خمولاً ... مثل من يقطع الحياة نضالا
ان عمر الفتى صحائف أعمال ... فسجّل لنفسك الأعمالا
لا يُنال الخلود إلاّ بآثار ... تهز الأجيال فالأجيالا

ويقول في جده وقد استشهد في «القرنة» سنة ١٩١٤ ذائداً عن وطنه (ص٧٨):

قد مات في الميدان بعد جهاده ... إنّ الفتى من مات في الميدان
قد كان «جدي» في الشهادة أولاً ... وسعادتي في أن أكون الثاني

ويقول :

همتي تنسف الجبال وعزمي ... لا يرى في الأمور أمراً محالا
قد خطبتُ العلى فغاليت بالمهر ... ومن يخطب الجميلة غالي

وهو ينظر الى قول فارس الحمدانيين :

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهرُ

ولعل الشاعر وقد أحب وطنه ودعا الى الاستشهاد في سبيله قد تلفت الى التاريخ فجلا منه صوراً عزيزة فيها صور النبي الكريم وعليّ بن أبي طالب وابنه الحسين[1] ، وقد عاج خلال ذلك الى نفسه فوصف حياته بقوله (ص ١٠٠) :

يحيا حياة كلها غصص ويعيش عيشاً ماحلاً مرّا

وهو على هذا البؤس والألم يصف الطبيعة ومجاليها وفتنتها وسحرها ، ويصف المرأة بما وصفها به الشعراء ، فطرق أبواب الشعر المعروفة . وقد كنا نود أن يخلو هذا الديوان الوطني من صفحات التشبيب المادي فالدواوين المعاصرة تُغني عنه ، ولكنه بسط العذر لنفسه فقال :

هناك لهوت مع اللاهيات كما يشتهي عنفوان الصبا

والديوان بجملته في أسلوب سلس سهل . فنحن مع الأستاذ محمد رضا الشبيبي الذي قدم الديوان نرى في قصة هذا الشاعر المتألم « قصة الشباب العراقي بأسره بل هي قصة الشباب في كل بلد عربي مغلوب على أمره » ، ونحن مع الأستاذ الشبيبي في الدعاء لهذا الشاعر الشاب بالتوفيق .

الدكتور سامي الدهان



(١) وكنا نود أن يبرى هذا الديوان من القذف في الخلفاء (ص ١١١) لأن هذه النغمة بطلت ولا تليق بابن العصر أن يردد حديثاً سخيفاً أكل الدهر عليه. (المجمع)

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م

١	الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع)	دمشق
٢	الدكتور اسعد الحكيم	〃
٣	الأمير جعفر الحسني	〃
٤	الدكتور جميل صليبا	〃
٥	〃 حسني سبح	〃
٦	الأستاذ خليل مردم بك (أمين السر العام)	〃
٧	〃 سليم الجندي	〃
٨	〃 شفيق جبري	〃
٩	〃 عارف النكدي	〃
١٠	الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	〃
١١	الاستاذ عز الدين التنوخي	〃
١٢	〃 فارس الخوري	〃
١٣	السيد محسن الأمين	〃
١٤	الاستاذ محمد البزم	〃
١٥	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
١٦	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٧	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٨	الدكتور منير العجلاني	〃
١٩	الاستاذ هنري لاوست	〃
٢٠	الشيخ عبد الحميد الكيالي	حلب
٢١	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	〃
٢٢	الاستاذ عمر ابو ريشة	حلب
٢٣	الشيخ محمد زين العابدين	〃
٢٤	البطريرك مار اغناطيوس افرام	حمص
٢٥	الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	اللاذقية
٢٦	الشيخ سعيد العرفي	دير الزور
٢٧	الاستاذ أنيس المقدسي	بيروت
٢٨	〃 بشارة الخوري	〃
٢٩	الدكتور صبحي المحمصاني	〃
٣٠	〃 عمر فروخ	〃
٣١	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٣٢	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٣٣	الدكتور نقولا فياض	〃
٣٤	الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٥	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة
٣٦	الشيخ سليمان ظاهر	〃 〃
٣٧	الأب أ. س. مرمرجي الدومنكي	القدس
٣٨	محمد الشريقي باشا	عمان
٣٩	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٤٠	طه باشا الهاشمي	〃
٤١	الاستاذ عباس العزاوي	〃

٤٢	الشيخ كاظم الدجيلي	بغداد	
٤٣	〃 محمد بهجة الاثري	〃	
٤٤	الدكتور مصطفى جواد	〃	
٤٥	الاستاذ احمد حامد الصراف	〃	
٤٦	〃 كوركيس عواد	〃	
٤٧	الدكتور داود الچلبي	الموصل	
٤٨	احمد امين بك	القاهرة	
٤٩	الاستاذ احمد حسن الزيات	〃	
٥٠	الدكتور احمد زكي بك	〃	
٥١	احمد لطفي السيد باشا	〃	
٥٢	الاستاذ خليل ثابت	〃	
٥٣	الاستاذ خير الدين الزركلي	〃	
٥٤	الدكتور طه حسين باشا	〃	
٥٥	الاستاذ عباس محمود العقاد	〃	
٥٦	الدكتور عبد الوهاب عزام	〃	
٥٧	الشيخ محمد الخضر حسين	〃	
٥٨	الاستاذ محمد لطفي جمعة	〃	
٥٩	الأمير يوسف كمال	〃	
٦٠	الأستاذ عبد الحميد العبادي	الاسكندرية	
٦١	〃 حمد الجاسر	الرياض	
٦٢	حسن حسني عبدالوهاب باشا	تونس	
٦٣	الاستاذ مارسه	〃	
٦٤	〃 عبد الحي الكتاني	فاس	
٦٥	〃 محمد الحجوي	مراكش	
٦٦	الاستاذ عباس إقبال	طهران	
٦٧	〃 عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	علیکر	
٦٨	〃 أ . كي	فرنسا	
٦٩	〃 ماسه	باريس	
٧٠	〃 دوسو	〃	
٧١	〃 كولان	〃	
٧٢	〃 ماسينيون	〃	
٧٣	〃 هيس	سويسرا ـ زوريخ	
٧٤	〃 كرينكو	كمبردج	
٧٥	〃 ا . ج . اربري	〃	
٧٦	〃 هـ.ا.ر.جيب	(اوكسفورد)	
٧٧	〃 الفرد غليوم	لندن	
٧٨	〃 اميليو غارسيا غومز	مدريد	
٧٩	〃 فرنسيسكو جبرآلي	روما	
٨٠	〃 بروكلمن	المانية	
٨١	〃 هارتمان (ريشارد)	برلين	
٨٣	〃 هـ . ريتر	فرنكفورت	
٨٣	〃 سترستين	السويد ـ اوبسالا	
٨٤	〃 استروب	كوبنهاغ ـ الدانيمارك	
٨٥	〃 بدرسن	〃	〃
٨٦	〃 موجيك	فينا	
٨٧	〃 ماهلر	بودابست	
٨٨	〃 كرسيكو	كانغازولو ـ فنلاندة	
٨٩	〃 فيليب حتي	اميركة ـ پرنستون	
٩٠	〃 سعيد ابو جمرة	سانباولو ـ البرازيل	

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	الاستاذ مسعود الكواكبي	〃
٤	〃 الياس قدسي	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃
٦	〃 جميل العظم	〃
٧	〃 مانجو	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃
١٠	〃 رشد بقدونس	〃
١١	〃 اديب التقي	〃
١٢	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٣	الاستاذ معروف الأرناؤط	〃
١٤	الأب جرجس شلحت	حلب
١٥	〃 جرجس منش	〃
١٦	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃
١٧	الشيخ كامل الغزي	〃
١٨	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃
١٩	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٢٠	〃 راغب الطباخ	〃
٢١	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٢	الدكتور صالح قنباز	حماة
٢٣	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٢٤	الاستاذ ادوار مرقص	〃
٢٥	الاستاذ حسن بيهم	بيروت
٢٦	الأب لويس شيخو	〃
٢٧	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٢٨	الاستاذ جبر ضومط	〃
٢٩	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٣٠	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٣١	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٣٢	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٣٣	〃 بولس الخولي	〃
٣٤	〃 امين الريحاني	لبنان
٣٥	الامير شكيب ارسلان	〃
٣٦	الشيخ ابراهيم منذر	〃
٣٧	الاستاذ جرجي يني	طرابلس الشام
٣٨	〃 نخلة زريق	القدس
٣٩	الشيخ خليل الخالدي	〃
٤٠	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٤١	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٤٢	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٣	الاستاذ محمود شكري الآلوسي	بغداد
٤٤	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٤٥	〃 معروف الرصافي	〃
٤٦	〃 طه الراوي	〃
٤٧	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٤٨	الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة

٤٩	احمد زكي باشا	القاهرة
٥٠	احمد شوقي بك	〃
٥١	حافظ ابراهيم بك	〃
٥٢	الاستاذ اسعد خليل داغر	〃
٥٣	السيد محمد رشيد رضا	〃
٥٤	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	〃
٥٥	احمد كمال باشا	〃
٥٦	احمد تيمور باشا	〃
٥٧	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٥٨	الدكتور يعقوب صروف	〃
٥٩	الاستاذ اوجينيو غريفيني	〃
٦٠	〃 رفيق العظم	〃
٦١	〃 داود بركات	〃
٦٢	الدكتور امين المعلوف	〃
٦٣	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٦٤	الدكتور احمد عيسى بك	〃
٦٥	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٦٦	انطون الجميل باشا	〃
٦٧	خليل مطران بك	〃
٦٨	الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني	〃
٦٩	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٧٠	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٧١	الاستاذ رينه باسه	〃
٧٢	〃 ميشو بللير	طنجة
٧٣	〃 زكي مغامز	الاستانة
٧٤	الحكيم محمد اجمل خان	الهند
٧٥	الاستاذ فران	باريس
٧٦	〃 كليمان هوار	〃
٧٧	〃 بوفا	〃
٧٨	〃 جويدي	ايطاليا
٧٩	〃 نللينو	〃
٨٠	〃 هومل	المانيا
٨١	〃 ساخاو	〃
٨٢	〃 هوروفيتز	〃
٨٣	〃 مارتين هارتمان	〃
٨٤	〃 ميتفوخ	〃
٨٥	〃 مونته	سويسرا
٨٦	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٨٧	〃 اراندونك	〃
٨٨	〃 هوتسما	〃
٨٩	〃 مرجليوث	انكلترا
٩٠	〃 بفن	〃
٩١	〃 براون	〃
٩٢	〃 بوهل	كوبنهاغ ـ الدانيمارك
٩٣	« اغناطيوس غولدصيهر	بودابست
٩٤	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان
٩٥	الاستاذ ماكدونالد	اميركا
٩٦	〃 هرزفلد	〃
٩٧	« آسين بلاسيوس	(مجريط) اسبانيا
٩٨	〃 لويس	(لشبونة) البرتغال
٩٩	〃 موزل	تشكوسلوفاكية
١٠٠	〃 كوفالسكي	بولونية
١٠١	〃 كراتشكوفسكي	ليننغراد

ديوان ابن حيّوس

جزءان في ٥٠/٦٩٥ صفحة (مطبوعات المجمع العلمي العربي سنة ١٣٧١)

قام المجمع العلمي العربي بطبع ديوان الشاعر الأمير ، مصطفى الدولة ابي الفتيان ، محمد بن سلطان المعروف بابن حيّوس ، الغنوي ، الدمشقي ، المولود سنة ٣٩٤ هـ والمتوفى سنة ٤٧٣ هـ ـ بعد أن حققه العلامة السيد خليل مردم بك تحقيقاً علمياً ـ فوضع له مقدمة ضافية ، تناول فيها البحث عن حياة الشاعر ، وعلمه وأدبه ، ثم شعره فبين خصائصه ، وذكر منزلته من شعراء وقته ، ثم وصف النسخ التي عول عليها ، أو رجع اليها عند الطبع ـ فجاءت هذه المقدمة حاوية لكل ما يتعلق بذلك الشاعر من دراسة وتحقيق . ووقع الديوان في بضع واربعين وسبعمائة صفحة مطبوعاً طبعاً حسناً بحروف واضحة مشكولة ، على ورق صقيل ، تقع المقدمة في خمسين صفحة ، وفهارس الأعلام والبلدان والأمكنة والقوافي والمراجع في عشرين .

ظهر أثر التحقيق في كل صفحة من صفحات الديوان ، ظهوراً دل على بعض ما اتصف به الأستاذ الناشر من اطلاع واسع ، وصبر ، وجلد ، على كثرة مراجعة أمهات كتب الأدب واللغة والتاريخ ، التي عد منها ثمانية وستين كتاباً بين مخطوط ومطبوع .

ونشر المخطوطات القديمة نشراً علمياً صحيحاً لا يدرك مشقته ، ولا يعلم صعوبته ، الا من زاوله ، وعرف ما مُنيَتْ به تلك المؤلفات من كثرة التصحيف والتحريف . وللأستاذ في هذا المجال جولات حالفها التوفيق ، كتحقيقه لديوان الشاعرين ، علي بن الجهم ، وابن عنين . وقد علمت بأنه يقوم بتحقيق ديوان ابن ابي حُصَيْنة السلمي المعري ، وهو شاعر عاصر ابا العلاء المعري وعاش بعده ، حتى رثاه بمرثاة ذكر بعضها ابن الوردي في تاريخه . وشرح المعري ديوانه شرحاً

مماثلاً لشرحه ديوان البحتري (عبث الوليد) ويوجد بعض هذا الشرح في مكتبة (الآثار) في بغداد ، وصفتها في أحد أعداد مجلة المجمع العلمي سنة ١٣٦٨ .
ويملك المجمع العلمي نسخة أخرى من شعر هذا الشاعر صورت في مكتبة (الاسكوريال) في اسبانيا .

ولقد أمضيت برهة قصيرة في مطالعة ذلك الديوان ، خرجت منها مطمئن النفس باحياء تراثنا العلمي العظيم ، الذي خلفه لنا سلفنا الصالح ، في جميع ضروب العلم وفنونه ولم نعدم بعد من يقدر ذلك التراث حق قدره ، ويعيره من الاهتمام والعناية ما يجعل الانتفاع به سهلاً ميسوراً .

ولقد مررت أثناء قراءتي الديوان بكلمات جنى عليها التطبيع (الخطأ المطبعي) فأعجمها ، وأخرى ظهر لي من وجه صوابها خلاف ما ظهر لأستاذنا مردم بك ، فأحببت الاشارة الى بعض تلك الكلمات .

١ — في الصفحات (٣٢١ ، ٥٣٥ ، ٥٥٧ ، ٦٠٤ ، ٦٢٨) رَضْوَى جبل بالمدينة . مع ان المعروف ان هذا الجبل بعيد عن المدينة وواقع بقرب بلدة ينبع (بينها وبين ينبع النخل) ويشاهده مَنْ في البلدتين عن كثب ، كما يشاهده المارُّ في البحر عندما يحاذي ينبع عن قرب ، ولعل من الطريف ما وقع لي حينما كنت مدرساً في مدرسة ينبع فقد كنت أشرح للطلبة قول ابي العلاء المعري :

تهم الليالي بعض ما أنا مضمر ويثقل رضوى دون ما أنا حامل

نقلت (اعتماداً على قول بعض المتقدمين ، وكنت أجهل ذلك الجبل ، لحدوث عهدي بالقدوم الى تلك البلدة) : رضوى جبلٌ قريب من المدينة ، سهل المرتقى ، ترقاه الابل . فقال الطلبة بلسان واحد : ها هو جبل رضوى من هذه النافذة ، وهو صعب المرتقى ، بعيد عن المدينة بمسيرة خمسة أيام للابل تقريباً !

٢ — وفي (صفحتي ٥٤٢ ، ٥٥٨) : يلملم جبل على ليلتين من الطائف .

والصواب في رأيي ما في صفحتي (٥٧٦، ٦٠٤) : يلملم جبل على مرحلتين من مكة . والكلمتان اتفقتا وَضعاً ولم تختلفا ضَبْطاً (انظر صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١٧٥، ٢٦٤) . ولا يزال هذا الجبل معروفاً بهذا الاسم يمر به القادمون من اليمن بطريق تهامة الى مكة ويحرمون للحج والعمرة منه ، وهو الميقات الذي وقته رسول الله ﷺ لهم .

٣ — وفي (ص ٦٥٤) : وجرة بينها وبين البصرة نحو أربعين ميلاً وليس فيها منزل فهي مربٌ للوحش . ولقد ذكرت حينما قرأت هذا التعريف قول الشريف الرضي :

سهْمٌ أصاب ـ وراميه بذي سلم ـ مَنْ بالعراق. لقد أبْعَدتِ مَرْماكِ !

ولعل هذا من بلايا التطبيع حيث سقطت كلمة (طريق) قبل كلمة (البصرة) اذ بين وجرة وبين البصرة مئات الأميال ـ فهي تقع عن يسار طريق حجاج البصرة قبل وصولهم الى ذات عرق (محل ميقاتهم وهي الحد الفاصل بين نجد وبين الحجاز عند متقدمي المؤرخين) قبل وصولهم بمرحلة واحدة . قال ابو علي الحسن بن عبد الله الاصبهاني (في كتاب بلاد العرب ص ٤٧ ـ نسختي الخطية) : ثم تجوز مُرّان ، فترد الشبكة ، وهي ماء عليه نجار ، ثم ليس دون وجْرَة إلا مُتَعَشّى يقال له بُسْتَان ، فيه من ماء السماء ، ثم أوطاس ، أشرفت على غور تهامة ، وعلى رأس الشرف مسجدٌ يقال له مسجد النجف ، ثم تشرف على ذات عرق ... وقال ابو جعفر : أهل الكوفة يحرمون بغمرة ، وأهل البصرة بوجرة وهو منهل من مناهل طريق البصرة ، وهما يتَسَرّ آن ، وبينهما نحو من ثلاثة فراسخ .... وقال .. اذا خرجت من غَمرَة أو وجْرَة فأردت أن تجعل الى مكة مرحلتين فالمرحلة الأولى الغمير ، ومن جعلها ثلاثاً فمرحلة ذات عرق ، ثم البُسْتان ، ثم مكة . وقال الهمداني في (صفة الجزيرة ص ١٤٢، ١٤٣) : غمرة عن يسارها وجرة ، على طريق البصرة المارة بفلج

والموحدة وليس بها ماء ثم خرمان ثم ذات عرق . وقال (ص ١٨٥) : فمن مكة الى البستان تسعة وعشرون ميلاً وعرض البستان أحد وعشرون جزءاً وربع ومنه الى ذات عرق اربعة وعشرون ميلاً ، وعرض ذات عرق أحد وعشرون جزءاً وثلثا جزء ، ومنها الى الغمرة عشرون ميلا ، وعرض الغمرة اثنان وعشرون جزءاً ، وقال (ص ١٤٣) : ثم ترجع على الطريق البصري فتشرب بوجرة وهي بئر وبركة مُقَضْقَضَة ، ثم تهبط السِّيَّ وهي بلد مضلّة ، ثم أسفل منه بُسْيانُ وأسفل من بُسْيان النثراوات . كذا قال وبسيان والنفراوات (بالفاء كما في كثير من كتب الأدب ومعاجم الأمكنة) لا تزال معروفة بأسمائها في عهدنا ، أما اسم (وجرة) فمجهول وقد أطلق عليها وعلى ما يجاورها من الأرض الفسيحة البراح الخالية من الجبال اسم (ركبة) وهو اسم قديم لقسم من تلك الأرض ورد في المعاجم القديمة فشمل في هذا العهد كل المواضع التي يطلق عليها قديمًا (وجْرة ، وغمرة ، والسِّيّ ، واوطاس) . ونسيت هذه الأسماء وجهل تحديد تلك المواضع ، ولا تزال ركبة مَرْبَعًا للوحش (انظر لتحديد ركبة كتاب «في بلاد عسير» ص ١٨ الى ٢٤ تأليف فؤاد حمزة) .

٤ — وفي (ص ٥٢٦) :

بأرض أنبتت كرمًا وبأسًا جناه العز لا نشماً ورغلا

وقد علق عليه الأستاذ قائلاً : في الأصل (لا يَنَماً ورعلا) وهو تصحيف غير يسير تصحيحه . والنشم شجر القسي يقال : معه زَوْرَاء من نَشَم . والرغل بالضم نبت ، وقيل السَّرمَقُ ، وهو نبات القطف معرّب والقطف شجر جبلي خشبه متين انتهى . وأقول لعل الصواب (لا ينما ورغلا) . والينم ـ بالياء المثناة التحتية بعدها نون فميم ـ واحده ينمة نبات بريّ وَسَمْيِيٌّ ينبت في السهلة (الأرض الرملية) ذو ورق دقاق طوال ، أغبث اللون ، وله سنبل يشبه سنبل

الكراث ، فيه حبيبات صغيرة حلوة الطعم معروف بهذا الاسم عند بعض أهل نجد (أهل سُدَيْر لا يعرفونه الا بهذا الاسم) ويسميه بعضهم (ربلة) براء مكسورة بعدها باء موحدة فلام . وورد اسمه في بعض كتب متأخري فقهاء الحنابلة (بزر قطونا) يذكرونه في باب ما لا تجب فيه الزكاة من الحبوب .

وكثيراً ما يقرن الشعراء هذين الاسمين (الينم والرغل) كقول المتنبي :

تحدي الركاب بنا بيضاً مشافرها ... خُضْراً فراسِنُها في الرُّغْلِ والْيَنَمِ

أما الرغل فلا يزال معروفاً بين أهل نجد بهذا الاسم وهو من النباتات الصيفية التي لا تنبت الا في الرياض (القيعان) له أغصان قصيرة ، منفرشة على الأرض ، يبلغ طولها شبراً ، وله ورق مُؤَلَّلُ الأطراف ، صغير ، شبيه بورق الحَبَّاز ، ولونه أشهب ، تحمض الابل برعيه ، وليس شجراً جبليّاً ، ذا خشب متين .

٥ — وفي (ص ٥٣٦) : قبائل قيس العرب العدنانية ـ في شرح قول الشاعر :

وأنشرت في قحطان أوساً وحاتماً ... وأنشرت في قيس زياداً وجرولا

ومن المعروف ان العرب العدنانيه لا يطلق على جميعها اسم (قيس) اذ أصولها أربعة : مضر ، وربيعة ، وأنمار ، واياد ، ثم مضر أصلان : الياس ، وعيلان ، أو خندف ، وقيس ، وقيس هم من عيلان (انظر طرفة الأصحاب في أصول الأنساب ص ٥٧ طبعة المجمع العلمي العربي سنة ١٣٦٩) .

٦ — وفي (ص ١٠٦) ورد هذا البيت بهذه الصفة :

بأبناء مرداس ـ وحسبك نصرهم ـ ... تعمّر جوداً كان قدماً تجاهما ؟

وقد تبادر الى ذهني ان صحة البيت :

بأبناء مرداس ـ وحسبك نصرهم ـ ... تَعَمَّرَ جَوْدٌ كان قدماً تَجَهَّمَا

(تعمّر) أي قوي وجاد غيثه . و (الجَوْد) السحاب الغزير المطر . و (الجهام) الغيم الذي لا يمطر . وأهل نجد يقولون (تعمّر السحاب ـ وتَعَمَّرَ الخيال) ويقصدون اجتمع الغيم وقوي حتى تحقق نزول مطره ، ويدل على هذا المعنى البيت الثاني :

وزاد الى أن طبق الوهد سَيْبُهُ ولم يرض احقاف الرُّبى فتسنما

٧ — وفي (ص ٦٢١) :

فعل الصليحي بالجيشانِ مزدلفاً برابنيك فما زلت به قدم

وعلق الأستاذ قائلاً (الصليحي هو ابو الحسن علي بن محمد الصليحي القائم في اليمن بدعوة المستنصر ـ انظر وفيات الأعيان (ج ١ ص ٤٦٥) ، جيشان مخلاف باليمن) . وأقول لعل الصواب : فعل الصليحي بالحُبْشان ـ جمع حبشي ـ اذ الصليحي قضى على دولة الحبشان التي قامت بعد الدولة الزيادية ، فحكمت زبيد ، ونواحيها من تهامة ، وهم موالي لآل زياد استولوا على البلاد بعدهم ومن مشاهيرهم (الحسين بن سلامة) وله مآثر في اصلاح طريق الحج من تهامة وحفر الآبار وتعبيد الطرق . ومن أولئك نجاح وجياش وسعيد الأحول (انظر أخبار هؤلاء في العسجد المسبوك ـ الباب الرابع ـ لأبي الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ نسخة مكتبة البلدية في الاسكندرية ـ وفي مكتبة الحرم المكي بمكة ـ وفي مكتبة السلطان محمود في المدينة ـ وقد ذكرهم عمارة اليمني في تاريخه وابن الديبع في بغية المستفيد في أخبار زبيد ـ وغيرهما) . ويؤيد هذا المعنى البيت الذي قبل هذا وهو :

وما أراك بما قد كان متتعاً حتى يبيد الهلاليون كلهم

والبيت الذي بعده وهو :

يا ماسقى الأرض غيثاً من دمائهم لا تدّعي مثله في سحّها الدِّيَمُ

أما كلمة (الجيشان) فهي تصحيف لكلمة (الحبشان) جمع حبشي ، ورد في الشعر القديم :

وكل القوم يسأل عن نفيل كأن عليّ للحبشان دينا

(انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٤ طبعة الأستاذ محيي الدين عبد الحميد بمصر سنة ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧) .

٨ — وفي (ص ١٨٦) : أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن حمير . والذي أعرفه عن نسب أدد غير هذا فابن هشام (في السيرة ج ١ ص ٥) والهمداني

(في الاكليل ج ١ ص ١١ نسختي الخطية) وياقوت الحموي (في المقتضب من جمهرة النسب ورقة ٧٦ نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة سنة ٦١٦) وصاحب طرفة الأصحاب (ص ١٨ ، ٣٧) كلهم ذكروا أنّ سبأ ـ أحد أجداد أدد ـ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . كما ذكروا أن حمير هو ابن كهلان فيكون أخًا لِسَبَإٍ لا أبًا له .

ـ وفي (ص ١٩١) : بنو قريظة قبيلة من يهود خيبر . ولعل كلمة (خيبر) سبق قلم ، اذ هم من يهود المدينة . وقد أمر الرسول ﷺ بقتلهم فقتلوا لما غدروا بالمسلمين وخانوا عهدهم .

١٠ ـ أما ما جاء في المقدمة (ص ٥) عن منازل غني قبيلة الشاعر من أنها (مُجاورة لطيء) فلعل صوابه (قريبة من طيء) . اذ يفصل بين منازل القبيلتين قبيلة بني أسد ، وقسم من بني عامر ، تقع منازلهم مجاورة لغني من الجهة الجنوبية ، وهؤلاء يجاورون أسَدًا ، وأسد تجاور طيئًا (انظر في تفصيل منازل هذه القبائل كتاب « بلاد العرب » للحسن بن عبد الله الاصبهاني المعروف بلغدة : ص ١٣ من نسختنا الخطية التي وصفناها في مجلة « التمدن الاسلامي » الدمشقية في عدد ذي الحجة سنة ١٣٦٨ وقد وصف الكتاب العلامة السيد محمد رضا الشبيبي في العدد الأول من مجلة « المجمع العلمي العراقي ») .

هذه ملاحظات عابرة عنت لي أثناء مطالعة ديوان ابن حيوس ولست على ثقة من صحتها كلها وانما ذكرتها من قبيل المذاكرة ـ لينظر اليها ـ كما يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته (بعين الانتقاد لا بعين الرضا) .

وأما التطبيع في تشكيل الحروف فما يدرك بدون تنبيه أو اشارة اليه ، وهو قليل في الديوان ، لما بذله محققه من عناية بالغة ، واهتمام عظيم ، استوجب بها شكر الباحثين ، وتقدير الغيُر على آداب اللغة العربية .

(الرياض) حمد الجاسر

رد على تعقيب

حول ديوان الوأواء الدمشقي

للدكتور سامي الدهان

من الخير للأمة العربية الناشئة ان تعنى بآثارها المخطوطة وأن تسنّ القوانين لحمايتها والحفاظ عليها وأن تقوم على حصرها ووصفها كما فعل الغربيون بمخطوطاتهم وغير مخطوطاتهم . وقد أصاب المخطوطات العربية في الغرب حظ غير قليل ، فقد خصّت بفهارس منظمة ، وحفظت في أماكن حصينة . وأما البلاد العربية فما تزال مقصرة في هذا الميدان ، فهي لا تُعنى باحصاء المخطوط ولا تلتفت الى وصف هذا المخطوط ، وقد سبقت مصر الى هذا ، ولحقت بها الشام ، وسارت في إثرها العراق ؛ أما مخطوطات البلاد العربية السعودية فنحن نجهل ثروتها وقيمتها إلاّ ما جاء في كناشات العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، وما وصفه الأستاذ محمد كرد علي . ولعل اخواننا علماء هذه البلاد عاملون لهذا الغرض ساعون في هذه السبيل .

وقد ساقتنا الى هذه المقدمة كلمةٌ للأستاذ حمد الجاسر نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي (نيسان ١٩٥١ الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين) :
وقد تفضل الأستاذ في كلته فعرض على القراء نسخة خطية لديوان الوأواء الدمشقي وجدها في مكتبة الأمير مساعد بن عبد الرحمن بن فيصل آل السعود في الرياض . وذكر أن النسخة تقع في ٦٨ صفحة وأن تاريخ كتابتها ١٢٦٢هـ . وزاد على ذلك أنها كثيرة التحريف والتصحيف . ثم قال : « فوجدتُ في المخطوطة خمسة أبيات ليست في المطبوعة فرأيتُ عرضها ليري القراء رأيهم فيها ، ولكي يطلع عليها الأستاذ المحقق الدهان » .

وقبل أن أجلو الأمر في هذه الأبيات أحب أن أعلن شكري للأستاذ المحقق حمد الجاسر على جميل يده فقد سرّى عن نفسي هذا الغم الذي كنت أحس • وقد قرأ في مقدمتي لديوان الوأواء أني سعيت الى بغداد في سبيل مخطوطاته وسافرت الى النجف فاجتليت نسختين خطيتين وجدتهما في مكتبتين خاصتين أولاهما للأستاذ محمد السماوي وثانيتهما للأستاذ صادق كمونه ، وقرأ كذلك أني رحلتُ الى مصر فوجدتُ فيها خمس نسخ خطّية كذلك ، ورأى أني استجليت من لتنغراد ما أعانني على اكمال الديوان على الوجه الذي نشرت •

ولكن المهم الذي ساورني هو جهلي بما في البلاد العربية السعودية من نسخه الخطية ، وقد ذكرتُ أن أربع نسخ منه في مصر ترجع في كتابتها الى القرن الثالث عشر الهجري ، وان أقدم هذه النسخ كتبت سنة ١٢٩٧ هـ ، وأن الفضل في وجود هذا الديوان بمصر يعود الى البلاد المباركة المقدسة • ولكنني لم أقع على ذكر لوجود نسخة خطية في هذا القطر تعينني في طبعتي •

فلما تفضل الأستاذ ببيانه سرّى عن نفسي فأعلمني بوجود هذه النسخة وأنها كتبت كذلك في القرن الثالث عشر ، وأنها شبيهة بأخواتها النسخ المصرية في عدد الأوراق والأبيات وفي كثرة التحريف والتصحيف • وزاد في سروري أن الأستاذ عارض المخطوطة كلها على طبعتنا فرأى خمسة أبيات في مخطوطة الرياض رواها في مقطعتين ؛ ونبه الى أنه لم يرها في الطبعة وظن أنها لم تقع لنا •

والواقع أن هاتين المقطعتين قد وقعتا في طبعتنا ورويتا على شكل حسن يدفع التصحيف الذي وقعت فيه مخطوطة الرياض • وقد سها الأستاذ عن مكان وجودهما عندنا في المتن وموقع ذكرهما في الفهارس •

أما المقطوعة الأولى فقد جاءت في الصفحة ١٤٥ تحت رقم ١٨٠ على الرواية التالية :

١ تقولُ وقد بانتْ حياتي لِبَيْنِها أتطمعُ أن تَشْكو إليّ وأسمعا ؟

٢ فلو كان حقًّا ما تقولُ لما انثنَتْ يداك وقد عانقتني بها معا !

وقد ذكرتُ في حاشية هذه الصفحة اختلاف الروايات ، فبينت أن النسخ المصرية ترويها بالكاف : « وأسمعك ... معك .. » وأني اعتمدت نسخة مدريد وهي أقدم منها جميعًا وأثبت رواية وأقوم للمعنى الصحيح الذي طرقه الوأواء في مواقع أخرى من ديوانه .

وأما المقطوعة الثانية - التي ذكر أنها لم تقع في المطبوعة كما تفضل - فقد جاءت في الصفحة ٥٦ تحت رقم ٤٩ على الرواية التالية :

١ كأنّ دمي يوم الفراق مروا به وقد سفكوه باحتثاث الركائبِ

٢ أظنهم لو فتشوا في رحالهم إذًا وجدوا آثاره في الحقائبِ

٣ إذا أنا دافعتُ الخطوب بذكرهم نسيتُ الذي بيني وبين النوائبِ

والمقطوعتان مذكورتان كذلك في الفهرس الأخير للطبعة في الصفحتين ٣٥١ ، ٣٤٨ ، ولو تفضل الأستاذ فعاج ثانية الى الطبعة ، لرأى معنا بأن المقطعتين موجودتان وأنها في رواية تصحح رواية الرياض .

وبذلك ثبت أن نسخه لا تزيد على ما عندنا ولا تضيف رواية صحيحة وانما تبعث على الطمأنينة بأن هذه النسخة صورة لما حصلنا عليه في مصر ، فكأننا استخدمناها في طبعتنا ، والفضل في ذلك كله يعود للأستاذ الجاسر .

الدكتور سامي الدهان

نظرة عابرة في « ذيل طبقات الحنابلة »

للمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق يد مشكورة في نشر المخطوطات العربية الاسلامية ، والعناية بها عناية فائقة .

و « ذيل طبقات الحنابلة » للحافظ ابن رجب ، الذي نشره المعهد حديثاً فظهر منه الجزء الأول في أبهى حلة وأجمل عرض وتحبير ، قد وقع فيه فرطات وقفت عليها في نظرة عابرة ، وأردت أن يشار اليها (للتصحيح) في الجزء الثاني اذا كانت خطأ كما رأيتها .

١ — نقل الناشران في المقدمة بـ ص ١٥ عند حديثهما عن حياة المؤلف ابن رجب أن ابن حجر ترجم له في كتابه (إنباه الغمر) . وجاء (إنباه الغمر) بالهاء غير مرة في كلامهما ، مما دل على أنه بهذا الضبط مقصود للناشرين . والذي أعلمه في اسم كتاب ابن حجر (إنباء الغمر) بالهمزة بعد الألف ، مصدر (أنبأ) . وقد جاء اسمه في مخطوطة العثمانية بحلب (إنباء الغمر بأنباء العمر) . وهو كذلك بالهمزة في نسخة المؤلف التي اطلع عليها الأستاذ محمد زاهد الكوثري ونقل عنها وعزا اليها كما صرّح بذلك في ص ١٨٢ و ٢٠٢ و ٣٦٧ من تعليقته على « ذيول تذكرة الحفاظ » .

وكذلك جاء اسم هذا الكتاب بالهمزة في عبارة كل من نقل عنه من متقدم ولاحق . وأذكر منهم الآن الشيخ أحمد رافع الطهطاوي ، فقد أكثر النقل عنه كثيراً في كتابه « التنبيه والايقاظ » وفي جميع المواطن يذكره باسم (إنباء الغمر) .

وذكره قبلهما صاحب « مفتاح السعادة » و « شذرات الذهب » و « كشف الظنون » في كتبهم المذكورة ، وسموه (إنباء الغمر) بالهمزة بعد الألف . فتسميته (إنباه الغمر) بالهاء خطأ محض وان كان يصح المعنى من حيث اللغة .

على أن الشطر الثاني من اسم الكتاب يعين الهمزة في الشطر الأول ، وهو (إنباء الغمر بأبناء العمر) فالتوافق بين السجعتين في الوزن والحرف واجب صناعة ، وهو المقصود للمؤلف ابن حجر كما هو ظاهر للمتأمل بأيسر نظرة .

٢ — وجاء في حديث الناشرين عن سماع ابن رجب ورحلاته بـ ص ١٧ (أنه لازم مجالس الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الى أن مات ، وأن ابن النقيب والنووي أجازاه) اهـ .

أما ابن النقيب الذي أجاز ابن رجب فهو : شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن لؤلؤ القاهري الشافعي المعروف بابن النقيب المتوفى سنة ٧٦٩ عن ٦٧ سنة كما أفاده الطهطاوي في «التنبيه والايقاظ» بـ ص ١٠٢ ، فتكون ولادته سنة ٧٠٢ ، ويكون هو أكبر من ابن رجب المولود سنة ٧٣٦ ، فيصح أن يكون أستاذاً له ويجيزه .

أما النووي ـ وهو محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ـ فولادته سنة ٦٣١ ، وتوفي سنة ٦٧٦ قبل ولادة ابن رجب بستين سنة ، فلا يتصور أن يكون منه إجازة لابن رجب قطعاً . فما لا شك فيه أن لفظ (النووي) هنا تحريف إلا أن يكون المراد به نووياً آخر غير المشهور[1] .

٣ — وينقل الناشران بـ ص ١٧ أيضاً عن ابن حجر أنه قال فيه : « وقد مهر في فنون الحديث اسماً ورجالاً وعللاً وطرقاً » اهـ . وفي هذا النقل تحريف صوابه : « أسماء ـ بلفظ الجمع ـ ورجالاً » الخ . كما جاء في مخطوطة (إنباء الغمر) التي كانت في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب ، ورقمها ٢٣٨ وآلت الآن كسائر مخطوطات حلب الى مكتبة الأوقاف الاسلامية العامة بحلب ، وتقع ترجمة ابن رجب فيها في الجزء الأول بـ ص ٢١٧ .

(١) وقد وقع في هذا الخطأ ناشر كتاب « تحقيق كلمة الاخلاص » لابن رجب .

بقي هناك بعض فرطات أكثرها مطبعية ، فمنها ما جاء بـ ص ٢٥ في السطر الخامس من المقدمة : (كتاب طبقات فقهاء أصحاب الإمام أحمـد القاضي) صوابها : (للقاضي) ، وبـ ص ٣١ في السطر ٢٤ (مخطوطة المنبج الأحمد) صوابها : (المنهج الأحمد) ، وبـ ص ١٦١ في السطر ٨ (انّ هنا رجل) صوابه (رجلاً) ، وبـ ص ١٩٢ في السطر ١٣ (جنى على إجرامه) صوابه : (على إحرامه) بالحاء المهملة ، وبـ ص ١٩٣ في السطر ٤ (بُرّه ببُرّتين) صوابه (بُرَّة ببُرَّتين) .

ومما يصح أن يلحق بما يعد خطأ ما جاء في مطلع التمهيد من قول الناشرين : (... دل على نضوج العقلية الاسلامية) وليس في اللغة (نضوج) وانما فيها (نضج) . ويقرب من هذا الاستعمال قولهما بـ ص ٢٣ : (ولن نستطيع هنا الإفاضة في وصف المخطوط من هذه الكتب ، وتحليل المطبوع منها) فقد خفي علي معنى التحليل للمطبوع هنا ؟

وأحب أن أشير الى أن بعض مؤلفات ابن رجب ذكر على أنه لايزال مخطوطاً وهو مطبوع . من ذلك :

١ — الاستخراج لأحكام الخراج طبع في مصر سنة ١٣٥٢ .

٢ — الكلام على لا إله إلا الله طبع في مصر أيضاً سنة ١٣٦٩ .

٣ — نور الاقتباس طبع في مكة ثم طبع في مصر سنة ١٣٦٨ .

وعند الأستاذ أحمد عبيد نسخة مخطوطة منه لكنها تامة لا كالتي طبعت في مكة ومصر فان فيها نقصاً كبيراً .

وفي الختام أشكر للناشرين الأمينين جهودهما المشرقة في إحياء هذا الأثر الإسلامي الغالي ، وفي كل أثر سبق لهما نشره ، وأتمنى أن يحظى كل كتاب عربي بما حظي به منها هذا الكتاب .

(حلب) عبد الفتاح أبو غدة

ملاحظات (١)

ورد الى رئاسة المجمع كتاب من الأستاذ عبد الله كنون أحد فضلاء المغرب الأقصى جاء فيه ما يلي :

أقدم الى مجلتكم هذه الملاحظات الصغيرة على مقال الأستاذ المغربي ، المنشور بصفحة (١٥١) في موضوع (جمع سيد على أسياد) وقد بناه على توهم أصلية الحرف واني كنت أعتقد أن العرب عدلت عما يستحقه البعض في مثل (قيل من الجمع في أقوال) لدفع التوهم وانه جمع قول وكذا جمع ريح على أرياح لئلا يلتبس بجمع الروح . وعندنا في العامية شيء من هذا . فمثلاً تقول العامة قدم وفد الزيّار يعنون جمع الزائر ولا يقولون الزوّار لئلا يلتبس عندهم بالمزور كثير قول الزور أو شهادة الزور . وبما ان العامة في كلا اللفظين لا تحرك الحرف الأول بل تنطق به ساكناً فانه ليس عندها ما تفرق به الا ابدال الواو ياء . وكذا في جمع قائد على قيّاد ولا تقول قوّاد خوف اللبس . هذه ملاحظة على هامش الموضوع كانت تنقدح في ذهني قبل قراءة بحث الأستاذ المغربي ولم تتح لي قط درس الموضوع . ولا شك أن صاحب البحث عنده ما يشفي الغليل في هذا الباب . وأما الملاحظة الأساسية فهي على ما كتبه في استعمال المغاربة للفظة (سيد) فحقيقة أننا نقول سيدي بكسر السين مثل سيدي خليل وسيدي (زروق) لا ابن زروق وسيدي (ابن عاشر) لا ابن عاشور . وهذا الاستعمال يكون في غير الأشراف للتعظيم كما في استعماله لهؤلاء الأعلام . ولغير الأشراف نستعمل لفظة (السي) Si فقط ولا يجوز استعمالها في حق الأشراف لأن ذلك مؤذن بالطعن في نسبهم .

(١) راجع مقال « جمع سيد على أسياد » في مجلة المجمع مج (٢٦) صفحة ١٥١

وأما لفظة مولاي فليست خاصة بذوي المناصب كما قال الأستاذ الفاضل بل هي أيضاً خاصة بالأشراف ؛ ولا تستعمل لتعظيم غيرهم . فمثلاً لا تقول مولاي خليل ولا مولاي زروق كما ان ذوي المناصب مهما كبر شأنهم لا يقال لأحدهم مولاي فمثلاً الوزير المقري لا يقول له أحد مولاي محمد المقري . وعلى كل حال فلفظة مولاي هي وان كانت خاصة بالأشراف فاستعمالها لا يحتاج الى حذر كبير . ففي الأسماء الأعلام غير محمد مثل احمد وعلي والعباس وما بدئ بعبد كعبد الله وعبد الحفيظ وعبد الرحمن يجوز استعمال لفظة مولاي . ولذلك يقال للسلطان السابق مولاي عبد الحفيظ والأسبق مولاي عبد العزيز ولوالدهما السلطان مولاي الحسن ويقال لولي العهد اليوم مولاي الحسن ولأخيه الأمير مولاي عبد الله ولأخي السلطان الأمير مولاي ادريس ولا يقال لجلالة الملك مولاي محمد مع أنه صاحب أكبر منصب في المغرب وله فضل على النهضة العلمية والسياسية . ويحبه المغاربة حب تقديس – لماذا ذلك ؟؟ . لأن لفظة مولاي محمد أو مولانا محمد خاصة عند المغاربة بالنبي ﷺ ، فلا يشتركون معه فيها غيره . وإذا ما قيل للسلطان – مولاي – فانما يكون ذلك بالانفراد عن اسمه . ولا أنكر أنه في بعض أحوال المبالغة يقال مولاي محمد . فوجب تحرير هذا لأنه في مثل مجلة المجمع لا يغتفر غلط مثله . وقد نسيت ان أقول انه ربما جمع بين اللفظتين معاً فقيل سيدي مولاي فلان وهذا كله في أحوال نادرة من المبالغة والتعظيم وخاصة للأولياء والأشراف .

(طنجة) عبد الله كنون

(استدراك)

جاء في هذا الجزء ـ السابع والعشرين الصفحة الـ ١٠٩ ـ : كنا نود توسع المؤلف ، وصوابه : كنا نود لو توسع المؤلف .

وفي الصفحة الـ ١١٠ أن بتبسط ، الصواب : أن يتبسط .



(استدراك ثان)

قلنا ـ في الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع ـ تقول العرب : « فعله من نفسه أو من ذات نفسه » ولم يرد في ما اطلعنا عليه من المعاجم القديمة « فعله من تلقاء نفسه » وتساءلنا عما اذا كانت هذا الاستعمال صحيحاً وعليه نص في القديم المعتمد من معاجم اللغة ؟

وقد نبهنا أحد الأدباء على أن الاستعمال وارد بنصه في القرآن الكريم في سورة يونس الآية الـ ١٦ : « قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي » .

وفي الصفحة الـ ٦٠٨ من الجزء نفسه :

أما رفائيل على ما أوردها السويهي فلم تسمع سواء أضيفت الى «عين» أم «عند» .

والصواب : « سواء أضيفت اليها « عين » أم « عند » .

وفي الصفحة الـ ٦١٢ :

قلنا ان أمكنت الحال في سورية .. قالت

والصواب : « قلنا ان أمكنت الحالُ حكومة سورية .... وقالت .

وفي الصفحة الـ ٦١٣ :

فهو فعل صادر عنه لا عليه ، والصواب : فهو فعل لازم لا متعد .

عارف النكدي

فهرس الجزء الأول من المجلد السابع والعشرين

صفحة

٣ عالمان عربي وغربي . . . . للأستاذ محمد كرد علي . . .
١٧ مقدمة العقد الفريد . . . . . . « شفيق جبري . . .
٢٧ تصحيح نهاية الأرب (جزؤه الخامس عشر) (٢) « عبد القادر المغربي . .
٤١ مختصر جمهرة النسب . . . . . . « حمد الجاسر . . .
٥٢ التأليف في الملوك . . . . . . « طاهر الجزائري . .
٦١ مقتطفات من كتاب الأشباه والنظائر للخالديين (٢) للدكتور محمد يوسف . . .
٧٥ مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام . . . « شكري فيصل . .

التعريف والنقد

١٠٤ – ١٠٦ – آراء وأحاديث في القومية العربية –
١١١ – ١١٣ – الوجيز في الحقوق الادارية – المحاضرات
١١٥ العامة – عبد الله بن المعتز – هداية القرآن لبني الانسان } للأستاذ عارف النكدي . .
١١٨ كتاب التشبيهات لابن أبي العون . « شفيق جبري . .
١٢٠ – ١٢٢ مختارات من الأدب العامي المغربي – معجميات « عبد القادر المغربي .
١٢٣ تهذيب الايضاح . . . . . « محمد بهجة البيطار .
١٣٢ منمنمة دينية تمثل الرسول . . للأمير جعفر الحسني . . .
١٣٤ – ١٣٦ الموسوعة الاجتماعية – ألوان شتى (مجموعة شعر) } للدكتور سامي الدهان . . .

آراء وأنباء

١٣٨ أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م . . . .
١٤٠ أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون . . . .
١٤٢ ديوان ابن حيوس . . . . . للأستاذ حمد الجاسر . . .
١٤٩ حول ديوان الوأواء الدمشقي . . . . للدكتور سامي الدهان . .
١٥٢ نظرة عابرة في « ذيل طبقات الحنابلة » . . للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة . .
١٥٥ ملاحظات . . . . « عبد الله كنون . . .
١٥٧ أستدراك . . . . « عارف النكدي . . .

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي. قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان ابن حيّوس بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
١٥ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
١٦ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد .
١٧ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٨ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

٢٠ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢١ — 〃 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃

٢٢ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين

٢٣ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد

٢٤ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢٥ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا

٢٦ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الأستاذ يوسف العش

٢٧ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي } بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٢٨ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي } بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٢٩ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي } بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٣٠ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣١ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣٢ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

الجزء الثاني الجلد السابع والعشرون

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٢ ٧ شهر رجب سنة ١٣٧١

الأب لويس شيخو

ولد في ٥ شباط ١٨٥٩ في ماردين بالجزيرة
وتوفي في مدينة بيروت سنة ١٩٢٧

اتصل الأب شيخو بالآباء اليسوعيين منذ نعومة أظفاره ودرس في مدرستهم في قرية غزير من جبل لبنان العلوم الدينية والمدنية وأخذ العربية والفرنسية واللاتينية وغيرها ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية ، متجرداً من متاعب المعاش والأسرة ، عازفاً عن بهارج الدنيا ، مأخوذاً بما أخذ به من خدمة الدين والعلم . وتنقل في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا وغيرها من مراكز العلم في الغرب فدرس طريقة الغربيين في البحث والتأليف ، واطلع على ما في خزائنها من كتب العرب واستنسخ لحساب جمعيته امهاتها النادرة وحضر بعض المؤتمرات التي عقدها علماء المشرقيات في بلاد الغرب وساح في بعض بلاد الشرق .

انصرف شيخو لأول أمره الى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف في بيروت ونشر خلال ذلك عدة كتب مدرسية ودينية أهمها «مجاني الأدب»

في عشرة أجزاء ، استخرجها من كتب العرب وشرحها شروحاً لغوية أدبية . وقد أصبحت معتمدة في جميع المدارس الطائفية والتبشيرية في الشام وغير الشام . ونشر مقالات علم الادب وكتاباً في الانشاء والعروض والخطابة . وأحيا بالطبع كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني وفقه اللغة للثعالبي وذلك بحذف الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة . فلاحظ عليه العارفون من علماء المشرقيات المستعربين فاضطر بعدُ الى الرجوع عن هذه الطريقة في الكتب التي أحياها من أسفار العرب .

وأهم ما نشر من كتب المتقدمين والمتأخرين كتاب الهمز وكتاب المطر للأنصاري ، وكتاب الكتاب لابن درستويه وتهذيب الألفاظ ومختصره لابن السكيت ، وحماسة البحتري ، وطبقات الأمم لصاعد ، وديوان الخنساء ، وديوان ابي العتاهية ، وديوان الخرنق أخت طرفة ، وديوان السموأل ، وديوان المتلمس ، ورواية جديدة من كليلة ودمنة ، وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى ، وتاريخ شاكر بن الراهب القبطي ، وتاريخ سعيد بن بطريق وملحقه لسعيد بن يحيى الانطاكي ، وتاريخ محبوب المنبجي ، وفضائل الكلاب لابن المرزبان ، وآصف نامه ، ومقالة في الضوء لأرسطو ، والآلات المنغمة لمورسطس ، والآلات المزمرة لبني موسى ، والمكحلة لأبي محمد الصقلي ، وشواعر العرب ، ومجموعة أربع رسائل لفلاسفة اليونان وغيرهم . يضاف الى ذلك عدة رسائل في الفلسفة والدين مما خلفه القدماء نشرها بالاشتراك مع بعض أفاضل الآباء من أهل رسالته . وقد خدم بهذه الكتب الآداب العربية أجل خدمة وزاد بها مجاميعنا المطبوعة وأحسن بما علق عليها من الفوائد وخدمها به من الشروح .

ومما ألفه مباشرة « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » و« معرض الخطوط » و« شعراء النصرانية في الجاهلية » و « شعراء النصرانية بعد الاسلام » ، ورسائله

وكتبه في تزييف الماسونية والحملة على رجالها ، وكتابه في المدارس العلمانية اللادينية ، وتاريخ الرهبانية اليسوعية ، وتاريخ الطائفة المارونية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وبيروت وآثارها وتاريخها ، وغير ذلك من رسائله ومقالاته الدينية والأدبية والعلمية في مجلة المشرق ، عدا خطبه الدينية ومواعظه الروحية . وقد كتب هذه المجلة منذ انشائها فأصدر منها بقلمه خمسة وعشرين مجلداً ، نشر فيها أولاً أمهات تآليفه ثم استخرجها منها . وراعى في كتبه نظام رهبانيته فجاءت كتاباته الا قليلاً أشبه بالدعايات المذهبية منها بكتب علمية مشتركة ، تنشق ريح دينه في كل ما كتب ونشر . ولو خلت بعض أسفاره وبخاصة « شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده » و « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » وبعده ، من هذه النزعة لكانت في الغاية من جودة التأليف ، لكثرة مادته وحسن تنسيقه .

لم يرزق الفقيد ذوقاً عالياً في الأدب العربي ، وظلت كتابته الى أخريات أيامه كما كانت لأول عهده نمطاً واحداً لا تناسب مقدرته على التأليف ووقوفه على أدب العرب والافرنج وبعض علوم العصر . أي أن الانشاء العربي لم يسلس له قياده على ما كان يجب . وغريب ممن عاش بين كتب الفصحاء من العرب أن يظل بعد درس خمسين سنة ضعيفاً في الانشاء على كثرة ما قرأ وكتب ، وان تبقى ملكته الأولى في الأداء تناوشه أحياناً ولا يتطال الا الى الأخذ من الينبوع الأول الذي استقى منه في مدرسته الاولى . وهكذا يقال في ذوقه في الشعر فقد نشر في مجلته قصائد لأدعياء القريض كان الأولى أن تطوى على غرّها . وألف كتاب « أطرب الشعر وأطرب النثر » مجموعاً من أدب من حاول تخليد ذكرهم على حين هم فيما يخطون أحط مما ينظم أو يكتب اليوم تلاميذ المدارس في مصر والشام . وما أدري ان كان يقصد من ذلك

التنويه بمن نوه بهم فقط أو انه متشنع بان شعرهم ونثرهم حقيقة من أطيب الشعر والنثر يجب تخليده في بطون الصحف حرصاً على بلاغته وفصاحته ·

وقفت عليه البيئة على ما يظهر أن يغمط حق العرب في مدنيتهم وكان على الأغلب ينظر اليها من الوجه الذي لا يستحسن ، ولذا يعد شعوبياً وشديد الشعوبية بأفكاره · لا صلة بينه وبين العرب الا بما نشره من آثار علمهم وحذق من آداب لسانهم · وآخر أثر له من هذا القبيل أنه ذكر جملة من أدباء المسلمين ـ وهو مولع في التفريق بين المسلمين والمسيحيين ـ في الربع الأول من القرن العشرين لم يتجاوز في عدهم العشرات في الأمة العربية مع ان من وضعوا المصنفات والتآليف الجيدة ولهم مكانة في الشعر والأدب لعهدنا هذا لا يقلون عن ثلاثمائة رجل واعتذر بجهله اسماءهم مع ان من اشتهر بين قراء العربية بمصنفاته وفيها الممتع لا يصعب السؤال عنهم ويستغرب ان لا يطلع مثله على أعمالهم ·

محمد كرد علي

دراسة العقد الفريد

وضّح صاحب العقد الفريد نهجه في وضع كتابه ، فقد تطلّب نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال وقصد من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهراً وأظهرها رونقاً وألطفها معنى وأجزلها لفظاً وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة وجعل كتابه جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة .

فالذي يتبيّن لنا من تضاعيف هذا الكلام ان الغاية التي يرمي اليها ابن عبد ربه في تأليف كتابه انما هي الثقافة الأدبية على تعبير هذا العصر وقد كانت آفاق هذه الثقافة على نحو ما أشار اليه : الحكم والأمثال والأخبار والآثار وكانت خصائص صيغها شرف الجوهر وظهور الرونق ولطف المعنى وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة .

ولكن هل ننظر الى كتابه في عصرنا هذا نظرته اليه .

لما وضع أبو الفرج الأصبهاني كتاب الأغاني قال في صدر المقدمة :

« هذا كتاب ألّفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصبهاني وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ونسب كل ما ذكره منها الى قائل شعره وصانع لحنه وطريقته من ايقاعه وأصبعه التي ينسب اليها من طريقته واشتراك ان كان بين المغنين على شرح لذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنى عن علمه من علل إعرابه وأعاريض شعره التي توصل الى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه .

ولكنا لما درسنا كتاب الأغاني لم ننظر الى الأغاني العربية ، قديمها وحديثها التي جمعها أبو الفرج على قدر نظرتنا الى موضوعات ثانية يشتمل عليها الكتاب أوحتها الينا روح العصر الذي نعيش فيه وهو عصر التحليل والتنسيق والمقابلات ونحو ذلك ، فقد وقعنا في كتاب الأغاني على أشياء كثيرة من أخبار العامة والكتاتيب والملاهي والدور والموائد والأواني والفرش والثياب والمطاعم والخانات واهتدينا الى طائفة من خصائص الحجاز والشام والعراق وعرفنا عادات المتقدمين في أفراحهم وأحزانهم وانكشفت لنا حرية المرأة في الزواج والطلاق والحجاب والسفور وحرية الناس في مقامات الخلفاء والأمراء والعمّال وحريتهم في المعتقدات والاستخفاف بمقدّسات الأمور وفي التربية والقضاء كما انكشفت لنا عبوديتهم وأحطنا بشيء من اللهو والتبذير والغناء ومواكب الحج ، وعلى الرغم من كثرة هذه الموضوعات التي ظفرنا بها في كتاب الأغاني فقد يجوز ان الذي فاتنا انما هو أكثر من الذي حصلنا عليه ، ولكن الذي حصلنا عليه فهو غير يسير فقد أحطنا بطراز من الحياة الاجتماعية من أكثر نواحيها .

من هذا كله يتبيّن لنا اختلاف العصور في أذواق أهلها ومناهج بحثهم وتنقيبهم وغير ذلك ، فنحن لا ننظر الى العقد الفريد في زمننا هذا نظرة صاحبه اليه ، اننّا نمرُّ بنظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال التي تطالعنا ونتمهّل في الأخبار والآثار المشتملة على شرف الجوهر وظهور الرونق ولطف المعنى وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة فننتفع بهذا كله ونروّض أذواقنا ونصقل أفهامنا ولكنا لا نقتصر في دراسة العقد الفريد على هذا الترويض وحده وعلى هذا الصقل وحده .

كيف ندرس العقد الفريد .

يتضمن العقد الفريد خمسة وعشرين كتاباً فاذا أحببنا أن ندرس العقد الفريد لزمنا ان ننظر في كل كتاب منها نظرة عامة حتى نعرف محاسن هذا الكتاب أو مساوئه ولكني الآن لا أستطيع أن أنظر هذه النظرة وانما أقتصر على أمثال من الدراسة ٠

سمّى ابن عبد ربه كتابه الأول : كتاب اللؤلؤة في السلطان ٠

لا بأس بأن أشير قبل الكلام على هذا الكتاب الى ما نسميه في يومنا هذا : تطوُّر الألفاظ ، فقد استعمل ابن عبد ربه طائفة من الألفاظ كانت مستعملة في عصره وقبل عصره تدلُّ على جملة من المعاني لا تدل عليها اليوم ، من هذه الألفاظ : السلطان والإمام والرعية ، فهو يريد بالسلطان ما نسميه اليوم الحكومة ويريد بالإمام الحاكم على لغة هذا العصر ويعني بالرعية الشعب أو الأمة على مصطلحنا ، نجد في هذا كله ان الألفاظ لا تثبت على معنى واحد في العصور كلها وانما معانيها تختلف على اختلاف هذه العصور ، فمرّة تضيق ومرّة تتسع ، وحيناً تخص وحيناً تعم ونحو ذلك ، وهذه إشارة لغوية لا بدَّ منها قبل كلامنا على كتاب اللؤلؤة في السلطان ٠

كيف يبحث ابن عبد ربه في السلطان ، هل نسَّق بحثه تنسيقاً وقسمه أقساماً وأفرد لكل قسم منها باباً أم عاظل بين مباحثه حتى ركب بعضها بعضاً فبينا نراه يبحث عن عدل الحكومات إذ نراه يبحث عن واجباتها دون شيء من الصلة بين البحثين ٠

بدأ ابن عبد ربه بتعريف السلطان فقال :

السلطان زمام الأمور ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذي عليه مدار الدنيا وهو حمى الله في بلاده وظلّه الممدود على عباده به يمتنع حريمهم وينتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم ٠

هذا تعريف ابن عبد ربه للسلطان أي للحكومة وكما رأينا ان الألفاظ تتطور على مرّ العصور فكذلك نرى ان التعريفات تدخل في مثل هذا التطور فلو اطلع رجل من رجال الحقوق على هذا التعريف لتبيّن له ان تعريف الحكومة في هذا العصر يختلف عن تعريفها في عصر ابن عبد ربه ·

وبعد أن فرغ صاحب العقد الفريد من تعريف الحكومة انتقل فجأة الى الكلام على عدل الحاكم فروى قول الحكماء في هذا المعنى : إمام عادل خير من مطر وابل وإمام غشوم خير من فتنة تدوم ولما يَزَعَ الله بالسلطان أكثرُ مما يَزَعُ بالقرآن ·

ثم رجع فذكر واجبات الحكومة فقال :

فحق على من قلّده الله أزمّة حكمه وملّكه أمور خلقه واختصّه باحسانه ومكّن له في سلطانه ان يكون من الاهتمام بمصالح رعيته والاعتناء بمرافق أهل طاعته بحيث وضعه الله عزّ وجل من الكرامة وأجرى له من أسباب السعادة ، قال الله عزّ وجلّ : « الذين ان مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ·

وانه ليحصي واجبات الحكومة إذ نراه يعود الى الكلام على عدل الحاكم : قال النبي ﷺ عدل ساعةٍ في حكومة خير من عبادة ستين سنة ، وقال ﷺ : كلكم راعٍ وكل راعٍ مسئول عن رعيته ·

ثم نراه بعد ذلك يتصدّى لوصف أخلاق الرعية فيقول :

ومن شأن الرعية قلّة الرضا عن الأئمة وتحجّر العذر عليهم وإلزام اللائمة لهم وربّ ملوم لا ذنب له ولا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة اذ كان رضا جملتها وموافقة جماعتها من المُعجِز الذي لا يدرك والممتنع الذي لا يُملك ولكلٍ حصته من العدل ومنزلته من الحكم ·

ثم يندفع في بيانه واجبات الرعية فيقول :

فمن حق الإمام على رعيته أن تقضي عليه بالأغلب من فعله والأعم من حكمه ومن حق الرعية على إمامها حسن القبول لظاهر طاعتها وإضرابه صفحاً عن مكاشفتها ·

هذه نماذج من بحث ابن عبد ربه عن السلطان في ورقتين من كتابه ولو مضينا في عرض هذه النماذج لوصلنا الى نتيجة واحدة ، فان ابن عبد ربه لم ينسّق بحثه عن السلطان ولا وضع له نهجاً فنجده ينتقل فجأة من فكر من الأفكار الى فكر آخر دون صلة ، أو اذا كانت الصلة بين الفكرين متقاربة كالصلة بين واجبات الحكومة والشعب أو السلطان والرعية فان منطق التسلسل بينهما مفقود ، لأن ابن عبد ربه يحشر بين الفكرين فكراً آخر على سبيل الاستطراد لا صلة له بهما ·

هذا النوع من اختلال التأليف بين الأفكار المتقاربة نجده في ورقتين من الكتاب واذا تتبعنا أوراق الكتاب كلها وجدنا الاختلاف ذاته ·

بينا نجده يبحث عما يصحب به السلطان فيبيّن الأمور التي يجب على الانسان أن يتمسك بها في صحبة السلطان فيذكر قول ابن المقفع في هذا الباب :

لا تكن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم ، فان كنت حافظاً اذا ولّوك حذراً اذا قربوك أميناً اذا ائتمنوك ذليلاً اذا حرموك راضياً اذا أسخطوك تعلّمهم وكأنك تتعلم منهم وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر والا فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر ·

بينا نجده يبحث عن هذه الأمور ويستكثر من الاستشهادات في هذا الباب اذ نجده يروي قصة معاوية مع عمر بن الخطاب ، قال يزيد :

حدثني أبي ان عمر بن الخطاب لما قدم الشام قدم على حمار ومعه عبد الرحمن ابن عوف على حمار فتلقاهما معاوية في موكب ثقيل فجاوز عمر معاوية حتى أخبر به

فرجع اليه فلما قرُب منه نزل اليه فأعرض عنه فجعل يمشي الى جنبه راجلاً فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل فأقبل عليه عمر فقال : يا معاوية ! انت صاحب الموكب آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ولِمَ ذاك ، قال : لأنا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولا بدَّ لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان ، فان أمرتني بذلك أقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت فقال : لئن كان الذي تقول حقاً فانه رأي أريب وإن كان باطلاً فانها خُدعة أديب وما آمُرُك به ولا أنهاك عنه ، فقال عبد الرحمن بن عوف : لحَسَنٌ ما صدر به هذا الفتى عمّا أوردته فيه ، فقال : لحسن مصادره وموارده جشّمناه ما جشّمناه !

فاذا دلّت هذه الحكاية على شيء فانها تدل على عقل معاوية فأيّ معنى لحشرها في جملة الأمور التي يُصحب بها السلطان .

هذه أمور نجدها في كل كتاب من كتب العقد الفريد ، لا شك في ان مقدمة العقد تدل على شيء من الترتيب والتنسيق فان صاحبها لما قال : فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال قال : ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه فجعلته باباً على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره في كل باب .

معنى هذا انه جعل في كل باب موضوعات متشابهة فأمور الحروب محصورة في كتاب الحروب وأمور المواعظ والزهد محصورة في كتاب المواعظ والزهد ولكن ابن عبد ربه لما جاء الى كل باب من أبواب الكتاب عاظل بين الموضوعات دون شيء من التنسيق على نحو ما ظهر لنا هذا التعاظل في الذي استشهدنا به .

وهذا عيب لا ينسب الى ابن عبد ربه وحده ولكنه ينسب الى أكثر أدبائنا في القديم فكأنَّ وحدة الموضوع كانت مفقودة وأريد بوحدة الموضوع معالجة

نكر من الأفكار من أكثر نواحيه أو من أقل نواحيه على قدر استعداد الكاتب دون أن تتخلل هذه المعالجة استطرادات تدخل الضيم على تنسيق الفكر ، أكثر كتب أدبنا في الماضي هذا هو عيبها واذا تفحصنا هذه الكتب في جزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة وأمثال هذا كله فلم تنفعنا في حسن التفكير وتنسيق الفكر ، فقد نظفر في بطون هذه الكتب بأروع الحكم والأمثال والأخبار والآثار والأدب ولكنا قليلاً ما نظفر فيها بأفكار عالجها أصحابها بشيء من المنطق وأريد بالمنطق في مثل هذا المقام معالجة الفكر من جهات معينة لا استطراد يخل بها ولا معاظلة تفسدها وقد نجد مثل هذا العيب في شعرنا نفسه فان أكثر شعرنا في الماضي لا وحدة للموضوع فيه فالقصيدة تشتمل على عدة موضوعات لا نظام يجمعها ولست أدري سر هذا العيب فينا فكأنا ننظر الى الأمور من سطوحها لا من أعماقها والذين استطاعوا من شعرائنا أن يجعلوا في شعرهم موضوعاً واحداً مرصوصاً ومن كتابنا أن يجعلوا في كتاباتهم مثل هذا الموضوع المتصلة أجزاؤه بعضها ببعض اتصالاً منطقياً كانوا ولا ريب في ذلك أئمة الانقلاب في الشعر والتفكير ، من ذلك مقامات البديع والحريري فانها وحدة تامة نستطيع ان ننظر في أجزائها وأن ندرس هذه الأجزاء دون أن يعترض دراستنا استطراد أو معاظلة أو ما شابه ذلك ، ومن ذلك كثير من موضوعات رجال الفكر فينا كابن خلدون مثلاً في مقدمته ، وعملنا في هذا العصر انما هو تنسيق هذا الأدب المشتت وهو عمل غير يسير يستلزم كثيراً من الجهد والصبر والبال الطويل .

كيف يكون تفكيرنا لو كانت كتب أدبنا في الماضي تشتمل على موضوعات مستقلة ، لا يركب بعضها بعضاً ، اني أضرب مثلاً لذلك ، نجد في كتاب اللؤلؤة في السلطان الخبر الآتي :

وقال الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا فلما قدمنا أتيت يرفأ فقلت : يا يرفأ ! اني سائل مسترشد أخبرني أيّ الهيآت أحبّ الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الى الخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت رأسي بعمامة دكناء ثم دخلنا على عمر فصفّنا بين يديه وصعّد فينا نظره وصوّب فلم تأخذ عينه أحداً غيري فدعاني فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثي قال : وما تتولى من أعمالنا قلت : البحرين قال : فكم ترزق ؟ قلت : خمسة دراهم في كل يوم قال : كثير ! فما تصنع بها ؟ قلت : أتقوّت منها شيئاً وأعود بباقيها على أقارب لي فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين فقال : لا بأس : ارجع الى موضعك ، فرجعت الى موضعي من الصف ثم صعّد فينا وصوّب فلم تقع عينه الا عليّ فدعاني فقال : كم سنوك ؟ فقلت : ثلاث وأربعون سنة ، قال : الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثو عهد بلين العيش وقد تجوّعت له فأتى بخبز يابس وأكسار بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد الأكل فنظرت فاذا به يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سخت في الأرض ولم ألفظ بها فقلت : يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام هو ألين من هذا فزجرني وقال : كيف قلت ؟ قلت : أقول : لو نظرت يا أمير المؤمنين الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل إرادتك إياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليناً وباللحم غريضاً فسكن من غربه وقال : هذا قصدت ؟ قلت : نعم ، قال : يا ربيع ، انّا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم فقال : « أذهبتم

طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » ثم أمر أبا موسى أن يقرّني على عملي وأن يستبدل بأصحابي !

وقبل هذا الخبر نجد الخبر الذي قرأناه وهو قدوم عمر على معاوية بالشام فالخبران قد قرنا بأخبار ما يصحب به السلطان ولا بأس بذلك فكأن ابن عبد ربه يدلنا على أخلاق عمر بن الخطاب في ميله الى الخشونة في الطعام والبساطة في الحكم ، كأنه يقول لنا ان عمر بن الخطاب يُصحب بالزهد في ليْن العيش وثِقل المواكب قد ينفعنا الخبران في بحثنا عن أخلاق عمر بن الخطاب في هذا المعنى ولكن نفعها أعظم من ذلك انا اذا كنا نبحث عن تطور مظاهر الحكم في العرب والاسلام، نجد في هذين الخبرين مادّة خصبة لنا، ففي حديث عمر بن الخطاب مع الربيع بن زياد الحارثي نجد ميل الخلفاء الراشدين الى بساطة هذه المظاهر ، فالبساطة في صدر الاسلام كانت غالبة على كل شيء ، على الحكم من جهة وعلى الفن من جهة ثانية ولو قابلنا بين خطب أولئك الخلفاء وبين طراز مظاهر حكمهم لوجدنا نسبة شديدة بينهما من حيث البساطة وفي الخبر المتعلق بقدوم عمر على معاوية بالشام نجد « تطور » هذه المظاهر فقد انتقلت من البساطة الى الأُبَّهة وهذا شيء له شأن في تنسيق تاريخنا ، معنى هذا أن معاوية في الشام مشى على آثار البيزنطيين في ايثاره المواكب الثقيلة ، ومن هذا يتبيّن لنا تأثير البيئة في الحياة الاجتماعية وقد « تطوّرت » هذه الأُبهة على مر العصور حتى أفضت في بعض عهد بني أمية وكثير من عهد بني العباس الى اللهو والتبذير وما شاكلهما ·

فلو رتّب ابن عبد ربه مختاراته على هذا الشكل ، فجاء بخبر يدل على ميل عمر بن الخطاب الى الخشونة ثم جاء بالخبر الذي يدل على ميل معاوية الى الأُبهة والعظمة لمهّد لنا سبيلاً الى التمكن من تتبع مظاهر الحكم في العرب والاسلام فاستطعنا بهذا التتبع أن نقابل بين هذه المظاهر على توالي العصور وأن نجد أثر

كل عصر في ذلك ولا شك في أن عملاً من هذا النوع ينسّق تفكيرنا ويقوّي هذا التفكير إلا أن ابن عبد ربه قد رتّب أبواب كتابه ولكنه جعل كل باب دون شيء من الترتيب فلم يؤلف بين الموضوعات المتشابهة في كل باب ، فبينا نجده يختار كلاماً يتعلق بحقوق الرعية اذ يرجع فيبحث عن عدل الإمام وعلى هذا النحو من الترتيب يشتت تفكيرنا فلا يستطيع فكرنا أن يتتبع موضوعاً واحداً فلا ينتقل الى موضوع آخر قبل الفراغ من الموضوع الذي ينظر فيه ، وأظن أنا اذا كنا نشكو في هذا العصر ضعف أدبنا الرياضي فمن جملة أسباب هذا الضعف كتب أدبنا غير المنسقة ، فأكثرنا يدخل في موضوع فلا يعرف كيف يبدأ ولا كيف ينتهي وأكثرنا يأتي كلمة من الشرق وكلمة من الغرب .

واذا كنا ندرس العقد الفريد فانا ندرسه لننتفع بهذه الأمور الفنية التي أشار اليها صاحبه في مقدمته وندرسه لنستخرج من وراء هذه الأمور موضوعات فكرية نجهد في تنسيقها وتأليفها كما استخرجنا من وراء الخبرين اللذين مرا بنا مظهراً من مظاهر الحكم في العرب والاسلام .

شفيق جبري

شيخ الإسلام ابن تيمية (١)

ليس في وسعي أن أحيط وصفاً بمواهب علامة الشرق الامام أحمد المعروف بابن تيمية الحراني الدمشقي ، فقد طبق الأرض بعصره علماً وإصلاحاً ، وملأ الكون صدعاً بالحق وجهاداً ، وسارت بعلومه الركبان ، وعطر أريج شمائله وأعماله الأرجاء .

في أرض دمشق غرست شجرة الاصلاح بيد ابن تيمية فأثمرت ونضجت ، ومن سمائها سطعت شمس السنة الغراء فأضاءت وعمّت ، وفي أجوائها علت صيحة الحق ففزعت جيوش البدع والأوهام ؛ وليس من غرضي أن أذكر كل ما قيل في ترجمة هذا النابغة الكبير ، فهو كما قال الذهبي ، أعظم من أن تصفه كلمي ، أو ينبه على شأوه قلمي ، فان سيرته وعلومه ، ومعارفه ومحنه ، وتنقلاته ، يحتمل ان توضع فى مجلدين : وانما القصد أن نقتبس من نور خدمته العلمية ما ينير لنا طريق الحياة في سيرنا العلمي .

مولده ومنشؤه وتحصيله ومؤلفاته

قال العلامة الآلوسي صاحب جلاء العينين (ص ٤) : في تاريخ مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي ، وتاريخ الحافظ ابن حجر العسقلاني شارح البخاري ، وتاريخ الحافظ ابن كثير ، وتاريخ فوات الوفيات للكتبي ، وشذرات الذهب لابن العماد ، وتاريخ ابن الوردي ، وغيرهم : هو شيخ الاسلام ، وحافظ الأنام ، المجتهد في الأحكام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله

---

(١) محاضرة ألقيت في قاعة المجمع العلمي ولم تنشر ، ثم نقحت وأضيف اليها صفحات في تاريخ هذا الامام العظيم ، رحمه الله . محمد بهجة البيطار

ابن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي ، وفي تاريخ اربل ان جده سئل عن اسم (تيمية) فأجاب ان جده حج وكانت امرأته حاملاً فلما كان بتيماء - بلدة قرب تبوك - رأى جارية حسنة الوجه وقد خرجت من خباء ، فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية فلما رفعوها اليه قال : يا تيمية ، يا تيمية ، يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء ، فسمي بها انتهى . وفي فوات الوفيات وقال ابن النجار : ذكر لنا أن محمداً هذا (أي الجد الأعلى لابن تيمية) كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب اليها وعرف بها اهـ . ولد بحران [1] يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة . وقدم به والده وبأخويه عند استيلاء التتار على البلاد الى دمشق سنة سبع وستين وستمائة ، فأخذ الفقه والأصول عن والده . وسمع عن خلق كثيرين منهم الشيخ شمس الدين ، والشيخ زين الدين بن المنجا ، والمجد ابن عساكر ، وقرأ العربية على ابن عبد القوي ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ، وعني بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرات ؛ وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم ، ونظر في الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على أهله ، ورد على رؤسائهم وأكابرهم ، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة ، وتضلع في علم الحديث وحفظه حتى قالوا : ان كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث ، وأمده الله تعالى بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم ، وبطء النسيان ، حتى قال غير واحد انه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه ؛ وألف في أغلب العلوم التأليفات العديدة ، في التفسير والفقه والأصول والحديث والكلام والردود على المبتدعة ، وله الفتاوى المفصلة ، وحل المسائل المعضلة ، وقد ذكر طائفة من مؤلفاته وعدّ

(١) حران : بلد قرب الرُّها (أورفة) من أرض الجزيرة بين دجلة والفرات ، وهي من بلاد الأناضول .

منها كتاب بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول أربع مجلدات ، وإثبات المعاد ، وكتاب ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً ، وكتاب الرد على الحلولية والاتحادية ، وكتاب الدرة المضية في فتاوى ابن تيمية ، وكتاب اصلاح الراعي والرعية ، ثم قال الذهبي : وما أبعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد اه وقال الحافظ الذهبي : انه نشأ في تصوُّن تام وعفاف ، وتأله وتعبد ، واقتصاد في الملبس والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، ويناظر ويفحم الكبار ، ويأتي بما يحار منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل ، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت ، وأكب على الاشتغال ، ومات والده وكان من كبار أئمة الحنابلة ، فخلفه في وظائفه وله احدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتلعثم وذلك بتؤدة وصوت جهوري فصيح ، وكان آية في الذكاء وسرعة الإدراك ، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحراً في النقليات ، فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وكثرة تصانيف ، وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة ، وتقدم في علم التفسير والأصول ، وجمع علوم الاسلام أصولها وفروعها ودقيقها وجليلها ، (الى أن قال) وكان له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، وقل أن يتكلم في مسألة الا ويذكر فيها أقوال المذاهب الأربعة .

ثناء الأئمة عليه

قال العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي في كتابه (الكواكب الدرية) [1] الذي ألفه في مناقب الإمام ابن تيمية : قد أكثر أئمة الاسلام ، من الثناء على

(١) من « مجموع : الرد الوافر » وما معه من الرسائل طبع مصر سنة ١٣٢٩ هـ .

هذا الإمام ، كالحافظ المزي وابن دقيق العيد وابي حيان النحوي والحافظ ابن سيد الناس والحافظ الزملكاني والحافظ الذهبي وغيرهم من أئمة العلماء ٠

وقال الحافظ المزي : ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه ٠ وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه ٠

وقال القاضي ابو الفتح بن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد ٠ وقلت له ما كنت أظن ان الله بقي يخلق مثلك ! وقال الشيخ ابراهيم الرّقي : ان تقي الدين يؤخذ عنه ويقلد في العلوم فان طال عمره ملأ الأرض علماً وهو على الحق ، ولا بد من ان يعاديه الناس لأنه وارث علم النبوة ، وقال قاضي القضاة ابن الحريري : ان لم يكن ابن تيمية شيخ الاسلام فمن هو ؟ ٠ وقال فيه شيخ النحاة ابو حيان لما اجتمع به : ما رأت عيناي مثله ، ثم مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس وقال :

لما أتينا تقي الدين لاح لنا   داعٍ الى الله فرداً ما له وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا   خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهرنا حبَرًا   بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا   مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره درست   وأخمد الشرّ اذ طارت له شرر
كنا نحدث عن حبر يجيء فيا   أنت الامام الذي قد كان ينتظر

وقال الحافظ الزملكاني : لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة العبارة والترتيب ، والتقسيم والتبيين ، وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد ٠ كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن ٠ وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله (الى ان قال) :

ماذا يقول الواصفون له   وصفاته جلّت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

وقال عماد الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم الواسطي عنه : انموذج الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأمة حذوهم وسبيلهم ، فكان في دارس نهجهم سالكاً ، ولأعنة قواعدهم مالكاً : وقال في ذيل الصفحة الرابعة من كتاب القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي : ومما وجد في كتاب كتبه قاضي القضاة ابو الحسن السبكي الى الحافظ الذهبي في الشيخ تقي الدين ما صورته : وأما قول سيدي في الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره ، وزخارة بحره ، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية ، وفرط ذكائه واجتهاده ، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف ، والمملوك يقول ذلك دائماً ، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل ، مع ما جمع الله له من الورع والزهادة والديانة ونصرة الحق ، والقيام فيه لا لغرض سواه ، وجريه على سنن السلف ، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى ، وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان انتهى .

زهده وإيثاره

قال ابن فضل الله العمري كان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يحصى ، فينفقه جميعه آلافاً ومئين لا يلمس منه درهماً بيده ، ولا ينفقه في حاجته ، بل كان اذا لم يقدر يعمد الى شيء من لباسه فيدفعه الى السائل ، وهذا مشهور عند الناس من حاله .

حكى من يوثق به قال : كنت يوماً جالساً بحضرة شيخ الاسلام ابن تيمية فجاءه انسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجاً الى ما يعتم به فنزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر لذلك الرجل

ولم يحتشم للحاضرين عنده : وحدث من يوثق به ان الشيخ كان ماراً في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه ، فنزع ثوباً على جلده ودفعه اليه وقال بعه بما تيسر وأنفقه ، واعتذر اليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة اهـ .

شجاعة الامام وغيرته على الدين والوطن

أراد ملك الكرج أن يفتك بسكان دمشق من المسلمين ، ويسبي ذراريهم ونساءهم ، فبذل للسلطان غازان - وهو أول من أسلم من ملوك المغول - أموالاً طائلة على أن يمكنه منهم ، فلما اتصل الخبر بالامام قام من فوره وانتدب رجالاً من الوجوه والكبراء وذوي الأحلام الرجيحة واليك خلاصة ما جرى بإخبار من كان حاضراً ولا ينبئك مثل خبير :

قال في الكواكب الدرية : قال الشيخ كمال الدين بن المنجا : كنت حاضراً مع الشيخ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره ، ويرفع صوته على السلطان ، ويقرب منه في أثناء حديثه . حتى لقد قرب أن تلاصق ركبته ركبة السلطان ، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكليته ، مصغ لما يقول ، شاخص اليه لا يعرض عنه وان السلطان مع شدة ما أوقع الله له في قلبه من المحبة والهيبة سأل من هذا الشيخ فاني لم أر مثله ولا أثبت قلباً منه ، ولا أوقع من حديثه في قلبي ، ولا رأيتني أعظم انقياداً لأحد منه ؛ فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل ، فقال الشيخ للترجمان قل لغازان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا ، فغزوتنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت : عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت وجرت ، ثم خرج من بين يديه مكرماً معززاً . بذل نفسه في طلب

حقن دماء المسلمين فبلغه الله تعالى ما أراده • وكان أيضاً سبباً لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم ، وردهم على أهليهم ،وحفظ حريمهم ، وكان يقول : لن يخاف الرجل غير الله الا لمرض في قلبه •

وأخبر قاضي القضاة ابو العباس انهم لما حضروا مجلس غازان قدم لهم طعام فأكلوا منه إلاّ ابن تيمية فقيل : لِمَ لَمْ تأكل؟ فقال : كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس • ثم ان غازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه : اللهم ان كنت تعلم انه انما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك أن تؤيده وتنصره ، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر أن تفعل به وتصنع • وقد ذكر الكتبي من شجاعة الامام انه شكا اليه انسان من قطلوبك الكبير وظلمه له وكان فيه جبروت وأخذ أموال الناس واغتصابها ـ وحكاياته في ذلك مشهورة ـ فدخل عليه الشيخ وتكلم معه فقال له قطلوبك : انا كنت أريد أن أجيء اليك لأنك عالم زاهد • يعني يستهزئ به ، فقال له : موسى كان خيراً مني وفرعون كان شراً منك • وكان موسى يجيء الى باب فرعون كل يوم ثلاث مرات ويعرض عليه الايمان •

ومن مساعيه المشكورة في خدمة أبناء الملل السماوية سعيه في اطلاق أسرى المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء ، وإصراره على ذلك ، ولم يرض باطلاق أسارى المسلمين فقط ؛ وانما فعل ذلك عملاً بقواعد دينه العام ، الذى يوجب المساواة في الحقوق والأحكام ، بين جميع من يظلهم سلطان الاسلام ، واليك شذرة مما كتبه في الرسالة القبرصية خطاباً لسرجوان ملك قبرص ، قال [1] : ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا

(١) (ص ١٢) والرسالة مطبوعة بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣١٩ هجرية •

والآخرة ، فان أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه ، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ، ولا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه ، فانه لا بد للعبد من لقاء الله ، ولا بد أن الله يحاسب عبده كما قال تعالى : « فلنسألنّ الذين أرسل اليهم ولنسألنّ المرسلين » (الى أن قال) :

وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى ، وأطلقهم غازان وقطلوشاه ، وخاطبت مولاي فيهم فسمح باطلاق المسلمين قال لي : لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس ، فهؤلاء لا يطلقون ، فقلت له : بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا فانا نفتكهم ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة ، وأطلقنا من النصارى من شاء الله . فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله .

وكذلك السبي الذي بين أيدينا من النصارى يعلم كل أحد احساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم كما أوصانا خاتم النبيين اهـ .

ومن شجاعته ما حكاه في الكواكب قال : لما وشوا به الى السلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله وأحضره بين يديه قال من جملة كلامه انني أخبرت أنك قد أطاعك الناس ، وان في نفسك أخذ الملك ، فلم يكترث به ، بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت ، وصوت عال سمعه كثير ممن حضر : أنا أفعل ذلك ؟ والله ان ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلساً ، فتبسم السلطان لذلك ، وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة : إنك والله لصادق وان الذي وشى بك اليّ لكاذب ، واستقر له في قلبه من المحبة الدينية مالولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة ما يلقى اليه في حقه من أقاويل الزور والبهتان ، ممن ظاهر حاله العدالة ، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة .

محَن ابن تيمية : ونبذة من عقيدته الحموية

قال العلامة الشيخ مرعي في الكواكب [١] : قل من يسلم من أهل الفضل والدين في هذه الدنيا بلا محنة وابتلاء وخوض فيه لأنه لم يداهن الناس ويصانعهم ، ولذا قل صديقه على حدّ قوله (ما ترك الحق من صديق لعمر) وقال سفيان الثوري : اذا رأيت الرجل يثني عليه جيرانه فاعلم انه مداهن .

(قال) وما وقع من المحنة للأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد والبخاري مشهور كما بينته في كتابنا تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين (ثم قال) هذا وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله امتحن بمحن ، وخاض فيه أقوام ، ونسبوه للبدع والتجسيم وهو من ذلك بريء . فأول محنة كما نقله الثقات في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة بسبب عقيدته الحموية الكبرى ، وهي جواب سؤال ورد من حماة فوضعها ما بين الظهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدي ، فجرى له بسبب تأليفها أمور ومحن لترجيحه مذهب السلف على مذهب المتكلمين وتشنيعه عليهم (فمن بعض قوله في مقدمتها) ما قاله الله سبحانه ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره . ومن المحال أن يكون خير أمة وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه ، ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة قرن الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين . قال : ظنوا ان طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأميين . وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات .

(١) ص ١٠٦٧ من « المجموع المطبوع » .

وقال : فهذا الظن الفاسد أوجبه اعتقاد انهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتجرءوا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقيق العلم الالهي ، وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والاشارة بالخلف الى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه من مرامهم ، يقول الامام فخر الدين الرازي :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلاّ واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به ، ومنشئين له فيما صنفوه من كتبهم ، مثل قول بعض رؤسائهم :

نهاية اقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ويقول آخر منهم : لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً . ولا تروي غليلاً . ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات : اليه يصعد الكلم الطيب : الرحمن على العرش استوى » واقرأ في النفي : ليس كمثله شيء » ولا يحيطون به علماً » ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي . ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الاسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها انا (ذا) أموت على عقيدة أمي اه .

مناظرته رحمه الله

كان شيخ الاسلام يرجع في أمر المعتقد مذهب السلف الصالح ويعض عليه بالنواجذ ، ويحاول ارجاع الناس اليه بكل الوسائل ، ويرى رأي امام دار الهجرة

مالك بن انس من انه لا يصلح آخر هـذه الأمة إلاّ ما أصلح أولها ، وهو رأي كل حكيم عليم بداء الأمة ودوائها قديمًا وحديثًا وكان شديد الانتصار لمذهب السلف والدفاع عنه بالحجج العقلية والنقلية ، وقد عقدت له عدة مناظرات في مصر والشام ؛ كان معظمها يحوم حول هذه القضية ؛ وقد كان سئل ان يكتب المناظرات الثلاث التي جرت له في الشام فكتبها . واني أنقل منها المناظرة الثانية من كتاب (غاية الأماني) للعلامة أبي المعالي السلامي لتكون مثالاً من مناظراته . قال : أما بعد فقد سئلت غير مرة ان أكتب ما حضرني ذكره مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد من كتاب ذي السلطان من الديار المصرية الى نائبه أمير البلاد ، لمّا سعى اليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الأحقاد ، فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة قضاة المذاهب الأربعة . وغيرهم من نوابهم والمفتين والمشايخ ممن له حرمة وبه اعتداد ، وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد ، وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعمائة . فقال لي هذا المجلس عقد لك ، فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك عن اعتقادك ، وعما كتبت به الى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها الناس الى الاعتقاد ، وأظنه قال : وأن أجمع القضاة والفقهاء يتباحثون في ذلك ، فقلت : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عن من هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة ، فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم ، وأما الكتب فما كتبت الى أحد ابتداء أدعو به الى شيء من ذلك ولكني كتبت أجوبة أجبت بها من سألني من أهل الديار المصرية وغيرهم وكان قد بلغني انه زوّر عليّ كتاب الى الأمير ركن الدين الجاشنكير أستاذ ذي السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة ولم أعلم بحقيقته لكن علمت انه مكذوب .

وكان يرد عليّ من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد فأجيبه بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فقال : نريد أن تكتب لنا عقيدتك فقلت اكتبوا فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات والقدر ومسائل الايمان والوعيد والامامة والتفضيل . وهو ان اعتقاد أهل السنة والجماعة الايمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، وان القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدا واليه يعود ، والايمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها ، ونهى عن المعصية وكرهها ، والعبد فاعل حقيقة ، والله خالق فعله ، وان الايمان والدين قول ، وعمل ، يزيد وينقص ، وأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بالذنوب ، ولا نخلد في النار من أهل الايمان أحداً ، وان الخلفاء بعد رسول الله ﷺ ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي (ثم قلت) للأمير والحاضرين أنا أعلم أن أقواماً يكذبون عليّ كما قد كذبوا غير مرة ؛ وإن أمليت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون كتم بعضه أو داهن أو دارى فأنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل أن يجيء التتر الى الشام ، وقلت قبل حضورها كلاماً قد بعد عهدي به وغضبت غضباً شديداً لكني أذكر أني قلت انا أعلم ان اقواماً كذبوا عليّ وقالوا للسلطان شيئاً وتكلمت بكلام احتجت اليه . مثل ان قلت من قام بالاسلام أوقات الحاجة غيري ؟ ومن الذي أوضح دلائله وبينه وجاهد أعداءه وأقامه لما مال ، حين تخلى عنه كل أحد ، ولا أحد ينطق بحجته ، ولا أحد يجاهد عنه ، وقمت مظهراً الحجة ، مجاهداً عنه مرغباً فيه ، فاذا (كان) هؤلاء يطمعون في الكلام فيّ . فكيف يصنعون بغيري ، ولو أن يهودياً طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه ان ينصفه ، وأنا قد اعفو عن حقي

وقد لا اعفو بل أطلب الانصاف منه وان يحضر هؤلاء الذين يكذبون ليكافأوا على افترائهم ، وقلت كلاماً أطول من هذا الجنس لكن بعد عهدي به .

فأشار الأمير الى كاتب الدّرج محيي الدين أن يكتب في ذلك وقلت أيضاً : كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه : ثم قرئت العقيدة في الجلسة فاعترض بعضهم على مسائل منها ، فأجاب الشيخ عنها . وكتبت هذه المناظرة الأولى بنحو ثمان صفحات ، ثم قال شيخ الاسلام :

فصل

فلما كان المجلس الثاني يوم الجمعة في اثني عشر رجب ، وقد أحضروا أكبر شيوخهم ممن لم يكن حاضراً ذلك المجلس ، وأحضروا معهم زيادة : (صفي الدين الهندي) وقالوا : هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكلام ، وبحثوا فيما بينهم ، واتفقوا وتواطوا وحضروا بقوة واستعداد للمخاطب الذي هو المسؤول والمجيب والمناظر ؛ فلما اجتمعنا وقد أحضرت ما كتبته من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة الذي طلبوا تأخيره الى اليوم حمدت الله بخطبة الحاجة خطبة ابن مسعود (رضي الله عنه) (ثم قلت) ان الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف ونهانا عن الفرقة والاختلاف وقال لنا في القرآن : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » (وقال) : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » وقال : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » ربنا واحد ، وكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف ، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين ، وهو متفق عليه بين السلف ، فإن وافق الجماعة فالحمد لله ، والا فمن خالفني بعد ذلك كشفت الأسرار ، وهتكت الأستار ، وبينت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول ، وأنا أذهب الى سلطان الوقت على البريد ، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس فان للسلم

كلاماً ، وللحرب كلاما (وقلت) : لا شك ان الناس يتنازعون يقول هذا أنا حنبلي ، ويقول هذا أنا اشعري ، ويجري بينهم تفرق وفتن واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها ، وانا قد أحضرت ما بيّن اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، وأحضرت كتاب تبيين كذب المفتري (١) . فيما ينسب الى الشيخ ابي الحسن الأشعري تأليف الحافظ ابي القاسم بن عساكر (رحمه الله) (وقلت) لم يصنف في أخبار الأشعري المحمودة كتاب مثل هذا وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في كتابه الإبانة فلما انتهيت الى ذكر المعتزلة سأل الأمير عن معنى المعتزلة . فقلت : كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي وهو أوّل اختلاف حدث في الملة : هل هو كافر أو مؤمن فقالت الخوارج انه كافر ، وقالت الجماعة انه مؤمن ، وقالت طائفة نقول هو فاسق لا مؤمن ولا كافر ، ننزله منزلة بين المنزلتين وخلدوه في النار ، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه (رحمه الله تعالى) فسموا معتزلة (وقال الشيخ الكبير) بجبته وردائه : ليس كما قلت ، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك ، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد ، ثم خلف بعد موته عطاء بن واصل ، وبعد أن ردّ الامام عليه خطأه قال (قلت) الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون وبعدها في أواخر المائة الثانية ، (وأما المعتزلة) فقد كانوا قبل ذلك بكثير من زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية . ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ولا تنازعوا فيها ، وانما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد (فقال) هذا ذكره الشهرستاني في الملل والنحل فقلت : الشهرستاني ذكره في اسم المتكلمين لم سمّوا متكلمين ، لم يذكره في اسم المعتزلة ، والأمير انما سأل عن اسم

(١) عني بنشره القدسي بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ .

المنزلة ؛ وأنكر الحاضرون عليه ، وقالوا غلطت ، وقلت في ضمن كلام : أنا أعلم كل بدعة حدثت في الاسلام وأول من ابتدعها وما كان سبب ابتداعها ؛ وأيضاً فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين ، فإن المتكلمين كانوا يسمّون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام ، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء انه متكلم ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام وقلت انا وغيري انما هو واصل بن عطاء أي لا عطاء بن واصل كما ذكره المعترض (قلت) : وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد وانما كان قرينه وقد روى ان واصلاً تكلم مرة بكلام ، فقال عمرو بن عبيد : لو بعث نبياً ما كان يتكلم بأحسن من هذا ، وفصاحته مشهورة حتى قيل انه ألثغ وكان يحترز عن الراء حتى قيل له أمر الأمير ان يحفر بئر فقال أوعز القائد أن يقلب قليب .

ولما انتهى الكلام الى ما قاله الأشعري قال الشيخ المقدم فيهم لا ريب ان الامام احمد امام عظيم القدر من أكبر أئمة الاسلام لكن قد انتسب اليه أناس ابتدعوا أشياء (فقلت) أما هذا فحق وليس هذا من خصائص احمد بل ما من إمام إلاّ وقد انتسب اليه أقوام هو منهم بريء وقد انتسب الى مالك أناس مالك بريء منهم ، وانتسب الى الشافعي أناس هو بريء منهم ، وانتسب الى ابي حنيفة أناس هو بريء منهم ، وقد انتسب الى موسى عليه السلام أناس هو بريء منهم ، وانتسب الى عيسى (عليه السلام) أناس هو منهم بريء ، وقد انتسب الى علي بن ابي طالب أناس هو بريء منهم ، ونبينا ﷺ قد انتسب اليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين من هو بريء منهم (قال) وذكر في كلامه انه انتسب الى احمد من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام (فقلت) المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام احمد اكثر منهم فيهم : وبعد أن عدّ اصنافهم من غير الحنابلة (قال) وتكلمت على لفظ الحشوية ما أدري جواباً عن سؤال الأمير او غيره او غير جواب . فقلت هذا اللفظ اول من

ابتدعه المعتزلة فانهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم (الحشو) (قال) وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم . وهم غير الأعيان المتميزين يقولون هذا من حشو الناس كما يقال هذا من جمهورهم . وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد قال اي عمرو وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشوياً .

(وقلت) لا ادري في المجلس الأول او الثاني : اول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضي (قلت) لهذا الشيخ من في اصحاب الامام احمد حشوي بالمعنى الذي تريده : الأثرم ، ابو داود ، المروزي ، الخلال ، ابو بكر ، عبد العزيز ، ابو الحسن التميمي ، ابن حامد ، القاضي ابو يعلى ، ابو الخطاب ، ابن عقيل ، ورفعت صوتي وقلت سمهم قل لي من هم ؟ من هم ؟ ؟ أيكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين ، كما نقل هو وغيره عنهم انهم يقولون ان القرآن القديم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم أزلي ؟

من قال هذا ؟ وفي أي كتاب وجد هذا عنهم ؟ قل لي ، وكما نقل عنهم ان الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها . وأخذت اذكر ما يستحقه هذا الشيخ من انه كبير الجماعة وشيخهم وان فيه من العقل والدين ما يستحق ان يعامل بموجبه ، وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه فانه لم يكن حاضراً فى المجلس الأول وانما احضروه في الثاني انتصاراً . وحدثني الثقة عنه بعد خروجه من المجلس انه اجتمع به وقال له اخبرني عن هذا المجلس ، فقال : ما لفلان ذنب ولا لي : فان الأمير سأل عن شيء فأجابه عنه . فظننته سأل عن شيء آخر . وقال قلت انتم ما لكم على الرجل اعتراض فانه نصر ترك التأويل ، وانتم تنصرون قول التأويل وهما قولان للأشعري . وقال : انا اختار قول ترك التأويل وأخرج وصيته التي اوصى بها : وفيها : قولي ترك التأويل

(قال الحاكي له) فقلت له بلغني عنك انك قلت في آخر المجلس لما اشهد الجماعة على انفسهم بالموافقة : لا تكتبوا عني نفياً ولا اثباتاً فلم ذاك ؟ قال : لوجهين (احدهما) اني لم احضر قراءة جميع العقيدة في المجلس الأول . والثاني لأن أصحابي طلبوني لينتصروا بي فما كان يليق ان اظهر مخالفتهم فسكت عن الطائفتين اه باختصار قليل .

اعتقال شيخ الاسلام في مصر والشام وسببه

نقل صاحب الكواكب الدرية عن الشيخ علم الدين انه في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨ وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقي الدين بن تيمية . وكان الشروع فيها من أول الشهر ، وكان سببها ترجيحه مذهب السلف في الصفات على مذهب المتكلمين ، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين ، ثم عقدت له عدة مجالس للمناظرة في مصر والشام ، وحبس في القطرين ، وقد ذكرنا في الفصل السابق احدى تلك المناظرات . ونقل صاحب جلاء العينين عن الحافظ ابن كثير قال وأكثر ما نالوا منه (أي اعداؤه) الحبس مع انه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وانما أخذوه وحبسوه بالجاه ، كما سيأتي اه .

قيل ومن جملة أسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعي ويطلب الإمارة فلفق أعداؤه عليه طريقاً من ذلك ، فحسنوا للأمراء حبسه لسد تلك المسالك اه .

حاله في معتقله ، ووفاته في قلعة دمشق

ذكر صاحب الكواكب الدرية : ان الشيخ لما سجن في مصر بحبس القضاة بحارة الديلم صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيراً من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس . وصار خلق من المحابيس اذا أطلقوا يختارون الاقامة عنده . وكثر المترددون اليه حتى صار السجن يملأ منهم .

ولما ورد أمر بسجنه بقلعة دمشق أظهر السرور بذلك وقال اني كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم . ونقل عنه وارث علومه العلامة ابن قيم الجوزية الذي حبس بقلعة دمشق معه في كتابه (الكلم الطيب والعمل الصالح) انه قال : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحت فهي معي لا تفارقني . انا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، واخراجي من بلدي سياحة ؛ وكان يقول في محلسه في القلعة : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة . أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا الي فيه من الخير ونحو هذا . وكان يقول في سجوده وهو محبوس اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ماشاء الله وقال لي مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه . والمأسور من أسره هواه . ولما أدخل ووصل الى القلعة وصار داخل سورها نظر اليه وقال : «فضرب بينهم بسور له باب . باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» وعلم الله ما رأيت أحداً اطيب عيشاً منه قط . مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها . ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف . وهو مع ذلك أطيب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسرهم نفساً ، تلوح نضرة النعيم على وجهه ؛ وكنا اذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون ، وضاقت بنا الأرض ، اتيناه فما هو إلا ان نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله ، فينقلب انشراحاً وقوةً ويقيناً وطمأنينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم ابوابها في دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة اليها ، وكان بعض العارفين يقول . لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف اهـ وكان دخوله قلعة دمشق سادس شعبان سنة ٧٢٦ وما زال مقيماً في قاعتها الى أن كانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ .

الاحتفال بالصلاة على شيخ الاسلام ودفنه

دخلت جنازة الإمام جامع بني أمية . وصلي عليه عقب صلاة الظهر ولم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه إلا حضر لذلك حتى غلقت الأسواق بدمشق ، وعطلت معايشها حينئذ ، وحصل للناس بمصابه امر شغلهم عن غالب امورهم واسبابهم . وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء ، والفقهاء ، والأتراك والأجناد ، والرجال والنساء ، والصبيان من الخواص والعوام ، قال بعض من حضر ولم يتخلف فيما اعلم الا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته فاختفوا من الناس خوفاً على انفسهم بحيث غلب على ظنهم انهم متى خرجوا رجمهم الناس .

واتفق جماعة ممن حضر وشاهد الناس والمصلين عليه انهم يزيدون على نحو من خمسمائة الف وحضرها نساء كثير بحيث حزرن بخمسة عشر الفاً . قال اهل التاريخ لم يسمع بجنازة تمثل هذا الجمع الا جنازة الامام احمد بن حنبل . قال الدارقطني : سمعت اباسهل بن زياد القطان يقول : سمعت عبد الله بن احمد ابن حنبل يقول سمعت ابي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم الجنائز . قال ابوعبد الرحمن السلمي انه حزر الحزارون المصلين على جنازة احمد ، فبلغ العدد بحزرهم الف الف وسبعمائة الف سوى الذين كانوا في السفن . ثم حملت جنازة الشيخ الى قبره في مقبرة الصوفية فوضع . وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ولم يكن حاضراً قبل ذلك فصلى عليه أيضاً ومن معه من الأمراء والكبراء ومن شاء الله من الناس . ثم دفن وقت العصر الى جانب أخيه الشيخ جمال الاسلام شرف الدين . انتهى من الكواكب باختصار .

خلاصة أعماله رحمه الله

ننقل عن فوات الوفيات [1] ، خلاصة أعماله التي طار بها ذكره في البلاد ، وهو قد نقلها من كتاب (تذكرة الحفاظ) للحافظ ابن عبد الهادي . وقد آثرت

(١) (ج ١ ص ٤٠) طبع مصر سنة ١٢٩٩ هـ .

نقلها لتكون فهرساً لأعمال شيخ الاسلام من سنة ٦٩٨ الى سنة ٧٢٨ وهي سنة وفاته .

قال ابن عبد الهادي قلت : أملى شيخنا المسألة المعروفة بالحموية سنة ٩٨ في قعدة بين الظهر والعصر وهو جواب سؤال ورد من حماة في الصفات ، وجرى له بسبب ذلك محنة ، ونصره الله وأذل أعداءه ، وما حصل له بعد ذلك الى حين وفاته من الأمور والمحن والتنقلات يحتاج الى عدة مجلدات ، وذلك كقيامه في نوبة غازان سنة ٦٩٩ وقيامه بأعباء الأمر بنفسه ، واجتماعه هو بنائبه قطلوشاه وبولاي ، واقدامه وجرأته على المغول ، وعظيم جهاده ، وفعله الخير ، من انفاق الأموال ، واطعام الطعام ، ودفن الموتى ؛ ثم توجهه بعد ذلك بعام الى الديار المصرية ، وسوقه على البريد اليها في جمعة لما قدم التتار الى أطراف البلاد ، واشتد الأمر بالبلاد الشامية . واجتماعه بأركان الدولة واستصراخه بهم ، وحضهم على الجهاد ، واخباره لهم بما أعدّ الله للمجاهدين من الثواب ، وابدائهم له العذر في رجوعهم ، وتعظيمهم له ، وتردد الأعيان الى زيارته ، واجتماع ابن دقيق العيد به ، وسماعه كلامه ، وثنائه عليه الثناء العظيم . ثم توجهه بعد أيام الى دمشق واشتغاله بالاهتمام لجهاد التتار ، وتحريضه الأمراء على ذلك الى ورود الخبر بانصرافهم ، وقيامه في وقعة شقحب المشهورة سنة ٧٠٢ واجتماعه بالخليفة والسلطان وأرباب الحل والعقد وأعيان الأمراء ، وتحريضه لهم على الجهاد ، وموعظته لهم ، وما ظهر في هذه الوقعة من كراماته واجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وقوة ايمانه ، وشدة نصحه للإسلام ، وفرط شجاعته ؛ ثم توجه بعد ذلك في آخر سنة أربع لقتال الكسروانيين وجهادهم واستئصال شأفتهم ، ثم مناظرته للمخالفين سنة (٥) في المجالس التي عقدت له بحضرة نائب السلطنة الأفرم ، وظهوره عليهم بالحجة والبيان ، ورجوعهم الى قوله طائعين ومكرهين ، ثم توجهه بعد ذلك في السنة المذكورة الى الديار المصرية في صحبة قاضي الشافعية ، وعقد له

مجلس حين وصوله بحضور القضاة وأكابر الدولة ، ثم حبسه بالجب بقلعة الجبل ومعه اخواه سنة ونصفاً ، ثم خروجه بعد ذلك وعقد مجلس له لخصومتهم ، وظهوره عليهم ، ثم اقرائه للعلم وبثه ونشره ؛ ثم عقد مجلس له في شهر شوال سنة (٧) لكلامه في الاتحادية وطعنه (عليهم) ، ثم الأمر بتسفيره الى الشام على البريد؛ ثم الأمر برده من مرحلة وسجنه بحبس القضاة سنة ونصفاً ، وتعليمه أهل الحبس ما يحتاجون اليه من أمور الدين ، ثم اخراجه منه وتوجهه الى الاسكندرية وجعله في برج حبس فيه ثمانية أشهر يدخل اليه من شاء ، ثم توجهه الى مصر واجتماعه بالسلطان في مجلس حفل فيه القضاة وأعيان الأمراء واكرامه له اكراماً عظيماً ، ومشاورته له في قتل بعض أعدائه وامتناع الشيخ من ذلك ، وجعله كلّ من آذاه في حلّ ، ثم سكناه بالقاهرة وعوده الى نشر العلوم ونفع الخلق ، وما جرى بعد ذلك من قضية البكري وغيرها ، ثم توجهه بعد ذلك الى الشام صحبة الجيش المنصور قاصداً العراق بعد غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع ، وتوجهه في طريقه الى بيت المقدس ، ثم ملازمته بعد ذلك بدمشق لنشر العلوم وتصنيف الكتب وإفتاء الخلق ، الى أن تكلم في مسألة الحلف بالطلاق فأشار عليه بعض القضاة بترك الافتاء بها في سنة ثمان عشرة ، فقبل اشارته ، ثم ورد كتاب السلطان بعد أيام بالمنع من الفتوى فيها ؛ ثم عاد الشيخ الى الافتاء بها وقال لا يسعني كتمان العلم ، وبقي كذلك مدة الى أن حبسوه بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم أخرج ورجع الى عادته من الاشتغال والتعليم ؛ ولم يزل كذلك الى أن ظفروا له بجواب يتعلق بمسألة شد الرحال الى قبور الأنبياء والصالحين كان قد أجاب به من نحو عشرين سنة فشنعوا عليه بسبب ذلك ، وكبرت القضية وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين بجعله في القلعة ، فأخليت له قاعة حسنة وأجري اليها الماء ، وأقام فيها ومعه أخوه يخدمه ، وأقبل في هذه المدة على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين ، وكتب على تفسير

القرآن العظيم جملة كبيرة تشتمل على نفائس جليلة ، ونكت دقيقة ، ومعان لطيفة ، وأوضح مواضع كثيرة التبست على خلق من المفسرين ، وكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة ، وظهر بعض ما كتبه واشتهر ، وآل الأمر الى أن منع من الكتابة والمطالعة ، وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم يتركوا دواة ولا قلماً ولا ورقة ، وكتب عقيب ذلك بفحم يقول: ان اخراج الكتب من عنده من أعظم النعم ، وبقي أشهراً على ذلك ، وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين .

بعض تلاميذ شيخ الاسلام الأعلام

ذكر صاحب جلاء العينين تراجم طائفة من تلاميذ شيخ الاسلام الأعلام ، الذين كانوا من بعده من أشهر رجال الإسلام ، بما خلفوا من الآثار ، التي طار ذكرها في الأمصار ، وانتفع بها أبناء الأعصار (فمنهم) أشهر تلاميذه ، ووارث علومه ، العالم الرباني ، شيخ الاسلام الثاني ، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ، صاحب الآثار الكثيرة المحررة ، الذي حبس مع الشيخ في قلعة دمشق ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ . وقد قال عنه القاضي برهان الدين الزرعي : ماتحت أديم السماء أوسع علماً منه .

(ومنهم) الإمام الحافظ مؤرخ الاسلام شمس الدين ابو عبد الله محمد الذهبي صاحب ميزان الاعتدال في نقد الرجال وغيره . قال عنه العلامة الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى : كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ، ثم أخذ يخبر عنها اخبار من حضرها .

(ومنهم) الحافظ الكبير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي ، قال عنه ابن حبيب : انتهت اليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير ، ومن تصانيفه التاريخ المسمى البداية والنهاية ، وطبقات الشافعية وغيرهما .

(ومنهم) الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي المقدسي ؛ عده الذهبي في طبقات الحفاظ ، وقد عدَّ له ابن رجب في طبقاته ما يزيد على سبعين مصنفًا وتوفي وعمره أربعون سنة أو اقل .

(ومنهم) قاضي القضاة شرف الدين ابو العباس احمد بن الحسين المشهور بقاضي الجبل . قرأ على الشيخ تقي الدين ابن تيمية - عدة تصنيفات في علوم شتى ، وأذن له في الافتاء في شبيبته قال الذهبي فيه : هو مفتي الفرق ، سيف المناظرين ؛ وبالغ ابن رافع وابن حبيب في مدحه وله اختيارات في المذهب ، ومن شعره اللطيف قوله :

الصالحية جنة والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلها مني التحية والسلام

(ومنهم) زين الدين عمر الشهير بابن الوردي . له تصانيف في النحو والأدب والتصوف والتاريخ . وقد أطنب في ترجمة شيخ الاسلام في تاريخه . ومن نظمه :

سبحان من سخر لي حاسدي يحدث لي في غيبتي ذكرا
لا أكره الغيبة من حاسد يفيدني الشهرة والأجرا

(ومنهم) زين الدين ابو حفص عمر الحراني . ولي نيابة الحكم وقال لم أقض قضية الا وأعددت لها الجواب بين يدي الله تعالى .

(ومنهم) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن مفلح : قال أبو البقا السبكي : ما رأت عيناي أفقه منه . وقال ابن القيم : ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح . وقال ابن كثير : وله مصنفات كثيرة منها على المقنع نحو ثلاثين مجلدًا وعلى المنتقى وكتاب الفروع أربع مجلدات . وله كتاب في أصول الفقه والآداب الشرعية الكبرى والوسطى والصغرى .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

التشريع اللبناني
واحكام الوصية العامة

لمحة في التشريع اللبناني

من المعلوم ان لبنان كان جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، وكان بهذه الصفة خاضعاً للقوانين العثمانية .

ومن المعلوم أيضاً ان الدولة العثمانية أصدرت في القرن التاسع عشر كثيراً من المدونات القانونية ، وقد تأثرت بعض هذه المدونات بالقوانين الأجنبية ، فكان معظمها مقتبساً عن هذه القوانين بتبويبه ونصوصه وروحه . ومن هذه المدونات قانون التجارة ، وقانون الجزاء ، وقانون أصول المحاكمات ، وغيرها .

ويستثنى من ذلك مدونة القانون المدني ، التي نشرت عام ١٨٧٦ بارادة سنية سلطانية باسم مجلة الأحكام العدلية . وهذه المدونة مأخوذة بوجه عام عن كتب ظاهر الرواية في المذهب الحنفي ، اذ كان هذا المذهب مذهب الدولة الرسمي في القضاء والفتيا .

ولم تبحث المجلة في الأحوال الشخصية ، من زواج وطلاق وبنوة ونسب وولاية ووصاية وحضانة ونفقة وما اليها ، الا ما جاء في الكتاب التاسع عن الحجر وفي الكتاب الثالث عشر وغيره عن مرض الموت . وكذلك لم تبحث المجلة في أحكام الإرث والوصية والمفقود والأوقاف . والسبب في ذلك هو الخلاف الكبير الواقع في بعض هذه المسائل ، وتعدد العناصر والأديان في المملكة

العثمانية ، وسياسة التسامح التي اتبعتها الدولة في ذلك الوقت مع غير المسلمين ، وتركها لهم الحرية في أمورهم المذهبية وأحوالهم الشخصية .

وقد بقي الأمر كذلك حتى سنة ١٩١٧ ، حين سنت الدولة العثمانية قانوناً للزواج ، والفرقة ، صدر باسم قانون العائلة . وهذا القانون ، وان كان في الأصل على مذهب الدولة الحنفي ، إلاّ انه في كثير من المسائل أخذ عن باقي المذاهب الاسلامية . مثاله : أخذ عن المذهب الشافعي الحكم بفساد زواج المكرَه وبطلان طلاق السكران أو المكرَه ، وأخذ عن المذهب المالكي أحكام تفريق الزوجين عند الشقاق والنزاع .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى ، وضع لبنان تحت الانتداب الفرنسي . ثم أُلغي الانتداب أثناء الحرب العالمية الثانية . فأصبح لبنان منذ ذلك الحين دولة مستقلة تضم قرابة المليون والثلاثمائة نسمة ، نصفهم أو يزيد من الطوائف المسيحية ، والنصف الآخر من الطوائف الاسلامية . وهؤلاء جميعاً يعيشون في جمهوريتهم الصغيرة في وئام وتوفيق ، ويخضعون لدستور واحد وقضاء واحد . ولا يستثنى من ذلك الا بعض مسائل الأحوال الشخصية ، اذ تخضع فيها كل طائفة لأحكامها الخاصة ، ولمحاكمها الشرعية أو الروحية أو المذهبية .
وعلى الرغم من ذلك ، كان المذهب الحنفي يطبق على الجميع في بعض المسائل ، ومنها الأوقاف والمواريث والنفقات والحجر وما أشبه . ويطبق هذا المذهب أيضاً على السنيين في مسائل الدنيا وفي القضاء الشرعي المتعلق بالأحوال الشخصية .

أما من ناحية التشريع المدني ، فقد أصدر لبنان مدونات جديدة قامت مقام المدونات العثمانية . وأهمها قانون الملكية ، وقانون الموجبات والعقود ، وقانون اصول المحاكمات المدنية ، وقانون العقوبات ، وقانون التجارة ، وقانون أصول المحاكمات الجزائية ، وقانون التجارة البحرية ، وغيرها .

وأما المنازعات في مسائل الأحوال الشخصية ، فان المرسوم الاشتراعي ذا الرقم (٦) الصادر في ٣ شباط سنة ١٩٣ قد جعلها من اختصاص القضاء المدني ، باستثناء بعض المسائل التي أبقاها من اختصاص المحاكم المذهبية ، وباستثناء محاكم الأحوال الشخصية للطوائف المحمدية ·

ثم في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ صدر نظام المحاكم الشرعية الجديد (بالمرسوم الاشتراكي رقم ٢٤١ المعدل بقانون ٤ كانون الأول سنة ١٩٤٦) · فنظم المحاكم الشرعية الاسلامية السنية والجعفرية · وأوجب العمل في المحاكم السنية بقانون العائلة العثماني وبأرجح الأقوال من مذهب أبي حنيفة · وأوجب العمل ايضاً في المحاكم الجعفرية بالمذهب الجعفري وبما يتلاءم وهذا المذهب من قانون العائلة ·

وبتاريخ ٢ نيسان سنة ١٩٥١ ، صدر قانون جديد وسع اختصاص المحاكم المذهبية والروحية للطوائف غير المحمدية · وقد أثار هذا القانون احتجاج نقابة المحامين في بيروت ، وكان السبب في اعلانها الاضراب عن المرافعات ·

وعلى كل ، فان الحكومة اللبنانية أعدت مؤخراً مشروع قانون للمواريث وبعض الأحوال الشخصية · وهو لا يزال قيد الدرس والتدقيق ·

وهكذا ، نحن نرى ان التشريع اللبناني اليوم مزيج من القوانين العثمانية والأوروبية والأحكام الشرعية الاسلامية · ونحن في هذا المقال نبحث في مثل واحد منها ، وهو الوصية · ونحصر بحثنا في التعديل الذي طرأ على أحكام الوصية في لبنان ، وفي تأثير هذا التعديل في القواعد الشرعية العامة ·

مبادئ الوصية

الوصية ، بتعريف الفقهاء ، «تمليك مضاف الى ما بعد الموت بطريق التبرع» (الزيلعي ج ٦ ص ١٨٣) ·

ويشترط لانعقادها وصحتها ونفاذها الشروط العامة المطلوبة لباقي العقود . وهي الرضى أي الايجاب والقبول ، والعاقدان أي الموصي والموصى له ، وأهليتهما ، والموضوع أي الموصى به . ولا نتعرض هنا لتفصيل هذه الأمور وضوابطها . وهي معروفة في كتب الفقه جميعاً .

ومن قواعد الوصية الأساسية انه لا وصية قبل وفاء الديون . فهذه القاعدة متبعة في جميع الشرائع والمذاهب ، وهي لا تزال متبعة في لبنان عند جميع الطوائف وأمام جميع المحاكم . فوصية المديون الذي استغرقت ديونه جميع أمواله تعتبر موقوفة على اجازة الغرماء . فاذا أجازوها صحت ونفذت ، والا كانت باطلة .

وتطبق هذه القاعدة بطريق القياس على تصرفات المريض بمرض الموت ومن ألحق به ، بحيث تعتبر تصرفات هذا المريض في تبرعه باطلة اذا كانت التركة مستغرقة بالدين ، وبحيث تقدم ديون الصحة على ديون المرض أي الديون الثابتة باقرار حاصل في مرض الموت (المادة ١٦٠٣ من المجلة) .

ومن قواعد الوصية ايضاً في المذهب الحنفي قواعد ثلاث وهي :

اولاً : ان الوصية عقد رضائي لا يستوجب لانعقاده شكلاً معيناً .

ثانياً : لا وصية لوارث الا ان تجيزها الورثة .

ثالثاً : لا وصية لأجنبي بأكثر من الثلث الا باجازة الورثة .

وهذه القواعد لا تزال تطبق على أهل السنة في لبنان ، ولكن بعضها تعدل في الطوائف الأخرى . ونحن نبين هنا وجوه هذا التعديل .

شكل الوصية

الوصية في الشرع الاسلامي من العقود الرضائية ، التي يكفي الرضى وحده لانعقادها ، من دون شكل خاص . فلذا ، تصح وصية المسلم ، سواء أكانت شفهية ام خطية . ويمكن اثباتها بالبينة عند انكار الورثة .

أما قانون الوصية اللبناني الصادر في السابع من آذار سنة ١٩٢٩، فقد جعل وصية غير المحمديين من العقود الشكلية ، التي يجب لانعقادها اتباع الشكل المفروض قانوناً . فهذا القانون لا يطبق على الطوائف الاسلامية ، التي تبقى خاضعة لأحكام الشريعة الاسلامية ، وللتقاليد المختصة بكل طائفة منها والمتعامل بها من قديم الزمن (المادة السابعة) .

وقد نص هذا القانون على ان الوصية الخطية المنظمة وفاقاً لأحكامه هي وحدها النافذة . فاذن تعتبر جميع شروط القانون الشكلية ضرورية ، بحيث اذا فقد أحدها اعتبرت الوصية باطلة . ولا يمكن اثباتها بالبينة الشخصية ، أي بشهادة الشهود ، حتى ولو وجد في القضية بدء بينة خطية . وعلى هـذا سار واستمر اجتهاد القضاء اللبناني . ومنه احكام محكمة الاستئناف الأخيرة (الغرفة الأولى رقم ٢٤٨ تاريخ ٢٥ آب سنة ١٩٤٣ ، والغرفة الثالثة رقم ٤٦ و ٦٥ تاريخ ٧ و ٢٢ شباط سنة ١٩٤٥) .

أما شروط تنظيم الوصية ، فتتعلق بالمأمور المختص ، وبالتسجيل ، وبحضور الموصي والشهود ، وبالتوقيع والتصديق . وفيما يلي توضيح وجيز لكل من هذه الشروط .

أولاً — المأمور المختص .

يصادق على الوصية في داخل الجمهورية اللبنانية ككاتب العدل أو رئيس أية محكمة نظامية ، أو مطران الطائفة المنسوب اليها الموصي . ويستثنى من ذلك رجال الدين ، اذ ان وصيتهم لا يجوز المصادقة عليها الا أمام الرئيس الروحي (المادة الحادية عشرة من قانون ٣ نيسان سنة ١٩٥١) .

أما في خارج الجمهورية اللبنانية ، فان وصية اللبناني يُصدَّق عليها وفاقاً لأحكام قانون الوصية اللبناني ، أو الأصول المستعملة للتصديق على الصكوك الرسمية في البلاد التي تنظم فيها الوصية (قانون ١٨ شباط سنة ١٩٤٦) .

ثانياً — تسجيل الوصية ·

للموصي الذي يعرف القراءة والكتابة ان يطلب التصديق على وصيته من دون ان يُطلع أحداً عليها · وله تسجيل وصيته بحرفها · أما الأُمي ، فيجب تسجيل وصيته حرفياً ·

ثالثاً — حضور الموصي والشهود ·

من الموصي أن يكون حاضراً مع أربعة شهود من اللبنانيين الراشدين الذين لا منفعة لهم من الوصية ·

رابعاً — الامضاء والتصديق ·

تتلى الوصية المسجلة بحرفها على الموصي قبل توقيعها أمام الشهود · ثم يوقعها الموصي امام المأمور والشهود بوضع توقيعه · واذا كان يجهل التوقيع ، فان المرسوم الاشتراعي رقم ٣١٥ الصادر في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ يقضي أن يضع طابع اصبعه ، وفقاً لأحكام قانون الكتاب العدل · ثم يوقع الشهود ويصدق المأمور على الامضاء بعبارة مخصوصة وردت في قانون الوصية (المادة الخامسة) ·

أما اذا كانت الوصية مستورة ، فلا لزوم لتسجيل الوصية بحرفها ، بل تكتب عليها عبارة التصديق المخصوصة ، بعد أن يستثبت المأمور إلمام الموصي بالقراءة والكتابة وبعد ان يقرر أمامه أن له تمام المعرفة بمحتوياتها ·

نصاب الوصية

نصاب الوصيــة هو المقدار الشرعي أو القانوني الذي يجوز الايصاء به · ولأجل تحديده بحسب المذهب الحنفي يجب التفريق بين حالات أربع وهي : وصية غير المليء ، وصية المليء الذي لا وارث له غير الموصى له ، وصية المليء لأحد الورثة ، وصية المليء للأجنبي ·

أولاً — وصية غير المليء .

قلنا سابقاً ان المديون الذي استغرقت ديونه جميع أمواله لا تصح وصيته الا بابراء ذمته من قبل الغرماء أو باجازتهم الوصية . أما اذا كانت الديون لا تستغرق جميع أمواله ، فان الوصية تنفذ مما يبقى بعد وفاء الديون .

ثانياً — وصية المليء الذي لا وارث له غير الموصى له .

اذا كان الموصي مليئاً ، أي لا تستغرق ديونه جميع أمواله ، ولم يكن له وارث أو كان الموصى له هو الوارث الوحيد ، فان وصيته تصح بماله كله أو بعضه لمن يشاء ومن دون حاجة لإجازة بيت المال .

ثالثاً — وصية المليء لأحد الورثة .

نطبق في هذه الحالة القاعدة الشرعية المبنية على الحديث الشريف : « لا وصية لوارث الاّ ان يُجيز الورثة »[1] . فالوصيـة تعتبر موقوفة على اجازة الورثة ، فاذا أجازوها صحت ونفذت ، والا بطلت واعتبرت كأنها لم تكن . ويشترط أن تصدر الإجازة بعد وفاة الموصي في المذهب الحنفي . ولا عبرة للإجازة الصادرة قبل ذلك . ويعتد بصفة الوارث وقت موت الموصي لا وقت الوصية . أما اذا أجاز الوصيةَ بعضُ الورثة وردها الآخرون ، فانها تنفذ بقدر حصة المجيزين فقط .

رابعاً — وصية المليء للأجنبي .

ويقصد بالأجنبي هنا غير الوارث . فهذه الوصية تصح وتنفذ فقط من ثلث التركة بعد وفاء الديون . وهذا هو نصاب الايصاء في الشريعة الاسلامية .

(١) روي هذا الحديث بألفاظ أخرى . مثاله : « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » ، « لا تجوز وصية لوارث إلاّ أن يشاء الورثة » . الخ . انظر البخاري بشرح العيني (ج ١٤ ص ٣٧ و ٣٨) ونيل الأوطار للشوكاني (ج ٦ ص ٣٤ نقلاً عن الدارقطني وكتب الحديث الستة) .

ولكن يجوز للورثة بعد وفاة الموصي أن يجيزوا الوصية بما يزيد على هذا النصاب . فتنفذ الوصية عندئذ بكاملها أو بقدر حصة من أجازها من الورثة .

هذه هي القواعد الشرعية في المذهب الحنفي ، وهي لا تزال نافذة على المسلمين السنيين في لبنان . أما الطوائف الأخرى ، فانها اتبعت أحكاماً تختلف عن هذه الأحكام بعض الاختلاف .

ففي المذهب الجعفري (الشيعة الامامية) ، تصح الوصية للوارث وللأجنبي ضمن نصاب الثلث . وتصح بالزيادة بإجازة الورثة . وبهذا أخذ قانون الوصية المصري الجديد الصادر في ٢٤ حزيران سنة ١٩٤٦ (في المادة ٣٧) ، وذلك استناداً الى الآية الكريمة « الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » (سورة البقرة ، ١٨٠) . وتصح الإجازة في المذهب الجعفري بعد موت الموصي أو قبله (العروة الوثقى ج ٢ ص ٤٠٨) .

أما في المذهب الدرزي ، فتجوز الوصية من دون قيد ولا شرط ، وذلك وفقاً لقانون الأحوال الشخصية للطائفة الدرزية الصادر ٢٤ شباط سنة ١٩٤٨ (المادة ١٤٨) .

أما عند الطوائف غير المحمدية ، فيطبق قانون الوصية اللبناني الصادر في ٧ آذار سنة ١٩٣٩ . وهو ينص على جواز الوصية لوارث أو لغير وارث ، بشرط أن لا تزيد قيمتها على الحصة المحفوظة لبعض الورثة .

فهذا القانون نص على أنه : « لكل لبناني راشد أن يوصي بجميع موجوداته من منقول وغير منقول لمن يشاء ، وارثاً كان أو غير وارث ، الا اذا توفي عن أب أو أم أو زوج أو زوجة أو أولاد ، ذكوراً كانوا أم أناثاً . فان لهؤلاء المذكورين ، ولكل منهم منفرداً ، حقاً ارثياً لا يمكن الموصي أن يحرمهم اياه ، وهم أحياء بعد موته » (المادة الأولى) .

وقد فرق هذا القانون في نصاب الايصاء بين أربعة أحوال وهي :

أولاً — عدم وجود أولاد ولا احد الزوجين او احد الوالدين . فحينئذ يحق للموصي ان يتصرف في وصيته من دون قيد ولا شرط ولمصلحة أي شخص كان .

ثانياً — عدم وجود أولاد مع وجود احد الزوجين او الوالدين . فعندئذ يخصص من تركة الموصي قبل تنفيذ الوصية ، عشرون في المائة لأحد الزوجين ، وخمسة عشر في المائة لكل من الوالدين الحيين بعد موته .

ثالثاً — وجود أولاد مع عدم وجود احد الزوجين او الوالدين . فعندئذ يخصص من تركة الموصي قبل تنفيذ الوصية خمسون في المائة ، توزع على الأولاد بالتساوي بين الذكور والإناث ، أو تعطى بكاملها لمن كان حياً منهم عند موت الموصي .

رابعاً — وجود اولاد مع احد الزوجين او الوالدين . فتكون الحصة المحفوظة في هذه الحالة عشرة بالمائة ، لأحد الزوجين ، وخمسة بالمائة لكل من الوالدين ، وثلاثين بالمائة للأولاد توزع بينهم كما في الحالة السابقة .

الخلاصة

هذا مثل من مسائل الأحوال الشخصية في لبنان . وهو يدل على اختلاف الطوائف في هذه المسائل ، وعلى صعوبة الغوص في تفاصيلها . وليس هذا بالمثل الوحيد . فمسائل الزواج والطلاق والفرقة أشد تشعباً واختلافاً .

ولكن على الرغم من ذلك ، فان هذا الاختلاف لم يؤثر في وحدة صفوف اللبنانيين ، ولا في تعاونهم وتضامنهم . ونحن نرى ان توحيد التشريع ممكن في كثير من مسائل الأحوال الشخصية ، لا سيما وأن الشريعة الاسلامية ليست مذهباً واحداً ، وان الاجتهاد فيها واجب لا مراء فيه ، وان القاعدة الكلية في هذه الشريعة وفي غيرها من الشرائع الراقية هي انه : « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » .

صبحي محمصاني

ذكرى ابي الثناء

شهاب الدين محمود الآلوسي

حياته الخاصة

في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٧٠ هـ = ٢٧ آب سنة ١٩٥١ م مضى مائة حول على وفاة عالم العراق وأديبه ومؤرخه . ولد في منتصف شعبان سنة ١٢١٧ هـ ، وتوفي ولم يتجاوز الخمسين سنة الا قليلاً . ظهر في عهد المماليك في العراق وكانت حكومتهم بدأت سنة ١١٦٣ هـ وانقرضت سنة ١٢٤٧ وعاش الى ما بعد انقراضها فأدرك حكم الدولة العثمانية المباشر ورأى جملة من الولاة .

أدرك الآلوسي قسماً كبيراً من ايام المماليك الذين عملوا على بث العلم والآداب ليثبتوا حكمهم باكتساب رضا الأهلين فأسسوا المدارس والمعاهد الخيرية . وقد ظهر في أيامهم علماء أكابر وبيوت انصرفت الى العلم واشتهرت به . كآل السويدي ومنهم : الشيخ عبد الله السويدي الذي كان قبل المماليك بمدة وأدرك عهدهم ثم توالى بعده أولاده ، وصبغة الله الحيدري ، والسيد عبد الله الآلوسي (والد الأستاذ المترجم) الذي ولي التدريس في مدرسة الامام الأعظم اربعين سنة ، كما ظهر غير هؤلاء جماعة من العلماء ، منهم من هو من اساتذة الآلوسي ذكرهم في مختلف مؤلفاته ، ومنهم من لم يتعرض لذكره كعلماء من الأكراد وغيرهم .

ويرجع الفضل في ثقافة العصر الى المدارس التي قامت في ايام المماليك وانتقلت من عهد العباسيين فمن بعدهم . ومن اشهر هذه المدارس الجديدة

المدرسة العلية والمدرسة السليمانية والمدرسة الأحمدية فضلاً عن انه كان لكل جامع مدرسة خاصة . وتعد هذه المدارس بالعشرات تفردت بغداد عاصمة العراق بها . واكثر المدارس شأناً ما أنشأه داود باشا او عمره من المدارس القديمة .

أخذ الأستاذ الآلوسي العلم من هذه المدارس كما أخذه من ابيه وجماعة غيره . آخرهم الشيخ علي علاء الدين الموصلي بن صلاح الدين يوسف بن رمضان من أسرة معروفة بآل الرمضاني أقامت في بغداد مدة ولا تزال بقاياها حتى اليوم . وابنه الشيخ اسماعيل كان معروفاً بالعلم وهو استاذ اولاد الآلوسي واحفاده . ويتميز الأستاذ علي علاء الدين على غيره بالأدب ، هذه الصناعة التي تغلبت في العادة على علماء العرب .

عرضنا لذكر العلماء عندنا في (التاريخ العلمي) ومن رجع الى ثبت اسمائهم ايام داود باشا هاله العدد . ويعجب كل العجب من سمع عثمان بن سند يتحدث عن العلماء الذين تلقوا (مذهب السلف) من محمد بك الشاوي المتوفى قبل الآلوسي . ولا تهمنا الأعداد ولا المفاخرة والمبالغة في اثرها ، وانما تقول انه جاء علماء اكابر في عهد المماليك تولوا الثقافة وكانوا يعنون في مدارسهم بتخريج من يرغبون في العلم .

واشتهر قبل الآلوسي ادباء كثيرون وشعراء منهم الشيخ حسين العشاري جد الأستاذ لأمه . وآل السويدي وغالبهم من اهل الأدب ، والسيد عبد الله الفخري اديب في العربية والتركية ، وابنه سعد كذلك وآخرون ممن ذكرناهم في التاريخ الأدبي . وكان اكثرهم متأثراً بالتراث الخالد الذي انتقل من مخلفات العصور الماضية .

ولا عجب أن يظهر استاذنا في هذا الوسط . ويخطئ من يظن ان هذا العهد (عهد ظلمة) ، وانما اهملت بعدد العناية بالآداب لذا كان البغداديون يترحمون

على داود باشا ويألمون لضياع قدر العلم ، ويحزنون لذكرى تلك الايام . ومن اجازات العلماء تجلت لنا الرغبة الأكيدة في الحرص على العلم ونشره .

ظهر الأستاذ الألوسي في هذا العصر من عصور الثقافة ، وليس من السهل الظهور فيه ، فنراه سما الى أوج لم يستطع العروج اليه كل طالب ، وهنا تبين القدرة . لم تكن الثقافة مشوشة فنظمها ، أو دراسة فرغب فيها . وكان سموه سمو حكيم . أخذ العلم في وقت مبكر جداً من أيام حياته ، وكانت على مواهب طبيعية نادرة . ويحكى عنه انه قال : «ما استودعت ذهني شيئاً فخانني» . وبهذه الموهبة كتب له الظهور في العلم ، وفي آثاره ما ينبئ بسعة ثقافته وأدبه الجم .

ومن أشهر هذه الآثار :

١ — روح المعاني في التفسير .

٢ — الأجوبة العراقية عن الأسئلة الايرانية .

٣ — الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية .

٤ — السبع المثاني .

٥ — نشوة الشمول في السفر الى اسلامبول .

٦ — نشوة المدام في العودة الى مدينة السلام .

٧ — غرائب الاغتراب .

٨ — مقامات الألوسي .

٩ — الفيض الوارد في أحوال المولى خالد .

١٠ — كشف الطرة عن الغرة .

١١ — حاشية على شرح القطر .

١٢ — شرح سلم المنطق .

١٣ — بلوغ المرام : حاشية على عصام الاستعارة . مخطوطة عندي بخطه .

١٤ — الرسالة اللاهورية ٠

١٥ — البرهان في اطاعة السلطان ٠

١٦ — شهي النغم ٠ عندي بخطه ٠

١٧ — النفحات القدسية ٠

١٨ — سجع القمرية في ربع العمرية ٠

١٩ — سفرة الزاد لسفرة الجهاد ٠

وهذه الكتب منها ما كتبه أيام طلبه العلم ومنها ما كتبه بعد أن ولي التدريس على عهد المماليك ومنها ما كتبه بعد سقوط بغداد أو بعد سفره الى اسلامبول ٠ أجازه الأستاذ الشيخ علي علاء الدين الموصلي في غرة ذي الحجة سنة ١٢٤١ هـ وتخرج من مدرسة عاتكة خاتون الكيلانية بالأستاذ الموصلي وجرى له احتفال عظيم بدعوة من الواقفة صاحبة المدرسة ثم عارضه العلماء معارضة قوية فتدخل في الأمر عبد الغني آل جميل من مشاهير علماء بغداد وراجع الوالي وناصره الكتخدا ٠ وفي غضون ذلك أنشأ له نعمان چلبي الباچەچي مدرسة وسدّ اليه التدريس فيها سنة ١٢٤٣ هـ ٠ ودام ذلك حتى انتزعت بغداد سنة ١٢٤٧ هـ من المماليك وولي الوزير علي رضا باشا اللاز ٠

وكان أهم أدوار حياته بعد سقوط بغداد سنة ١٢٤٧ هـ ، وقد ولي الافتاء السيد محمد سعيد الطبقجهلي وهو أول مفتٍ في بغداد بعد المماليك وكان الوزير بكتاشي الطريقة ، فلم يرض عن هذا المفتي ، وكان الأستاذ عبد الغني الجميل في الشام فاستدعاه لتولي الافتاء ، فصار ثاني مفت ، والأستاذ المترجم له أمين فتواه ٠ ثم نكب هذا المفتي في فتنة علي رضا باشا اللاز وأحرقت كتبه وكانت خزانته أجل خزانة كتب ببغداد أضاعها العراق ٠

وفي سنة ١٣٤٩ هـ ولي الأستاذ الألوسي الافتاء ، وفي هذا المنصب ظهرت

مواهبه واتصل بالأدباء والعلماء على طبقاتهم . اتصل بالشيعة وبالكشفية وبالبابية فكتب فيهم ما كتب ، وكان أصدق من كتب . وأمسى بيته نادي علم وأدب . وهذا مالفت أنظار الحساد فتوصلوا الى الوقيعة به حتى عزل من الافتاء في ٢٧ شوال سنة ١٢٦٣ هـ فصار الى عوز وضيق ورحل إلى اسلامبول في غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٦٧ هـ وعاد الى بغداد في ٥ من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٩هـ فكتب رحلاته الثلاث (نشوة الشمول) و (نشوة المدام) ، و (غرائب الاغتراب) وكتب (شهي النغم) وقدمه الى شيخ الاسلام عارف حكمة الا انه لم ينل مطلباً في اسلامبول ، وعاد عليلاً ولازمه المرض حتى توفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ .

حياته التاريخية

لعل حياة الألوسي في الطلب والتدريس والعلم لا شأن لها كشأنها في التاريخ وطريقة تدوينه . ومن الصعب ان ندرك الحالة التاريخية عندنا ان لم نتعرض للأستاذ المترجم له . فقد كان الاشتغال بالتاريخ فردياً يقوم على اعتبار شخصي عاطفي لا يتحرى الحقيقة المجردة العلمية ، لذلك انعدمت الفائدة منه لأن المؤرخ المحقق يجب ان يكون حيادياً لا ينساق مع التيارات المتنازعة ، يتحلى بالروح العلمية الصحيحة . وقد تحرز الأستاذ الألوسي من هذه النزعات فجاء نهجه التاريخي واضحاً علمياً كما يظهر من مجلداته العديدة .

نشط للتاريخ وكتب فيه جملة خالصاً مما وقع فيه من قبله ، ثم انتقلت فكرته هذه الى أولاده وأحفاده حتى استمر تدوين التاريخ في سلوك هذا النهج القويم رغماً عن أولئك الذين يتعرضون له بجهل أو غاية شخصية . ومن هنا ندرك ان الاشتغال بهذا العلم قد تكامل في أيام ابي الثناء وهو أول مؤرخ في عهده بدأ عمله العلمي بنفسه ، ثم درب تلامذته فاختطوا طريقته واتبعوا نصحه وارشاده . وقد كان عصره عصر اضطراب وخلل أعقب انقراض

المماليك نشهد فيه الآلوسي هذا الاضطراب وشهد معه اثر الطاعون وسوء الادارة .
هذه العوامل المتكاتفة أبعدت الثقة بين الأهلين والحكم الجديد ، ولولا ابي الثناء وآثاره ، والعصبة الأدبية التي التفّت حوله من تلامذته وغيرهم لندر وجود المؤرخين المعاصرين .

ولئن نشأ في أيام الآلوسي بعد عهد المماليك مؤرخون في التاريخ السياسي والتاريخ الأدبي والعلمي الا ان من بين هؤلاء نفراً استخدمتهم السلطة الحاكمة ووافقوا آراءها ودونوا لها ما أرادت وقد انتشرت تواريخ ايرانية وتركية بلغاتها وقفنا عليها وطالعنا ما فيها ، كما ان من بين هؤلاء المؤرخين أيضاً نفراً كانت رغبتهم في التأريخ خالصة وقد تركوا لنا ما يصور هذه التطورات والحوادث .

كل هذه الاتجاهات هي التي ألهمت الأستاذ الآلوسي وتلامذته الى الاتجاه التاريخي الصادق فذكروا ما وقع من حوادث أدبية وأثبتوا لنا ما نطق به الأدباء وبيّنوا الصلات الأدبية آنذاك ، حتى احتلوا مكانة سامية في التدوين ومضوا في تأسيس هذا الاتجاه الجديد لا يلتفتون الى ما انقضى وان كانوا يضمرون لتاريخهم القديم وما ورثوه من مدونات وكتب ومجاميع احتراماً واجلالا .

لقد كان قبلهم من المؤرخين (الغرابي) و (السويديون) و (ابن سند) وأدباء آخرون نشطوا للعمل فألهمت مؤلفاتهم من وليهم نهجاً جديداً وولدت آراء في التدوين ، وقد أعملوا فكرهم فمحصوا الأوضاع ولم يقفوا عند المصادر او النقل المجرد . واذا كانت رحلة السويدي ألهمت رحلات الآلوسي في بيان الصلات العلمية والتدوينات الأخرى و (تاريخ الغرابي) ولد (كشن خلفا) و (دوحة الوزراء) ، وابن سند .. فان حديقة الزوراء وسائر المجاميع الأدبية الأخرى ألهمت (حديقة الورود) وذيلها ، و (الروض الخيل) ، و (عنوان المجد) ، و (المجد التالد) . الى آخر هذه التأثيرات التي يطول ذكرها .

وخلاصة القول أنه تولدت في عصر الألوسي حركة تاريخية امتدت واطردت بعده ، وسارت في اتجاهاتها الحرة ، وتكونت كتلة أدبية من علماء الأدب خالفت الدولة منها وفرقت الجماعة فعزلت الألوسي عن الافتاء فلم يعد يستطيع أن يستعيد موقفه ولم يفده سفره الى استانبول ولا التملق بسبب من شيخ الاسلام عارف حكمة ولا غيره من رجال الدولة فانصرف على سنته في حرية التدوين .

أما المعاهد والمدارس فقد كانت مصانع تاريخية يلقن اساتذتها العلوم ويوجهون ويدربون ، يستفيدون مما خلفه لهم من سبقهم من كتب . وقد كانت مؤلفات الألوسي ظاهرة من ظواهر عمله يظهر فيها الطريقة الصحيحة لتدوين التاريخ كما كان هو على اتصال دائم بالأدباء والعلماء المعاصرين دع من سلكوا سبيله في هذا المضمار من تلامذته ، فنبههم الى الثقافة التاريخية والأدبية ونجح في مهمته من طريق غير مباشر ، من طريق المدارس والاتصال بالعلماء لا من طريق (المعارف) .

ولنا أن نقول ان عصر الألوسي يقابله عند الترك العثمانيين (عصر التنظيمات) ، هذه التنظيمات التي عُدّت مبدأ للعصر الجديد يفصله عن الماضي القديم .

وعلى هذا المقياس يبدأ (عهدنا الحديث) بسنة ١٢٤٧ هـ أي بعد انقراض المماليك ويصح ان يسمى (بعصر الألوسي) ولم ينقطع بوفاته بل امتد مائة سنة بعد وفاته وهذا هو العهد الذي أردنا ان نعيد الى النفوس ذكراه .

والعراق في عهد الألوسي وما بعده لم يكتف بثقافته الخاصة بل اقتبس من الترك ما كتبوه عن الحوادث السياسية التي تتعلق بالعراق وسياسة الأتراك ، كما أن بعض العرب ألفوا تجاهنا مؤلفاتهم مضطربة غير متسقة ولا مرتبة ولا توضح من حالتهم آنذاك الا النذر القليل . ومن الآثار الجليلة المفيدة التي تمس بحوادث العراق ما دوّنه المؤرخ التركي العراقي الأستاذ سليمان فائق ابن الحاج طالب كهية ، وفي مؤلفاته مناقشات تاريخية مهمة تسترقف النظر ،

اذ كان متصلاً بالآلوسي فذكره في رحلاته . وقد استفاد العراق أيضاً مما وصل اليه من تآليف الايرانيين والهنود وما كتبوه في التاريخ ، والعراق حينئذ كان على مفترق الطرق يطلع على ذلك كله ولا تخفى عليه خافية إلا أنه كان يعوزه التنظيم والتنسيق . ويحسن بنا هنا أن نشير أيضاً الى أثر الصحافة في استنبول وفي الأقطار العربية فقد كانت عامل فائدة في بابها .

فالآلوسي اذن بتوجيهه الظاهر في كتبه وسيرة تلامذته الى جنب ظهور الوسائل الأخرى للثقافة التاريخية كان العامل الأكبر في بث الفكرة التاريخية وخلاصها من الأغراض الشخصية . ولا ينكر ان هناك مؤرخين عديدين ظهروا في العراق ولم تكن لهم علاقة بالآلوسي أو طلابه وانما كان همهم ان يبينوا ما أغفله الأستاذ أو يعارضوه .

ومن المؤلفات في التاريخ الأدبي :

١ — حديقة الورود في حياة الشهاب محمود . لا تزال مخطوطة . كتبها أحد الأدباء من تلامذة الأستاذ وهو عبد الفتاح الشواف . واختصرها أخوه عبد السلام الشواف وكان من العلماء الأفاضل . وعندي مخطوطة منها .

٢ — ذيليا للمؤلف . وتوفي قبل الأستاذ الآلوسي .

٣ — تكملتها . للأستاذ نعمان خير الدين الآلوسي ابن المرحوم الأستاذ أبي الثناء . مضى بها الى تاريخ وفاة ابي الثناء .

وهذه كلها في حياة الأستاذ وعلاقاته بالعلماء والأدباء . واتجاهها أدبي تاريخي . وتعد من أجل الصفحات في تاريخ عصر الآلوسي .

٤ — مؤلفات الأستاذ . وقد مرّ بيانها . وتحتاج الى تحليل علمي .

٥ — الروض الجميل في آل جميل . كتب على غرار الحديقة الا انه يحوي

ما قيل في هذه الأسرة من مديح . كتبه السيد عبد الله الألوسي ابن المترجم .

٦ — ديوان عبد الباقي العمري .

٧ — ديوان الأخرس .

٨ — مجموعة الأخرس في شعر عبد الغني جميل .

٩ — المجد التالد في الشيخ خالد للسيد ابراهيم فصيح الحيدري .

١٠ — عنوان المجد في تاريخ بغداد والبصرة ونجد .

وهي مؤلفات تمد من أجل الصفحات في تاريخ عصر الألوسي تبحث في حياة الأستاذ وعلاقاته بالعلماء والأدباء واتجاهها أدبي تاريخي . وكل هذه كتبت في عصر الألوسي أو بعده بقليل . ثم جاءت كتب الأستاذ السيد محمود شكري والسيد نعمان خير الدين الألوسي ، والتاريخ الأدبي (الدر المنتثر) للأستاذ علي علاء الدين الألوسي .

وفي هذه التآليف يظهر أثر الاستاذ المترجم ، ثم كثرت المؤلفات وأتى عهد الدستور وبرزت علاقات عالية لا تخلو من تأثير كبير في ثقافة العصر حتى مضى على وفاة أستاذنا مائة سنة . ولا بد لمن يريد دراسة مؤلفاته القيمة من وقت طويل ليوفيها حقها من التاريخ الأدبي والتاريخ العلمي لأنه كان وحده مدرسة أدب وتاريخ .

عباس العزاوي



طلائع الثنائية في القديم

ان سكت غيري فأنا غير ساكت ، نصراً للغة العربية ، ونشداً للضالة العلمية . واذ كنت وما أزال مجاهراً بأني على أتم الاستعداد لمبادلة الأفكار في شأن النظريات اللغوية قديمها وحديثها ، فلم أتمالك من المبادرة الى الجواب على كلمة الأستاذ الشيخ المغربي [1] . وبما انه هو وغيره من المحافظين ينادون بالاستناد الى مذاهب الأقدمين ، فهاأناذا ناقل طوائف من أقوال هؤلاء الأئمة ، قصد تمحيصها . وكنت في العام الماضي قد أقمت ستة أشهر في القاهرة تمكنت في غضونها من الوقوف ، في دار الكتب المصرية ، حيث كنت أشتغل يومياً ، على قديم الأسفار اللغوية ، التي لم تزل جملة منها مخطوطة . وقد وقعت في غير واحد من هذه الأمهات على نصوص مهمة ثمينة ، تنم على ميل هؤلاء الأقدمين الى افتراض الثنائية قبل الثلاثية .

جاء في معجم « التهذيب » للأزهري نقلاً عن الخليل بن احمد ، قال (في الصفحات الأول من مخطوطة دار الكتب المصرية) : « كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي . فأما الثنائي فما كان على حرفين . نحو : قدْ ، بلْ ، لمْ ، هلْ ، ومثلها من الأدوات . والثلاثي ، نحو قولك : ضرب ، خرج ، مبني على ثلاثة أحرف . والرباعي ، نحو قولك : دحرج ، هملج ، قرطس . مبني على أربعة أحرف . والخماسي ، نحو قولك : اسحنكك ، اقشعر ، اسحنفر ، مبني على خمسة احرف .. »

(١) تراجع هذه المجلة ، مجلد ٢٧ ، جزء ١ ، ص ١٢٢ ي .

ثم قال : « فاذا صيّرت الثنائي مثل « قَدْ ، وهَلْ ، ولَوْ » اسماء ، أدخلت عليها التشديد ، فقلت : هذه « لوٌّ » مكتوبة . هذه « قدٌّ » حسنة الكتبة . وأنشد :

ليت شعري وأين مني ليت ان « لَيْتاً » وان « لَوّاً » عناء

نشدّد « لَوًّا » حين جعله اسماً (١) .

ثم قال : « وأما الحكاية المضاعفة فانها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبهها . فيتوهمون في حسّ الحركة ما يتوهمون في جرس الصوت . يضاعفون لتستمر الحكاية على وجه التصريف .

والمضاعف من البناء في الحكايات وغيرها ما كان حرفا عجزه مثل حرفي صدره . وذلك بناء تستحسنه العرب وتستلذه ... « وينسب الى الثنائي ، لأنه يضاعفه » . ألا ترى ان الحاكي يحكي صلصلة اللجام ، فيقول : صلصل اللجام . فيقال : « صَلْ » يخفف . فان شاء اكتفى بها مرةً . وان شاء أعادها مرتين ، أو اكثر من ذلك . قال « صَلْ ، صَلْ ، صَلْ » فيتكلف من ذلك ما بدا له » . ثم قال : « والعرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء « الثنائي المثقل » بحرفي التضعيف . ألا ترى أنهم قالوا « صَلْ اللجام » . وان حكيت ذلك قلت « صَلٌّ » تمدّ اللام وتثقلها . وقد خففتها في الصلصلة . وهما جميعاً صوت اللجام . فالثقيل « مدّ » ، والتضعيف ترجيع وتخفيف في اعادة . لأنه على حرفين ، فلا ينقاد للتصريف حتى يضاعف أو يثقل . نحو قولك « صرّ الجندب صريراً ، أو صرصر الأخطب صرصرة » . كأنهم توهموا في صوت الجندب مداً ، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً » . وجاء في

(١) وكذا اذا جعلت « أو ، وكم ، وتمْ » اسماءً ، قلت : « الأوّ والكمّ ، والمتمّ » . وقال بعض العرب : « لا تقولن له : « أفاً وتفاً » يجعله كالاسم .

المزهر نقلاً عن مختصر كتاب العين للزبيدي : «وعدة الثنائي الخفيف ، والضربين من المضاعف ، على نحو ما اُقتضاه في الكتاب (التاج ١/٧) .

أما ابن فارس ، صاحب معجم مقاييس اللغة [١] ، فيقسم الأصول الى ثلاثة أقسام : الأول : الثنائي ، في المضاعف ، والمطابق ، أي الثنائي المكرر . الثاني : الثلاثي . الثالث : الذي جاء على أكثر من ثلاثة أحرف ، أي الرباعي والخماسي . وهذا الصنف الأخير لا يعتبره المؤلف أصلياً مجرداً . فينوعه ثلاثة أنواع . الأول : ثلاثي مزيد فيه حرف . فيكون من قبيل الملحق بالرباعي . نحو : صلفع رأسه . والفاء فيه زائدة . وهو من الصلع . (مقاييس ٣/٣٥٠) الثاني : رباعي منحوت من ثلاثيين . نحو : صلّقم . وهو الشديد العض . وهي منحوتة من كلمتين . من صلق ولقم . (مقا ٣/٣٥٠) الثالث : ما وضع وضعاً ، وليس قياسه ظاهراً ، ولا يرد الى ثلاثي . مثلاً : السلقع : المكان حزن . والسلفع : المرأة الصخابة . (مقا ٣/١٦٠) .

أما في شأن الذي يسميه ، تارة «ثنائياً» وتارة «مضاعفاً» [٢] فبفضلاً عن التسمية ، تراه يذكر ، في رأس المادة ، الرسّ الثنائي ، أي حرفين فقط ، كما انه عند بسطه اشتقاقها ، لا يسمّي سوى حرفين ليس الا . دونك مثلاً هذا الوارد بحذافيره : «زع» ـ الزاء والعين أصل يدل على اهتزاز وحركة » ـ «رف »ـ الراء والفاء أصل يدل على خفة في كل شيء » (مقا ٣/٤ ـ ٥) .

(١) معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا . نشر منه بالطبع حتى اليوم خمسة أجزاء ، وقريباً يلحقها السادس والأخير الحاوي مختلف الفهارس . بتحقيق عبد السلام محمد هارون : الأستاذ المساعد بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول . القاهرة ١٣٧٠ هـ .

(٢) يراجع مقاييس اللغة ٣/٣٧٢ باب الراء وما معها في « الثنائي » وللمطابق ٣/٣٤٣ باب الذال وما معها في « الثنائي » وللمطابق ٥/١٢١ . باب الكاف وما بعدها في « الثنائي » وللمطابق ٣/٣ . باب ما جاء من كلام العرب أوله زاء في للمضاعف وللمطابق ٣/١٦٥ في للمضاعف والمطابق .

فاذاً في شأن «زعّ» أو زَعْ ـ عَ» و «رفّ» أو «رَفْ ـ فَ»
(وكذا القول في «لبّ» أو «لبْ ـ بَ» الوارد في كلمة الشيخ المغربي)،
يجدر بنا القول ان «الرّس» هو الثنائي الخفيف، أي «زَعْ، ورَفْ، ولَبْ».
وأما تضعيفه أو تشديده، فهو توسّع في هذا الثنائي الخفيف، أي نقله من
«الرّسْ او الأسّ» (La base) الى الأصل (La racinne) حسب
المصطلح اللغوي الحديث.

وقد جاء قولنا هذا طبقاً لما ورد أعلاه في المنقول في «تهذيب الأزهري»
عن الخليل، وهو أن الثنائي الخفيف «صَلْ» يُمدّ أو يُثقّل، فيصبح
«صَلّ»، أي ثنائياً مضاعفاً، او يكرّر، فيضحي «صَلْصَلْ» أو «صلصل».
وهو «الثنائي المكرر او المطابق» حسب تعبير ابن فارس.

ولهذا التشديد او التضعيف نظير في السريانية. فان الأسماء الثنائية لها
صيغتان، الأولى تقابل «الثنائي الخفيف» في العربية. والثانية تماثل «الثنائي
المضاعف» فالأولى مبنية من متحرك فساكن. والثانية يحرّك فيها الساكن
فيشدّد ثم تتبعه الف الاطلاق. فيقال: أبْ أو أبّا ـ أحْ أو أحّا ـ
إمْ أو إمّا ـ رَبْ أو رَبّا ـ كَفْ أو كفّا». أما الأفعال المدعوة
مضاعفة فكلها «ثنائية خفيفة»، او «ثنائية مكررة» مثلاً: «بَلْ، بلبَلْ ـ
دَلْ، دلدَلْ ـ زَلْ، زَلزَلْ ـ زَمْ، زَمزَمْ ـ حَرْ، حرحَرْ ـ حَمْ،
حمحَمْ ـ بَقْ، بقبَقْ ـ صَرْ، صرصَرْ ـ صَلْ، صلصَلْ».
وكذا الشأن في العبرية. فان ماضي المضاعف «ثنائي» نحو «طَلْ»: ندّى.
«سَبْ»: أحاط. «رَبْ»: زاد. والأسماء أيضاً ثنائية. مثلاً «كَنْ»:
قاعدة. «رَبْ»: زائد، كثير. «كَسْ»: عرش. «كَفْ»:
راحة. وفيها ايضاً الثنائي المكرر، أو المطابق. نحو «شَلْشَلْ»: طهّر.
«مَلْمَلْ»: تمتم. «غَرغَر»: غرغر.

فاذاً يوجد في اللغة «ثنائي خفيف» اي كلمة ذات حرفين محرك فساكن . مثلاً : «بَهْ ، صَهْ ، مَهْ ، بَخْ ، غَسْ ، ضَعْ ، كَهْ» . ومن هذه الثنائيات الخفيفة ، يشتق «ثنائيات مضاعفة» بصيغة فعلية ، مثل «صَهَّ ، مَهَّ ، بَخَّ ، غَسَّ ، ضَعَّ ، كَهَّ ، مَدَّ ، لَبَّ» . او ثنائيات مكررة او مطابقة . نحو : «بَهْبَهَ ، صَهْصَهَ ، بَخْبَخَ ، مَهْمَهَ ، قَلْقَلَ ، عَدْعَدَ ، مَلْمَلَ ، بَلْبَلَ» .

وما نقوله في المضاعف يمكن قوله في الأجوف ، والناقص والمثال . فانها كلها توسع في الثنائي . اذ ان «قام» اصله «قَم» توسّع باطالة حركة حرفه الأول . وعلامة ذلك في الكتابة الألف . و «رمى» اصله «رَمْ» توسع بتحريك حرفه الثاني بفتحة مشبعة علامتها في الكتابة الألف المقصورة . وبعد التوسع باشباع الحركة ، جرى النشوء والتطور باقحام حرف . كما في «عور ، وعوص ، وحول» وبزيادة حرف ايضاً في الآخر ، كما في «رقي وعمي» . وهذا التذييل بحرف اصبح قاعدة مطردة في الحبشية .

هذا وفي آراء الأقدمين من الائمة بعض التأييد لما قررناه . قال ابن جني في «خصائصه» (مخطوطة دار الكتب المصرية ، ص ٦٣) : «في مراتب الأشياء وتنزيلها تقديراً او حكماً ، لا زماناً ووقتاً . وذلك كقولنا : الأصل في «قام قوَم ، وفي باع بيَع ، وفي شد شدَد» فهذا يوهم ان هذه الألفاظ قد كانت على ما ندعيه ، ثم غُيِّرت . وليس الأمر كذلك . وانما نعني انه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعلل ، لكان على ما ذكرناه . واما ان يكون قد استعمل وقتاً من الزمان كذلك ، ثم عُدل عنه فيما بعد الى هذا اللفظ ، فلا . . . ومما يدل على ان ما ندعيه أصلاً مرفوض ، وانا لا نعتقد انه كان مستعملاً ، ثم صار مهملاً ، ما توجبه «الصنعة» (أي تنظيم الصرفيين وافتراضاتهم) فيه من تقدير ما لم يمكن النطق به لتعذره . نحو قولنا في شرح الممدود غير المهموز .

نحو : «سماء وفضاء» ، ان اصله «سماو وفضاي» . فلما وقعت الواو والياء طرفين بعد الف زائدة ، قلبتا الفين . فلما التقى الفان حركت الثانية فانقلبت همزة . فصار الى «سماء وفضاء» . فالتقاء الالفين لا يمكن النطق به !!» .

يعترض المحافظون قائلين : ان الأصول لا تكون الا اسماء وافعالاً ثلاثية .

فالجواب هو ان الأسماء والأفعال اصول في مجال التصريف . بيد ان هذه الأصول يسبقها قبل طور التصريف «رساس او إساس ثنائية» . وهي كلمات ذوات معانٍ ، منها اسماء الأفعال ، وحروف المباني ، وحكايات الأصوات ، والفاظ الزجر والدعاء وغير ذلك . فمن هذه الرساس يصاغ افعال واسماء . وهذه الكلمات او الحروف الثنائية منتظمة ، كالأفعال والأسماء المتصرفة ، في عداد اقسام الكلام . ولا فرق بينها وبين تلك من جهة التقدم بالزمان .

دونك ما ورد في الخصائص ايضاً (ص ١٠٦ ي من المخطوطة المصرية)

قال ابن جني : «اعلم ان اباعلي كان يذهب الى ان هذه اللغة ، ما سبق منها ثم لحق به ما بعده ، انما وقع كل صدر منها في زمان . وان كان تقدم منها شيء على صاحبه ، فليس من الواجب ان يكون المتقدم على الفعل الاسم ، ولا ان يكون المتقدم على الحرف الفعل . وان كانت رتبة الاسم مقدمة في النفس . ومن جهة القوة والضعف ان يكون الاسم والفعل قبل الحرف . وانما يعني القوم بقولهم : ان الاسم أسبق من الفعل انه أقوى في النفس واسبق في الاعتقاد من الفعل ، لا في الزمان . واما في الزمان ، فيجوز ان يكونوا قدموا ، عند التواضع ، الاسم قبل الفعل . ويجوز ان يكونوا قدموا الفعل ، وكذلك الحرف ، وذلك انهم وزنوا حينئذ أحوالهم وعرفوا مصاير أمورهم ، فعلموا أنهم محتاجون الى العبارات عن المعاني ، وانها لا بد لها من الأسماء والأفعال والحروف . فلا عليهم بأيها بدأوا . لأنهم أوجبوا على أنفسهم ان يأتوا بها جُمَع .

اذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن . هذا مذهب ابي علي ، وبه كان يفتي . . »
الى ان قال : « ويدفع من تقدم الأسماء في الزمان ـ وان كانت أسبق رتبةً في الاعتقاد ـ أشياء ، منها : وجودك اسماء مشتقة من الأفعال . نحو : قائم من قام . ومنطلق من انطلق . ألا تراه يصح لصحته ويعتل لاعتلاله . نحو : ضرب ، فهو ضارب ، ونام فهو نائم . « ورتبة المشتق من الشيء أن يكون بعد » .
وأيضاً ، فان المصدر مشتق من الجوهر ، كالنبات من النبت ، وكالاستحجار من الحجر . وكلاهما اسم . وأيضاً ؛ فان المضارع يعتل لاعتلال الماضي ، وان كان أكثر الناس على أن المضارع أسبق من الماضي . وأيضاً فان كثيراً من الأفعال مشتق من « الحروف » . نحو قولهم : سألتك حاجة ، « فلاليت » لي ، اي قلت لي « لا » . وسألتك حاجة « فلولَيت » لي ، أي قلت « لولا » واشتقوا أيضاً المصدر ، وهو اسم ، من الحرف . نحو « اللألأة والاولاة » . وكذلك قالوا « سوّفت » الرجل ، أي قلت له « سوف » .

نضيف نحن الى ذلك ما أوردناه أعلاه من ان الأسماء تصاغ من الحروف ، نحو : « لَوْ ، هَلْ ، كَمْ ، مَعْ » يشتق منها بطريق التشديد ، الأسماء الآتية وهي : « اللوُّ ، الهلُّ ، الكمُّ ، المعُّ » . كما انه ، من اسماء الأفعال ، ومن حكايات الأصوات ، والفاظ الزجر ، يشتق أفعال بطريق النقل من الثنائي الخفيف الى الثنائي المضاعف ، والثنائي المكرر او المطابق ، اي الى الثلاثي ، والرباعي ، الداخلين في نظام التصريف [1] .

وهنا تتبادر الى الفكر عفواً هذه الملاحظة وهي : ان الأستاذ المغربي يصوب رأيي وعملي حين « انكاري كل الانكار على غبطة البطريرك برصوم .

(١) من احب الاستزادة في هذا الشأن فله مراجعة تآليفنا الثلاثة ، ولا سيما ما ورد في الأخير منها وهو « معجميات عربية ـ سامية » من صفحة ٩٦ الى ١٠٨ .

صاحب «الألفاظ السريانية في المعاجم العربية» لجعله ألفاظاً عربية صحيحة من أصل سرياني ، بيد أنه يلوح لي في كلام الأستاذ شيء من التناقض ، اذ انه ، من الجهة الواحدة ، يحبذ متصوباً نتائج تقصياتي ، ومن الجهة الأخرى ، يستنكر الوسيلة التي أستخدمها لاستخراج هذه النتائج ، برفضه قبول صوابية «نظرية الثنائية» . والحال اني ، بالثنائية ، وبالثنائية وحدها ـ توصلت الى اثبات الأصلية العربية لأغلب الكلمات المذكورة ، وانكار سريانيتها . انه تحقق حضرته ذلك ، لو كلف خاطره مراجعاً بدقة وانعام نظر ، في تأليفي الأخير «معجميات» الذي وصفه ونقده ، الأبواب المبحوث فيها تأصيل المفردات التالية «تلميذ ، ختن ، أجم ، بعير ، عرش ، صنم ، لبيك ، نهر الخ» . فهذه وغيرها ، إن حاول المؤصّل اثبات عربيتها ، حسب مبادئ الثلاثية ، لذهب سعيه أدراج الرياح . فاذاً ان صوابية «الثنائية» ، فضلاً عن البراهين التي تعززها ، ترى متجلية بما ينجم عنها من النتائج الصريحة والفوائد الجمة . مهما يكن من أمر ، فاني شاكر الأستاذ المغربي اللغوي البارع ، على حسن ظنه بهذا العاجز الذي يعتد نفسه أصغر خدمة اللغة العربية الجليلة .

أما المجمع اللغوي المصري الموقر الذي تفضل حضرة صاحب المعالي رئيسه العلامة لطفي السيد باشا فدعاني لإلقاء كلمة على مسامع حضرات أعضائه الأجلاء ، في الصيف الغابر ، فالأمل ان مؤتمره السنوي قد عقد في أوانه ، وأن الأستاذ المغربي تمكن ، حين حضوره جلساته ، من استطلاع رأي هؤلاء الأئمة الأفاضل في ما بسطته امامهم من النظريات الثنائية والألسنية السامية .

على أني من جهتي قد حفظت اطيب الذكريات من رحلتي العلمية الى مصر المحروسة . وقد افدت كثيراً من مطالعاتي اليومية في دار الكتب المصرية العامرة . وقد توفرت لي أنجع الوسائل بفضل القائمين بالادارة والعمل فيها .

يد أنه فوق هذا كله وبنوع خاص ، قد انطبع في نفسي أبلغ الأثر وأجمله لما تبيّن نحوي من العطف واللطف من قبل معالي رئيس المجمع العلامة ، ومن امين سره الفهّامة ، صاحب السعادة منصور فهمي باشا ، ومن لفيف اعضائه المصريين الكرام . وهل يستغرب اللطف في معدنه ، والكرم في منبعه ؟

وفقنا الله جميعاً لمسايرة قافلة البشرية في طريق الرقي ، رقي العلوم العصرية ، ولا سيا العلوم اللغوية ؛ وللاستمرار ، أينما وجدنا ، على التآلف والتآخي ، والتكاتف والتآزر ، في خدمة اللغة الكريمة ، والأوطان العربية العزيزة . ولا بأس في تباين آرائنا ، وتضارب نظرياتنا . فان « للعلم حريته ، وللرأي استقلاله » ، حسب قول الأستاذ المغربي الصائب .

وليسمح لي حضرة الزميل الصديق أن اجعل مسكَ ختام هذه الكلمة تمثلي بقول القديس أوغسطينُس ، ولله دره من قائل : « ليكن شعارنا في المؤكَّدات الوحدة ، وفي المبهات الحرية ، وفي كلهن الأُلفة والمودة » .

(القدس) الأب مرمرجي الدومنكي

ارجوزة في محاسن دمشق

نظمها ابن خداويردي

تمهيد

شغلت محاسن دمشق الشعراء منذ القديم ، وما قيل في هذا الباب يؤلف ديواناً كبيراً من الشعر . وقد ترك المؤلفون تواليف جمعوا فيها ما قيل من شعر ونثر في محاسن دمشق ، من أشهرها كتاب : « نزهة الأنام في محاسن الشام [1]» ، لأبي البقاء عبد الله بن محمد البدري المتوفى سنة ٩٠٩ هـ ومؤلف « سحر العيون » . وكتاب « البرق المتألق في محاسن جلق » [2] لمحمد بن مصطفى بن خداويردي ، المتوفى سنة ١١٩٥ هـ .

والأرجوزة التي ننشرها تقع في (١٨٥) بيتاً ، وقد خصت كلها بمحاسن دمشق . وقد جمع فيها ناظمها ما في دمشق وضاحيتها من محاسن ومتنزهات ، وأزهار ، وأنهار ، وأودية ، وعيون .

أما ناظمها فهو مؤلف كتاب البرق المتألق . عاش في القرن الثاني عشر . لم يترجم له المرادي في سلك الدرر ، وذكر كتابه هذا صاحب الذيل على كشف الظنون فقال :

---

(١) طبع طبعة سقيمة في القاهرة سنة ١٣٤١ . وقد وقع لي نسخة مخطوطة منه ، فرأيت في المطبوع نقصاً ، وتحريفاً . انظر عن هذا الكتاب بروكلمن ، الذيل الثاني ص ١٦٣ .

(٢) لم أجد له ذكراً عند بروكلمن .

« البرق المتالق في محاسن جلق ، أعني محاسن الشام ، لمحمد بن مصطفى بن خداويردي الشهير بابن الراعي . فرغ منه سنة ١١٧١ هـ . » [1] .

***

عثرت على هذه الأرجوزة أول مرة في خزانة والدي - وهي في اربع عشرة ورقة [2] كتب على الورقة الأولى : « ارجوزة في محاسن دمشق ، لابن الراعي » .

وصادف أن وقعت لي نسخة من كتاب البرق المتألق في محاسن جلق ، فاذا بي أجد هذه الارجوزة في أول الكتاب ، واذا بابن خداويردي المشهور بابن الراعي يقول :

« ... وجمعت من محاسنها « بمغني دمشق » ما هو لسماء الأدب نجوم ، ولجيد البلاغة عقد بفرائد الدرر منظوم ، فجاء بحمده تعالى سفراً يقطر منه ماء الأدب ... وها انا امتع الطرف والأسماع بربيع ألمى الظلال أحوى التلاع ، مبتدئاً بالأرجوزة الغرا ، اذ جعلتها لعروس الأقاليم مهرا .. » [3] .

وبعد الأرجوزة يبدأ الكتاب بباب « ذكر الشام وفضائلها ... » .

وقد تبين لي أن هذه الأرجوزة تحوي كل ما في دمشق وغوطتها وضاحيتها من محاسن وأن لها شأناً في جمعها ذلك كله ؛ ودلالة على ما كان في دمشق من محاسن في القرن الثاني عشر الهجري . ثم هي نموذج من « الأدب الجغرافي » الذي بدأ الغربيون يعنون به في آدابهم ويدرسونه .

وهاكم الأرجوزة :

---

(١) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (استامبول ١٣٦٤هـ) ١٧٦:١

(٢) بقياس ١٧،٥ × ١٢،٥ . في الورقة ٢٢ سطراً . بخط نسخي جميل . كتبت سنة ١٢٦٥ هـ . ولا ذكر لاسم الناسخ .

(٣) لا تختلف الأرجوزتان في شيء ، وأرجوزتنا أصح من أرجوزة الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله مفيض النعم   مولٍ لمن شاء صنوفَ الكرم
مكوّنِ الأكوان بالاتقانِ   صنع حكيمٍ مبدعٍ متقانِ
بلا مثالٍ سابقٍ قد صوّرا   هذا الوجود ، كن بذا معتبرا
ففيه أكبر شاهدِ التوحيد   ولقوّة الايمان كالتشييد (؟)
فكم بقاع خصّها بالشرفِ   وأختها قضى لها بالخسف
وبلدة حوت رياضاً وزهرْ   وورود يانعات ونُهُرْ (؟)
وبلدة من عاصفات الحرّ   ظمأى وسقيها أرضها من بئر
وقرية ربّت من الأمطار   تُسقى بماء الديمة المدرار
مشيئة قد شاءها الرحمن   بكفّه الاعطاء والحرمان

* * *

هذي دمشق الشام دارُ اللهو   فاسند حديثي عن رباها وارو
حاكت جنانَ الخلد عند العرض   بل قيل عنها جنة في الأرض
بل شامة الدنيا وعين الملكِ   وتعرف الدينار عند السبك
أنهارها عدّ النجوم الزُهرِ   وليس الاّ في رياض تجري
وكل روض في مثال الجنّه   واقٍ لاخوان ألصفا كالجُنّه
فإن تَرُم تفصيل ذا ، قف واستمع   مسهّلَ القريض أخا الركاكة الممتنع (؟)

* * *

(١) كان يودّ المجمع ان تنشر هذه الأرجوزة مصححة العبارة مستقيمة الوزن لو اتفق للأستاذ المنجد الظفر بنسخةٍ اخرى غير نسخته . أما وهو لم يظفر فقد رأى المجمع من الفائدة نشرها للقراء على ما هي عليه ليتسنى لمن يعثر على نسخةٍ ثانية ان يقابلها على نسخة الأستاذ المنجد ثم يعيد نشرها مصححة .   (المجمع)

هاك استمع مني حديث الشامِ دار التصابي والنعيمِ السامي
قد خصّها الرحمنُ بالأنهار وطيّبِ الأرواح والأزهار
وخصّها المولى بذاك الجبلِ وقلّ أن يخلو مكانٌ من ولي
فكم نبيٍ ضمّه (قسيونُ) (١) وكم وليٍ عنده مدفونُ
وكم صحابيّ بها استشهدا وفي خبايا أرضها قد لُحدا
(ودير مُرّان) (٢) على قسيونِ كأنه في مُلكِ أفريدونِ
وتحته تلك الرياض الغضّه وبينها الأمواه مثل الفضه
غنّت بها الأطيارُ في الأفنان فمالتِ الأغصانُ كالنشوان
كذا (الحواكيرُ) (٣) التي بنسابُ فيها (يزيدُ) السلسل المطيابُ
كم أنّ دولابٌ عليه وشكا بشاقه عهد الرياض فبكى
وقطّر الدموع في الحياضِ وباح بالأسرار للرياضِ
(وقرية النخل) مكانَ الصُلَحا فكم بها قصد نزيلٍ نجحا
(بالصالحيه) (٤) سُميت يا صاحِ بل منتدى اللذات والأفراحِ
تحفّها القصور والجواسقْ كأنها بين الرُبا سُرادقْ
تظلّها الأدواحُ كالأعلامِ تزورها الأرواحُ للسلامِ
وكل طيرٍ آخذٌ في مغنى وكل حزبٍ منهم في معنى (؟)

---

(١) يريد جبل قاسيون .

(٢) محلة في السفح الواقع أسفل قبة سيار وأعلى بستان الدواسة ، يطل منه على الربوة . انظر عنه مقدمة القلائد الجوهرية ص ٧ ، وأديار دمشق وبرها للزيات ، ومعجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٩٩ ، ومعجم ما استعجم ص ٣٦٢ ، ومسالك الأبصار ص ٣٥٣ .

(٣) قال البدري : « هي كالحدائق في سفح قاسيون » . انظر نزهة الأنام في محاسن الشام ص ١٠٣ .

(٤) انظر سبب تسميتها بالصالحية ، في القلائد الجوهرية ص ٢٤ ، والمروج السندسية لابن كنان .

وموكبُ الأزهارِ [1] في المكاحلهْ ونافحاتُ الطيبِ منها نافحهْ
فلو ترى الريحانَ بين الآسِ وأصفرَ الخيريّ كالنبراسِ
كذلك المنثورُ والسوسانُ وعنده خشخاشه ألوانُ
وحلقةُ المحبوب بين الزهرِ حاكتْ سنا الياقوتِ فوق النحرِ
وفاق عَرْفَ الطيبِ عُرفُ الديلكِ له مقامُ السبْقِ كالتمليكِ
لليَاسَمين الغضِ عطرٌ زاكي يحكي ضياء الزهر في الأفلاكِ
وعنده النسرينُ ثم الفاغيهْ قد أشبها في الطيب نفح الغاليهْ [2]
شقائق النعمانِ في الأزهارِ كجلّنار فاح في الأسحارِ
وسنبل في اللون كالفيروزجِ وزنبقٌ يزهو بوجهٍ أبلجِ
ونرجسٌ بالطلِّ عيْنٌ سَكْرى باتت تناجينا بعين سهرا
وغايةُ الآمالِ زهرُ المضعّفِ رفعاله في الروضِ فعل القرقفِ
وأطيبُ الأزهارِ بعد الوردِ زهرُ القرنفلِ عطره كالندّ (؟)
زهرُ الأقاحي حلقةٌ من تبرِ كذا البَهارُ قطعةٌ من صفرِ
وعند زهر البانِ لذَّ القطفُ وطاب لي فيه الثنا والوصفُ
وكم منادي الشوقِ فينا لامعْ لدى زهورٍ سمّيت بالملامعْ
كذلك البلسانُ زاكي العطرِ بالقيلكِ انعم يا له من زهرِ
ان البنفسج فضلُه لا يُنكر وعَرْفه الزاكي كذا النيلوفَرُ (؟)
وزهرُ آذريونَ في الأزهار يحكي عبيرَ المسك في الأسحارِ
وعند مرزنجوش طاب النشر فلا تقل دارين لا والشحر
ومبهم الأسما زهور شتى ولم أقل في وصف شيء حتى

(١) انظر عن أزهار الصالحية والغوطة نزهة الأنام ص ١٠٣ — ١٨٦ ، ومخطوطة دمشق للأستاذ كرد علي الفهرس الخامس .
(٢) يتلو هذا البيت صدر ليس له عجز :
كذلك زهر الارغوان الباهي

ذكر منتزهاتها

وانظر الى (السهمين)[1] (والميطور)[2] . . . .
(والنيرب الأعلى)[3] محل الأنس كذلك (الأدنى) حياة النفس
ونزهة الدنيا أراضي (سطرا)[4] لم تلق الا روضة أو نهرا
وفي (نصيب)[5] جحفل الأطيار ومجمع الأزهار والأنهار
تمشي بها الأمواه مشي الصِلِّ وحليها الزهر ونقش الظِلِّ
وفرشها الياقوت والزمرّد وفوقها شحرورُها يغرّدُ
فكم بها روض وكم من مغنى طير التصابي في رباها غنّى
وفي رياض (السفحِ) (واللوّان)[6] هبت رياحُ الشيح والحوذان
(والجبهةُ)[7] الغرّا محل البسطِ وسرحةُ الوادي مكانُ الشط

---

(١) السهم الأعلى ، والسهم الأدنى . ويمتدان من الجسر الأبيض الى الشرق حتى الشبلية . انظر المروج السندسية ص ٣٥ ، وانظر موضعها في مخطط الصالحية . وانظر نزهة الأنام ص ٣١٧ .

(٢) قرية كانت بسفح قاسيون تحت حي الاكراد ، شرق قرية مقرى . انظر القلائد الجوهرية ص ٢٠ ، والمروج ص ٣٥ ، ومخطط الصالحية .

(٣) النيربان مكان يلي الربوة لجهة الصالحية ودمشق . والنيرب الأعلى هو بين نهري يزيد وثورا ، والأدنى بين ثورا وبردى . انظر القلائد ص ١٥ ومخطط الصالحية .

(٤) قرية كانت بالقرب من المنابة اليوم . انظر مخطط الصالحية . وكانت مقرى منتزهاً وتذكر مع سطرا . انظر نزهة الأنام ص ٢٧٣ .

(٥) في البرق المتألق « واراضي نصيب هي بالقرب من الصالحية بل معدودة من جناتها البهيّة ، بالقرب من السهمين » ورقة ٤٤ آ .

(٦) السفح سفح قاسيون ، واللوان بين المزة وكفرسوسية ، ويقولون : أرض المزة واللوان . انظر عنها نزهة الأنام ص ٢١٢ .

(٧) انظر في وصفها نزهة الأنام ص ٧٧ .

واذكر رياض (القصر) (والخلخال) [1] (والمرجة الخضراء) [2] والسيلال
مسارحُ الآرام والغزلانِ معاهدٌ للحورِ والولدانِ
محاسنُ الدنيا رياضُ (الغوطه) لما غدت في حسنها مغبوطه
تشقها الأنهار والخلجانُ وكلُّ نهرٍ منهم سيحانُ (؟)
فأين منها الشعب يا بوانُ وما حوى الخابور والميدانُ
ومجمع الأمواه (جسر الغيضه) [3] وحيثما يممتَ تلقى روضه
ملتفة الأغصان بالأغصان ومرتع الأطيار والغزلانِ
ومنتدى الأفراح (وادي الربوه) [4] وادٍ حباه ربه بالحظوه
تجري به الأنهار كالكواكب لكنها تمشي على المراتب
قد ساقها حكيمها المهندس وخطها فهو الرئيس الأكيسُ
وكلهم قد جاوروا الرياضا وبره عليها قد أفاضا
فقسموا من بعضها أقساما وخصصوها للقرى سهاما

تفصيل أنهارها

أولها أصل النهور (بردا) [5] كم شوق محرورٍ لديه بردا
وعند (ثوراها) [6] يثور الوجدُ غذاؤه القيصومُ ثم الرندُ

---

(١) يعني قصر الامارة . وكان محله مكان التكية ، ومحلة القصر مايحيط بها ويجاورها . وانظر عن الخلخال نزهة الأنام ص ٧٦ .
(٢) معروفة ، انظر عنها نزهة الأنام ص ٧٣ .
(٣) جسر كبير بين الحديقة وجسرين على بردى . انظر غوطة دمشق ص ٥١ والغيضة هي غيضة السلطان ، وحورها كان لا يستطيع الانسان ان يدخل فيه لا تفمامه نزهة الأنام ٣٥٤ .
(٤) انظر عن الربوة وواديها نزهة الأنام ص ٨٢ وما بعدها .
(٥) انظر خطط دمشق ص ٢٣ في بحث انهار دمشق وللمصادر المذكورة هناك . نزهة الانام للبدري ص ٩٢ .
(٦) انظر للمصدر السابق ص ٢٩ .

كذا (يزيد)[1] أطيبُ الأنهارِ . اذ جَرْيُه في داخلِ الأشجارِ
يا طيبَ ماء (القنواتِ)[2] العذبِ اذ خصّصوه أهلها للشربِ
وصنوه في فعله (باناس)[3] نهر زها في حسنه بانّاسُ
يتلوه نهر اسمه (الداراني)[4] يمشي كمشي الواله الحيرانِ
وجدولٌ مُسمّى (قناة المزّه)[5] مقامُه فيها مقام العزّه
هذي النهورُ السبعةُ الأصولْ اسمعْ فدتك النفسُ ما أقولُ
أما أبو الأنهار زاهي البهجهْ يشق جوف الأرض نحو (المرجهْ)
(المرجة الخضراء) ذات الشرف وقد زهت أكنافها بالغرف
يمر مثل السهم كالمجتاز حتى يُرى قد شق (صدر الباز)[6]
وقد جرى في ذلك الميدانِ كأنه سابور في الايوانِ
تضمّه قناطر من جلمد ترنو كألحاظ الغزال الأغيد
هناك يلقى جدولاً قد غربا سماه أهل الشام (نهر عقربا)[7]
وبعده من النصابي داعيهْ سموه من أنهارها (بداعيهْ)[8]
ثم (المنيحي)[9] جدولٌ كبيرُ كأنه من بينهم أميرُ (؟)

(١) انظر خطط دمشق ص ٢٤ .
(٢) « المصدر السابق ص ٣٣ .
(٣) « المصدر السابق ص ٣٤ .
(٤) « المصدر السابق ص ٣٢ .
(٥) « المصدر السابق ص ٣٤ .
(٦) منتهى المرجة من ناحية الغرب يسمى صدر الباز . انظر نزهة الأنام ص ٧٤ .
(٧) هو نهر الجدول . انظر خطط دمشق ص ٣٦ .
(٨) هو الداعياني نسبة الى قرية داعية وقد بقي اسمها توزات . انظر خطط دمشق ص ٣٦ وياقوت ٢ : ٣٣٨ .
(٩) ويسمى المليحي نسبة الى المليحة وهي في غرب زبدين ايضاً . انظر خطط دمشق ص ٣٧ ، دوسّو ٣٠٥ ، Porter, I 375 .

كذاك نهرٌ اسمه (الزبديني) [١]   يسير بين الوردِ والنسرينْ
وثمَّ نهرٌ اسمـه (الوسطاني)   (ومقسم الغربي) نهرٌ ثاني
يا مجمع الأحباب يا (زدرمينا) [٢]   كم ذا بأشراك الهوى ترمينـا
وياحيـاة النفس (نهر الماصيه)   (والحاجبي) نهر سما في الساميه
ولـت أنسى (الجدول البالاني) [٣]   يسير سير الآبق الولهانِ
يمشي رويداً صنوه (الزابون) [٤]   كذاك (نهر الملاك) [٥] المصون
كذا خليج اسمه (الشيداني) [٦]   (ونهر تل الذهب) الساماني
وبيت نايم [٧] نهرها قد عظما   وجدول يسقي أراضي (حوزرما) [٨]
وجدول يسعى الى (الفريفه) [٩]   يمشي كخود شيق مهفهفه
وآخر يسقي رياض (المتبن) [١٠]   يمشي اليها كالحكيم المتقن
و (البلالية) [١١] خصوا جدولاً   يمشي الى حمراتهـا مهرولا (؟)
وما بقي يجري الى العبادهْ   يسعى كسعي الحيـة المرتادهْ

(١) نسبة الى قرية زبدين بالقرب من المليحة. انظر خطط دمشق ص ٣٧ ؛ دوسو ص ٣١٣.
(٢) درمينا نهر يتفرع من نهر زبدين . انظر وقفية سعد الدين باشا العظم (مخطوط). وخطط دمشق ص ٣٧ .
(٣) نهر يسقي بالا ، وهي في شرق زبدين ، ونسب اليها . انظر غوطة دمشق ص ٩٩ ؛ دوسو ٢٩٤ .
(٤) انظر خطط دمشق ص ٣٨ ، وغوطة دمشق ص ٩٩ .
(٥) » المصدر السابق ص ٣٨ ، وغوطة دمشق ص ٩٩ .
(٦) » المصدر السابق ص ٣٨ ، وغوطة دمشق ص ٩٩ .
(٧) قرية في شرق جسرين . انظر دوسو ص ٢٩٥ ومخطط الغوطة .
(٨) قرية في شرق بيت نايم . انظر دوسو ص ٣٠٣ ومخطط الغوطة .
(٩) في غرب العتيبة . انظر دوسو ص ٣٠١ .
(١٠) بالقرب من حرستا القنطرة . ويسمى اليوم حوش المتبن .
(١١) في شرق تل الصالحية . دوسو ٢٩٤ .

الذي ينقسم من نهري المنيحي والداعياني

الجامعي نهر بهـا قد عرفا ... وراق حسناً ماؤه فوق الصفا
وجدول يُسمى (بنهر البيره) ... ياحسن روضات به معموره
وجدول (المزّاز) ثم (الشق) ... غنت عليهم صادحات الورق
وراق ماء (الجدول السلطاني) ... كم سار من روض الى بستان
وفاق في الحسن (نهر الزلف) ... قد أتحفت أدواحه بالطرف (?)
وجدول يسمى الى (الخياره) ... وجريه في رونق الاماره
ولا تدع يا صاح (نهر الشبعا) [١] ... كذا (البلاطي) جدول كالأفعى
كذا (كفيا) جدول معروف ... و (عين ثرما) [٢] نهرها موصوف
الى (كفر بطنا) [٣] خليج يجري ... و (نهر جسرين) [٤] كذوب القطر
وجدول يجري الى (حموريا) [٥] ... سقياً لاوقات مضت فيه ليا
و (نهر سقبا) [٦] في صفا اللجين ... كأنه الاسفنط [٧] في الدنين
و (الافتريس) [٨] القرية المصطاف ... يجري اليها جدول خطاف
الزهر والأدواح في (بيت سوا) [٩] ... لها خليج كالحباب اذا التوى
هـذا الذي قد قسموا من بردا ... فاسمع وكن في قولنا معتمدا

---

(١) من قرى اقليم بيت الآبار . معجم البلدان ٣ : ٢٥٤ .
(٢) في شرق دمشق ، وغرب كفر بطنا ، انظر ياقوت ٣ : ٧٥٩ ، ومخطط الغوطة
(٣) في شرق عين ترما . انظر ياقوت ٤/٢٨٦ ، ومخطط الغوطة .
(٤) في شرق كفر بطنا . انظر ياقوت ٢/٨٢ ، ومخطط الغوطة .
(٥) في الجنوب الشرقي من عربيل . وانظر ياقوت ٢/٣٤٠ ، ومخطط الغوطة .
(٦) في جنوب حمورية . انظر ياقوت ومخطط الغوطة .
(٧) الاسفنط بالكسر وتفتح الفاء للطيب من عصير العنب، او اعلى الخمر...(القاموس).
(٨) في شرق سقبا انظر مخطط الغوطة .
(٩) قرية لا تزال عامرة انظر دوسو ص ٢٩٦ ؛ وللمقدسي ص ١٩٠ ومخطط الغوطة.

الذي ينقسم من الداراني

أما الذي قسمته يا دارا يا من تخيرت الغباني دارا
(نهر العرا)[1] و(الذيب) و(الشراك)[2] كذاك (نهر الميلقون) الزاكي
و (الحجر الدائر) شعب خامسه وجدول قد خص بالكفارسه
فقسّموه عندهم يا صاح يا من سناه في ضيا المصباح
(نهر الكريمي) ثم (نهر الغربي) أبو عيار جدول كالقضب
و (جدول الاشعاب) نهر طامي يخدّ وجه الأرض كالصمصام

الذي ينقسم من قنوات

وقسمت (قنوات) يا مسرور (نهر القُصير)[3] حظه التصغير .

الذي ينقسم من تورا

و (نهر تورا) قسّموه فاسمع نظماً حلا في الذهن ثم المسمع
أولها (الأنهار)[4] نهر طافح يجري ونشر الزهر منه فايح
و (نهر بشر) جدول سلسال[5] والماء فيه قرقف جريال .
و (غالب) نهر سليم القلب وماؤه عذب لذيذ الشرب
كذاك (نهر بالمحلات) اشتهر وصنوه (السرداب) نهر معتبر
كذلك (الشباك) نهر زاخر كذا (الفراديس) الزكيّ العاطر

---

(١) ورد في وقفية لالا مصطفى باشا باسم (نهر الدراة) ص ١٤٧ .
(٢) في وقفية لالا مصطفى باشا انه بارض اللوان من أراضي المزة ص ١٤٨ .
(٣) انظر فروع هذا النهر في خطط دمشق .
(٤) انظر في خطط الصالحية لدهمان « ماسية بشر » .
(٥) انظر في محطط الصالحية « ماسية بشر » .

و (نهر قلبين) و (نهر الزبدني) و (نهر باب الثاث) عذب المشرب
كذاك (عليتا) خليج منه حديث عطر الروض يُروى عنه

الذي ينقسم من يزيد

ومن (يزيد) جدول (الشجريه) و (نهر مهدي) فرقة فضيه

☆ ☆ ☆

فهذه الأصول بالأقسام وكلها تجري على الدوام
مواهب الله العليّ الأعلى نالتها جلّق فكانت أهلا (؟) .

ذكر أوديتها

ولنشرع الآن بذكر الأوديه اللاتي لأمراض القلوب أدويه (؟)
اذ كلهم في دوحة معطار بالطيب يحكي جونة العطار
تخاله يختال كالعرائس في حلل الديباج والأطالس
وكلهم في حسنه تياه تخفته الأزهار والأمواه
أولهم يا صاح (وادي بردا) [1] واد ترى للأنس فيه مددا
تجري عليه بالدموع (الأعين) اذ قصرت عما حواه الألسن
(وادي المكرم) عنده (كيوان) [2] كلاهما في حسنه غمدان
بالقرب منهم (وادي الجناداله) دع عنك في أوصافه المجادله
(وادي السفرجل) [3] منظر فتان أنهاره في وسطه غدران

---

(١) انظر عن وادي بردا ، دوسو ص ٢٨٧ .
(٢) موقع مشهور نزه ، قبيل الربوة من ناحية دمشق .
(٣) واد أول الغوطة عند باب الشرقي وهو مشهور بزهر السفرجل منذ القديم ووصفه الشعراء .

(وادي الحصا) صديق الروح — كم ذا يغني طيره المدوح (?)
واذكر محل الشطح (وادي الشقرا) — فأين وادي آش أين الزهرا
يطله (الشرفان) من طرفيه — يفاخر المريخ في شرفيه
(وادي الصفيرا)[1] موسم اللذات — أوقاته من أطيب الأوقات
وأشرف الوديان (وادي برزه)[2] — فيه بقاع الفضل حتى (ارزه)[3]
(لحرنة وادي)[4] و(وادي معربا)[5] — كلاهما عن حسنه قد أعربا
و(وادي التل)[6] الرفيع القدر — يضوع بشراً من عبير الزهر
(وادي منين)[7] انضر الوديان — أطياره تشدو على العيدان
(وادي الدريج)[8] الطيب الأرواح — قد غص بالأمواه في الأدواح
و(وادي حلبون)[9] سقاه القطر — على غناء الطير فاح العطر
ونزهة الدنيا بديع السيما — (وادي) التصابي والمنا (بسيما)[10]

(١) بالتصغير واد قرب الميطور ، قبيل برزة . انظر المروج السندسية ص ٢٢ . ومخطط دهمان .
(٢) برزة قرية مشهورة في شرق الصالحية .
(٣) ارزة قرية حل محلها اليوم حي الشهداء في طريق الصالحية . انظر ضرب الحوطة . ومخطط دهمان .
(٤) حرنة في الشمال الشرقي من معربا . وانظر دوسو ص ٢٨٧ .
(٥) معربا قرية في الجنوب الغربي من حرنة . انظر دوسو ٢٨٧ .
(٦) التل قرية مشهورة .
(٧) منين قرية مشهورة شمال التل وينسب اليها الجوز المنيني . انظر دوسو ٢٨٧ . ياقوت ٤/٦٧٤ .
(٨) الدريج قرية في وادي حلبون نفسه انظر دوسو ٢٨٧ .
(٩) عن وادي حلبون وشأنه في الماضي انظر Porter, Fives yars.. I, P. 330
(١٠) بسيمة قرية معروفة . وهذه الأودية التي سيذكرها الآن هي في وادي بردى من بعد الفيجة .

و (وادي الخضرا)[1] محط الرحل كم ذا شددنا نحوه من رحل
يا صاحبيْ نار شوقي هيجا وعرجا بي نحو (وادي الفيجا)[2]
وأطربا سمعي بذكر الوادي واد سما يا صاح بالعواد
ونهره الطامي البهيّ المنظر وليس مرأى العين مثل المخبر
ووادي الشرقي عروس الدنيا اذ بينهم بالحسن نال العليا

ذكر الأعين

ونتبع الذكرى بذكر الأعين وقاها رب الشام شر الأعين
أشهرها في الحسن (عين الصاحب) تفوق بالمنثور نثر الصاحب
وفي صفا الراووق (عين الخضرا) ماء كذوب الدر حاز الفخرا
كذاك عين اسمها (سيّافه) وماؤها في غاية اللطافه
واجلُ صدا قلبي (بعين منين) بين الربا والتين والزيتون
يا عين ذاك الروض يا فتانه يا من دعوك عندهم (مرجانه)
ولا تسل عن لطف (عين الكرش) ماء قراح لؤلؤي الفرش
وكم جمعنا الشمل في (الوراقه) عين تراها بالصفا براقه
يا عينُ من (بالزينبيه) عرفتْ من لي بأوقات لديك سلفتْ
وعند (عين الشرش) روض زاهي تأوي اليه زمر الملاهي
وانعم بعين اللذة المفضيه قد سميت يا صاح (بالرقيه)
(عين ترتور) سقى عهدي بها كم للتصابي بمت غايات النهى
(وعين اقلابا) حكت بالرصف ضياء مرآة بروض القصف

---

(١) يقصد وادي عين الخضراء .
(٢) الفيجة قرية مشهورة .

(عين حروش) كالزلال الصافي قد أحرزت محاسن الأوصاف
فهذه العيون ذات القدر اذ سقيها الرياض سقي النهر
فالبعض منها قارب المدينه والبعض منها للقرى معونه
وما سواها صاح ليست تحصي ولا تروم العد والاستقصا
فانهض وشمّر للتصابي باعا قد خُصّ بالحرمان من أضاعا
فهذه الدنيا وهذا العيش وغير ذكر الشام عندي طيش
الآن مناط العز والتمكين ومهبط القرآن والتبيين
وادٍ حباه الله بالتشريف وخصّه بالسعي والتعريف
وعنده الأوزار حقاً تُطرح وفيه للغفران نعم المطمح
وبلدة المختار عين الملكِ حامي حمى الاسلام ملهى الشرك
قد صحّت الأقوال عند السنّة في أنّ فيها من رياض الجنّة
ونالت العليا بخير الخلق وخيركم بعدي خدين الصدقِ
وصنوه · الفاروق محيي الدين وثالث الخلفاء ذو النورين
هواطل الرضوان فيها تهمي وبالرضا والعفو أرجو ختمي

صلاح الدين المنجد

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى العصر الحاضر، مع نقد وتعليق

– ١ –

معنى العجز لغة والاعجاز اصطلاحاً وتاريخ استعمال كلمتي معجزة وإعجاز

معنى العجز لغةً الضعف . وأصله لغةً التأخر عن الشيء . وهو ضدّ القدرة . وأعجزه الشيء فاته . وأعجزت فلاناً وعجّزته وعاجزته جعلته عاجزاً ، وجاء في القرآن الكريم : « وما أنتم بمعجزين في الأرض » . ومصدر أعجز الإعجاز ، ومنه اشتقت كلمة معجزة . وهي اسم الفاعل منه لحقته تاء التأنيث ، وواحدة معجزات الأنبياء التي تؤيَّد بها نبوتهم . وقد صار لها هذا المعنى في زمن متأخر عن الرسالة ، فأطلقها العلماء عليه اصطلاحاً كما أطلقوا المصدر « الإعجاز » على اتصاف الشيء بها أي بأنه أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدّي ، سالم من المعارضة » .

ولم يرد في القرآن لفظ معجزة أو إعجاز وإنما جاء فيه ألفاظ آية وبرهان وسلطان . وهذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة ، ولا تشمل معنى الإعجاز المفهوم منها . وإنما تدلّ على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئيّ واحد . وهذا الجزء يقابل كلمة الدليل أو الحجّة ، بمعنى أن حادثة من الحوادث هي دليل نبوّة أحد الأنبياء أو دليل الألوهية ، ولا يدل على أكثر من ذلك . أما كلمة معجزة فتدلّ على أمر خارق للعادة يكون دليلاً على نبوّة أحد الأنبياء دون غيره ، ويعجز غيره من الخلق عن الإتيان بمثله . ومن الصعب جداً

أن نحدد الزمن أو المكان أو الأثر الذي استعملت فيه كلمة معجزة أو إعجاز أول مرة بهذا المعنى الديني الاصطلاحي الفني . وعلى الرغم من أن الجدل في أمر النبوة بدأ في عهد النبي ، أثاره أرباب الديانات الأخرى الذين ناقشوا المسلمين في أمور الديانات منذ القرن الأول من الهجرة ، فان كلمة معجزة لم تظهر بظهوره وليست قديمة قدمه . يدلنا على ذلك ان علي بن ربن الطبري الذي ألف كتاب « الأسلوب والبلاغة » في الربع الثاني من القرن الثالث الهجري ، لم يستعمل في كتابه كلمة معجزة أو كلمة أخرى مشتقة منها ، بل استخدم في المناسبات التي تدعو الى استخدامها كلمة آية التي كانت لا تزال مستعملة في عصره لمعناها . ولا نستطيع أن نستنتج من هذا أن كلمة معجزة لم تستعمل حتى ذلك الوقت ، وإنما نستطيع أن نؤكد أنها لم تكن شائعة الاستعمال ، وأنها لم تكن من القوة بحيث تكتسح مرادفاتها القريبة منها كالآية والبرهان والسلطان ... كما فعلت بعد . ويؤيد هذا أن احمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ يستعمل كلمة معجزة لما استعملت له بعده كلمة « كرامة » بالنسبة الى الأولياء ، وذلك الى جانب استعماله اياها بمعنى الأمر الخارق المؤيد للنبوات . وأول كتاب عنون باسم « إعجاز القرآن » فيما نعلم هو كتاب محمد ابن يزيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦ هـ ، ومن الواضح أنه ألف في أواخر القرن الثالث من الهجرة أو في مطلع القرن الرابع ، وقد وردت فيه كلمة معجزة . ثم أخذت كلمات آية وبرهان وسلطان تقلّ بعد ذلك في الاستعمال وتحلّ محلها كلمة معجزة في بحث مسألة النبوة وقضية الإعجاز . ومن أصعب الأمور الآن أن نبيّن الأطوار والمراحل التي مرّت بها كلمتا معجزة وإعجاز ، ولكنّ من الواضح البدهيّ أنهما استمدّتا معنييهما الاصلاحيّين الحاليّين من تتابع استعمالهما وكثرة المناقشة فيهما مع مرور الزمن ومن الاسترسال في فهم أقصى ما تدلّ عليه كلمة معجزة من معان .

ونحن نعلم أن نبوة الرسول العربي كانت موضوع مناقشة بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى ، وأن هذه المناقشة بدأت في الشام قبل وضع علم الكلام وكانت تتناول فكرة تحدّي القرآن للعرب وعجزهم عن معارضته في جملة ما تتناول من فِكَر ، وأن المسلمين يجعلون القرآن ، وهو الوحي الذي أنزل على النبيّ ، برهاناً على نبوّته ، ويرون أنه كلام ليس في طاقة الجنّ والإنس أن يأتوا بمثله ، ونرى القرآن نفسه يصف أعداءه الذين لا يؤمنون به من العرب بأنهم « لا يأتون بمثله » . فاذا وضعنا مرادفاً لهذه الجملة كما فعل ابن جرير الطبري حين فسّرها في القرآن قلنا « يعجزون عنه » ونكون قد استعملنا صيغة « أعجز » للدلالة على عدم قدرة الإنس على الإتيان بمثل القرآن . وهكذا نتصور استعمال الكلمة لهذا المعنى أوّل مرّة . ونرجح أن مصدرها « الإعجاز » قد تلاها في الاستعمال للمعنى نفسه ثم انتقلا معاً الى طور آخر وهو الدلالة على أن القرآن بمثابة معجزات الأنبياء الخارقة لا على أنه معجز لمن يريد معارضته فقط . وحينئذ وضعت لهذا المعنى الشامل كلمة « معجزة » الجديدة . وهي مؤنث اسم الفاعل من أعجز[1] .

ويعرّف علماء الكلام المعجزة في كتبهم بأنها : « أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي ، سالم من المعارضة » ويملأون صفحات في مناقشة مدلولها وشروطها ، ويكفي أن نضرب مثلاً على ذلك القرطبيّ في كتابه « الجامع لأحكام القرآن » فهو يذكر شروطاً خمسة لا يصحّ من دونها لحادث أن يسمى معجزة وهي :

١ً — هذا الحادث ينبغي أن يكون ممّا لا يستطيعه الا الله .

٢ً — يجب أن يخرج على قوانين الطبيعة .

٣ً — وينبغي أن ينبئ عنه الحكيم قبل أن يقع بأن كذا وكذا سيحصل .

(١) راجع مستهلّ مقال الأستاذ عبد العليم الهندي في مجلة :
« The Islamic Culture, N. 1, 32 the years »

٤ — ويجب أن يكون الحادث الواقع موافقاً لما قال قبل .

٥ — وألاّ يكون في استطاعة أحد أن يجري مثل هذا الأمر .

وهذا بالتلخيص ما يريده المتكلمون بكلمة « معجزة » .

يتضح مما سبق المراد من قولنا « إعجاز القرآن » فهو كونه أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحد معارضته برغم تحدّي الناس إليها .

وقد كانت هذه الفكرة مجالاً لبحوث وكتب كثيرة قام بها علماء مختلفة نزعاتهم . ولما كانت قد نشأت من تحدّي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه كان لا بدّ من الكلام عن المعركة الفكرية الكلامية بينه وبينهم في حياة النبي قبل الحديث عن أطوار الفكرة المتعاقبة في البيئات والعصور المختلفة بعد وفاته .

* * *

المعركة الفكرية الكلامية بين القرآن وبين العرب

جاء الوحي النبي وللعرب مساوئ تضعف أمرهم وتفرق صفوفهم ، ولهم فضائل يمكن اذا وجهت وجهة حسنة أن تكوّن منهم أمة عظيمة . وكانت غاية الوحي صلاح دنياهم ودينهم ؛ فاشتمل على مبادئ دينية اجتماعية أخلاقية غايتها إنسانية بحتة . وكان يرمي أيضاً الى أغراض سياسية قومية تجعل من العرب حماة لهذا الدين ، وتؤلف بين قلوبهم ، فتجعلهم أمة واحدة وصفها القرآن بأنها « خير أمة أخرجت للناس » . وكانت هذه الدعوة متلائمة والبيئة التي استجابت لها لأنها تشريع مستمدّ من روحها تمليه شخصيتها ويتطلبه ارتقاؤها العقلي والروحي وتقدمها النسبيّ في اجتماعها ولغتها وبيانها .

ويتجلى الاستعداد النفسي العام للاستجابة الى هذا الإصلاح فيما ظهر قبل الإسلام فيها من حركة أدبية كان من مظاهرها تباري الشعراء في الأسواق

الأديبة التجارية ، وتفكير شعراء وخطباء كطرفة وزهير وقس بن ساعدة في مسائل دينية ، كما يتجلى في هذه الحيرة الدينية العامة التي أدت ببعضهم الى انتحال مذاهب الصابئة واليهودية والمسيحية والمتألهة الحرة ، وفي حركة حلف الفضول المباركة التي تدل على تقدم اجتماعي بما تحمل من فكرة انسانية غايتها حماية الضعيف وإغاثة الملهوف ؛ وهي في حقيقتها وسيلة لمحاربة فكرة العصبية القبلية في رجالات قريش ، ومقدمة للقضاء عليها في نفوس العرب جميعهم بسعي النبي وبعض خلفائه فيما بعد .

ولم يظهر النبي بصفة مصلح اجتماعي يضع القوانين من عنده ويقدمها لقومه على أنها قوانين وضعية بل جاءهم مرسلاً من الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور . ولما كانت طبيعة هذه الرسالة ليست من الأمور المألوفة في حياة الناس العادية ، وكان اتصال الله بالنبي عن طريق الوحي مما لا يجري لكل الناس ولم يألفه العرب ، ولما لم يكن لديهم عن النبوة الا تصور مبهم مما كانوا يتداولونه عن ابراهيم واسماعيل وما كان يبلغهم عنها ممن يخالطونهم من أهل الكتاب ، فقد استغربوا هذا الأمر من النبي وأنكروه بشدة ووقفوا منه موقف المتردد الحائر ، لما عرفوا من استقامته في سابق حياته ، واشتهاره فيما بينهم بالصدق والأمانة ، لا سيما وأن هذا القرآن الذي جاء به أسمى تأليفاً وأجمل أسلوباً من كلامهم ، سواء المنظوم منه والمنثور ، فقد كذبوه واستعذبوه في وقت واحد . ولو قيل لهم إن القرآن من عند النبي نفسه لا من عند الله لما وجدوا في هذه الدعوة الى الاصلاح غرابة . وذلك لأن طبيعة البيئة إذ ذاك كانت تتطلب هذه الاصلاحات التي جاءت بها الرسالة . على أن الاختلاف في الاستجابة لها لم يكن يبدو في غير الصورة التي ظهر بها في الراجح . وذلك لأن الناس في هذه الحركة الإصلاحية جانبان : جانب الضعفاء الذين وجدوا فيها فائدة لهم ،

وخلاصاً من ظلم الأقوياء ، وتحقيق حرية مفقودة ، وينضم اليهم من جبلت نفوسهم على الخير العام ، وجانب الأقوياء الذين يعاكسون هذه الحركة الجديدة ، لأنهم يرون أن فائدتهم الخاصة تستقر وتقوى باستقرار النظام القديم ، ولأن سلطان التقاليد على نفوسهم عظيم ، فيستصعبون أن يغيّروا من أنفسهم ما اعتادوه ووجدوا عليه آباءهم . وينضمّ لهؤلاء ذوو التفكير المادّي الواقعي الذين لا يؤمنون بإمكان اتصال الله بالبشر . ورجال هذا الجانب هم الذين شاكسوا النبي ووقفوا في وجهه حتى جاءه النصر . وكان من الطبيعي أمام هذا أن يبرهن النبيّ على صحة رسالته وصدق مدّعاه في الوحي ـ وهو أمر كما قلت غير مألوف لديهم ـ بمعجزات تؤيده ، وتكون غير عادية ولا مألوفة في حياتهم . وعلى ذلك جرت سنّة النبوات في تأييدها ، فكان لموسى عصاه ، ولابراهيم ناره ، ولعيسى إبراؤه الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، كما كان لغيرهم من الرسل غيرها من المعجزات . وقد ذكر القرآن كثيراً من أخبارها .

وكانت معجزات هؤلاء الرسل كما نرى حسية . ولكن العرب لما طالبوا النبي بمثل هذه المعجزات سخر منهم القرآن ، وفند آراءهم وطلباتهم ، قائلاً بأنه لو أتاهم بها لم يؤمنوا بما آمن به غيرهم ممن شرح الله صدرهم لهذا الدين ، كما لم يؤمن من قبلهم من الكافرين بتلك المعجزات الحسية ، وإنما يهدي الله من يشاء . ويسجّل القرآن طلبهم هذه المعجزات كما يسجل رفضه إجابتهم اليها . قال تعالى : « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل انما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين » . وقال في موضع آخر : « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » . وقال في سورة الفرقان : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتّبعون إلا رجلاً مسحورا » . وقال في سورة الإسراء : « وقالوا ان نؤمن لك حتى

تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً » . وقال في سورة الأنبياء : « بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون . ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون » .

وقال في بيان أن المعجزات لن تفيد في هدايتهم شيئاً : « ولو نزلنا عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » . وقال أيضاً : « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون » .

واحتج علماء الاسلام لصاحب الدعوة الاسلامية في عدم إتيانه بالمعجزات بما احتج به القرآن من أنه لو أتاهم بها لما آمنوا ولقالوا إنها سحر . واحتجوا بأن هذه المعجزات الحسية إنما تحمل الى ذوي العقول الجامدة والنفوس الخاملة من الأمم غير الأمة العربية . أما العرب فهم في رأي هؤلاء العلماء يمتازون بالذكاء والعقول الراجحة ولذلك كانت معجزتهم معنوية بيانية ، وهي القرآن[1] . وقالوا أيضاً بأن المعجزات الحسية تزول بزوال مشاهديها زمن النبي . وأما المعجزة البيانية فهي باقية أبد الدهر ، واحتجوا بقول القرآن : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وعلل أكثر العلماء ذلك بما نسميه نحن أثر البيئة ومقتضياتها . فقالوا إن معجزة كل نبي كانت من جنس الفن الذي اشتهر في قومه إلى عهده . ولذلك كانت معجزة موسى من جنس السحر ، ومعجزة عيسى من جنس الطب ؛ لأنهما

(١) ابن العربي : الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٩٨ .

الفنان الذائعان في عهديهما . وجاءت معجزة النبي من جنس الفن الذي اشتهر به العرب وبلغوا به الذروة وكانوا يتفاخرون به ويسامي بعضهم بعضاً وهو فن البيان .

ولا شك في أن العرب كانوا قد بلغوا في ذلك الحين من الفصاحة والبيان غاية كبيرة ، واستقامت تعابيرهم إفراداً وتركيباً ، وتمت لهم أدوات الفصاحة على ما يقضي به قانون الارتقاء والنشوء في بيئتهم . ويدلّ على نضج بيانهم أدب المعلّقات .

ولا شك في أن قريشاً كانت من بين جميع القبائل أكثرها فصاحة ، وأحسنها نظاماً ، وأرجحها أحلاماً ، وأكثرها مالاً ، لما أهلتها له بيئتها وموقعها الجغرافي ومكانتها الدينية . فموقعها بين الشمال والجنوب ، وحملها التجارة من طرف الى آخر ، وحمايتها للبيت الحرام ، كان منه اختلاطها بالقبائل العربية كلها من عدنانية وقحطانية (وبالأولى من شمالية وجنوبية) . فرفع هذا الاختلاط والتمازج من مستواها العقلي والاجتماعي ، وحملها على تنقية لغتها ، وتهذيب أساليبها ، وانتقاء أحسن ما في لهجات القبائل الأخرى من ألفاظ ومعان وأساليب .

ولكن هل صحيح أنهم – كما صورهم بعض العلماء – كانوا قد بلغوا القمة في البلاغة والبيان ، وأن من جاء بعدهم في العصور الاسلامية كان عالة عليهم ودونهم بياناً وقدرة على التعبير ، أو أن الأمر على العكس من ذلك فكانوا مرحلة تمهيدية لمن جاء بعدهم من الكتاب والشعراء والخطباء في العصرين الأموي والعباسي وبخاصة الأخير الذي كان أدباؤه أكثر منهم مرونة وجولاناً في ميادين الفكر والبيان ؟ ..

أظن أن القول الأخير هو الأصح . وهو لا يقدح في فكرة إعجاز القرآن ، لأن العلماء قالوا بأنه معجز أبد الدهر وبأن فضله يظهر على كل نص أدبي متقدم أو متأخر حين يقارن به ، ولا يعارض هذا بأي حال فكرة النشوء والتقدم في تطوّر الأدب العربي ، وإنما يقضي فقط على فكرة المتقدمين بأن الأدب الجاهلي هو أكمل مثال في تاريخ الادب العربي .

ومما يدل في رأيي على أن الأدب الجاهلي كان بمثابة تمهيد للعصور الأدبية التي بعده أنه كان ينقصه فن أدبي كان لا يزال في الجاهلية في بدء تكوينه وهو النثر الفني ، وأن الخطابة كانت لا تزال في بيئتهم طفلة في المهد لم تنمها تلك الهزات الاجتماعية والسياسية العنيفة التي حدثت في طفولة الإسلام وشبابه ، وأن أكمل الفنون الأدبية الجاهلية هو الشعر ، ولا يساوي على التحقيق شعر العصر العباسي الأول إذا قسناهما بمقاييس فنية صحيحة .

ولتخلف العرب في فني الخطابة والنثر الفني كانت دهشتهم من بيان القرآن وأسلوبه عظيمة جداً ، دونها دهشة وتقدير الأدباء العباسيين الفحول الذين تجرأ بعضهم - أو اتهم بأنه تجرأ - على معارضة القرآن . بل ادعى كثيرون ممن يقولون بإعجاز القرآن أنفسهم أنه ليس معجزاً من حيث بيانه ، بل بأمور أخرى كالصرفة أو الإخبار بالغيب . وإني لا أنفي بهذا أنهم كانوا يتفاخرون بالبيان ويحتفلون بنبوغ شاعر أو خطيب ، ولكني لا أرى ان الزمان قد رجع في البيان العربي القهقرى في عهد عز العرب الاسلامي .

وربما فهم من هذا من لا يقول بإعجاز القرآن من الوجهة البيانية ، أو من ينفي الفكرة من أساسها ، أن القرآن ليس إلا طوراً من أطوار النثر العربي ، وأنه فوق النثر الجاهلي ودون النثر العباسي من حيث الفن والمرونة والقدرة على الاداء . وهذا غير صحيح ولا أقصده . ذلك لأن القرآن في تاريخ الأدب العربي قائم بنفسه ، لأنه فذ في بيانه . ويكفي لإدراك تفوقه أن يكون الناقد قد استوفى حظه من الذوق الأدبي الفني ، فيقارن بينه وبين نص أدبي آخر ليشعر بالفرق المحسوس بينهما ، ذلك الفرق الذي جعله معجزاً رائعاً ، والذي يرجع الى أسباب سأذكرها في حينها .

وقد اتفق العلماء والأدباء القائلون بالإعجاز ، حتى الذين لم يقولوا منهم بإعجاز

القرآن من الناحية البيانية ، على أنه جاء من الفصاحة بالدرجة التي لا تبارى . وأضاف القائلون بإعجازه البياني الى ذلك أنه كان بهذا معجزة الرسول الخالدة . ويضيف أكثر هؤلاء الى ذلك بأنه معجزة لكل الأمم ولكل العصور . وحجتهم على ذلك أن العرب يومئذ قد ملكوا ناصية البيان فإذا كانوا عاجزين عن المجيء بمثله فغيرهم أعجز .

وقد أشرت الى هذا الرأي القائل بأن العصر الجاهلي هو أكثر عصور الأدب العربي ازدهاراً ولم آخذ به . وبهذا تسقط هذه الحجة الأخيرة برغم أن الرأي الذي تريد دعمه صحيح عندي ، ويؤيده مقارنته بما في أيدينا من نصوص أدبية .

والحقيقة الراهنة في تاريخ القرآن أن أحداً لم يوفق إلى معارضته معارضة ناجحة . ومن حاول ذلك لم يستطع المجيء بمثله بياناً ، وسخّفه العلماء والأدباء ، ووجدوا أنه جاء بالمدفوع الساقط الذي لا يمكن أن يقاس بالقرآن فضلاً عن أن يجاريه .

واذا تركنا الإيمان الديني جانباً ، وأردنا أن نعلل ذلك بالمنطق ، رأينا أن ذلك كان لضعف الشعور النفسي لدى الأدباء بالقياس الى الشعور النفسي لدى النبي ويدلنا على شدة هذا الاحساس في نفسه ما كان يعانيه حين هبوط الوحي على نفسه الشاعرة المتعمقة من الذهول عن الناس وتصبب العرق والتعب .

واذا رجعنا الى الاعتبار الديني كان فيض هذا الشعور النفسي الديني لدى النبي أمثل وأقوى في أذهاننا ، سواء أكنا مع القائلين من علماء المسلمين بأن معاني القرآن منزلة وأن اللفظ من النبي ، أو مع القائلين بأن القرآن بمعناه ولفظه وحي من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد اتفق كل من كتبوا في الإعجاز – الذين سنرى آراءهم بالتفصيل – على أن القرآن معجزة وأنه دليل النبوة ، بل قال الباقلاني – وسنرى ذلك – أن

الذهاب عنها كالذهاب عن الضروريات والشك في المشاهدات ، ولكنهم اختلفوا في أسباب اعجازه .

لم يفتتح العلماء القول بأن القرآن معجز ، فإن آيات التحدي التي فيه تثبت أن دعوى الإعجاز كانت تساير نزول الوحي ، وسيأتي ذكر هذه الآيات . وإلى جانب آيات التحدي هذه نجد القرآن يصف نفسه بأنه برهان النبوة ودليلها في عدة مواضع . منها قوله في سورة العنكبوت : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون » فجعل أمية النبي مع إتيانه بالقرآن دليلاً على النبوة . وقوله في سورة البقرة : « وكذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تعقلون » . وقوله في سورة الحج : « وكذلك أنزلناه آياتٍ بيّنات وإن الله يهدي من يريد » . وقوله في موضع آخر : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » .

فاتضح أن هذه الآية قد عدّت القرآن معجزة للنبي بمنزلة معجزات غيره من الأنبياء .

وذكر السيوطي (الاتقان ج ٢ ص ١٩٧) أن النبي (ﷺ) قال : « ما من الأنبياء نبي أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » ـ أخرجه البخاري .

ويقول العلماء ان القرآن وحده معجز دون غيره من الكتب السماوية ، لأنها لا تدلّ على أنفسها إلا بأمرٍ زائد ووصفٍ مضاف اليها ، لأن نظمها ليس معجزاً ، وإن كان ما يتضمنه من الإخبار عن الغيوب معجزاً ، وليس كذلك القرآن لأنه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في أن نظمه معجز . (الباقلاني ، إعجاز القرآن ص ١٧) .

ولا ريب في أن القرآن أدهش العرب لمّا سمعوه . وذلك لما وجدوه فيه

من سحر البلاغة والتأثير في النفوس ، سواء المنكرة له أو المؤمنة به . ولهذا حار المشركون في وصفه وخافوا من أن يستميل اليه قلوب مستمعيه منهم ، فصاروا يصدّون عنه وينأون عنه ، ويصفونه مرة بأنه شعر ، ومرة بأنه سحر ، ولم يستطع فصحاؤهم إنكار روعته في النفوس وتغلغله في القلوب .

ذكر السيوطي في الإتقان [أن الحاكم أخرج عن ابن عباس أنه قال : «جاء الوليد بن المغيرة الى النبي (ﷺ) فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : ياعم ! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه ، لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله . قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له . قال وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعني حتى أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر – يؤثره على غيره –] .

وقد ذكر القرآن هذه القصة في سورة المدثر فقال : « ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالاً ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . إنه فكر وقدّر ، فقتل كيف قدّر ، ثم قتل كيف قدّر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، سأصليه سقر» .

ونرى في القرآن أيضاً ما يدل على ثقته بأثره البالغ في نفوس سامعيه من المشركين والمؤمنين فقد قال : « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » . وقال حكاية عن المشركين أنهم قالوا : « لا تسمعوا

لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» . وقال : «الله نزّل أحسن الحديث ، كتاباً متشابهاً مثانيَ تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله» . وقال أيضاً : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» .

ويظهر أن زعماء المشركين لما رأوا شدة تأثير القرآن في نفوس سامعيه أخذوا يتجافون عن سماعه ، ويمنعون ضعفاءهم وصغارهم من الاصغاء اليه ، وينعتونه بصفات مختلفة ، غرضهم منها أن يبينوا أنه ليس من عند الله وانما هو من صنع البشر ، إنكاراً لفكرة الرسالة . فقالوا «إنه أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً» . وقالوا : «إنما يعلمه بشر» . وقالوا : «إنه افتراه وأعانه عليه قوم آخرون» . وقالوا «أضغاث أحلام» . وقالوا «ماهو الا بشر مثلكم يريد أن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم» . وقالوا «ما أنزل الله على بشر من شيء» . وقالوا: «ان النبي مجنون» . وسجّل القرآن كل أقوالهم هذه في كثير من سوره ، ودافع عن هذه التهم فقال في تهمة الشعر : «وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين» وقال في تهمة الافتراء : «أم يقولون افتراه ، قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً ، هو أعلم بما تفيضون فيه ، كفى به شهيداً بيني وبينكم ، وهو الغفور الرحيم» .

فلما نعى عليهم ضعف عقولهم ، واسترسالهم في اهوائهم، قالوا : «إن ما تأتي به مشبه لما يأتي به شعراؤنا وخطباؤنا فأنت تأتي بالقرآن تفصيلاً بحسب المناسبات مثلهم فلِمَ لا تأتي بالقرآن جملة واحدة : «وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحق وأحسن تفسيرا» . وطلبوا منه أيضاً أن يغير القرآن

أو يبدله : « وقال الذين كفروا ائتِ بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلاّ ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » .

ولم يكونوا يقصدون من كل هذه الحملات على الرسول والقرآن إلا إنكار الرسالة ومناهضة النبي . فلما لفتهم الى مواطن الخير الذي يدعو اليه القرآن ، والى تذوّق روعته التي لم يستطيعوا إخفاء أثرها فيهم ، قالوا نحن قادرون على مثله . وفي ذلك يقول القرآن : « واذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قالوا قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا الا أساطير الأولين » .

وأمام هذا التحدّي منهم كان لا بدّ للقرآن من أن يتحداهم علانية وبقوّة ، ليبيّن أنه معجزة النبي اليهم . فآيات التحدي كانت مناسباتها وأسباب نزولها هذه الحملة منهم على القرآن وتكذيبهم للرسول . ذكر ذلك الألوسي أثناء تفسيره آيات التحدي في سورة الإسراء ، وسورة هود ، وسورة البقرة . فقد قال في سبب نزول سورة الإسراء : « فقد روي أن طائفة من الأوّلين قالوا أخبرنا يا محمد بهذا الحق الذي جئت به ، أحقٌّ من عند الله تعالى ؟ فإنا لا نراه متناسقاً كتناسق التوراة . فقال (ﷺ) لهم : أما والله إنكم لتعرفونه أنه من عند الله تعالى . قالوا : إنا نجيئك بمثل ما تأتي به فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقبل هذه الرواية يقول الألوسي إن في هذه الآية ردّاً لليهود أو قريش في زعمهم الإتيان بمثله . ويقول في رواية أخرى إن جماعة من قريش قالوا له (عليه الصلاة والسلام) جئنا بآية غريبة غير القرآن فإنا نحن نقدر على المجيء بمثله ، فنزلت . وقال لعلّ مرادهم بهذه الآية الغريبة ما تضمنه من الآيات بعد وهي قوله تعالى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا .. الخ » .

وأما سبب نزول آية سورة هود فقد ذكر في القرآن في الآية التي قبلها :

« فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ، أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير ، والله على كل شيء وكيل . أم يقولون افتراه » وقال الألوسي : وقيل القائل لكل عبد الله بن أمية المخزومي .

وقال في آية سورة البقرة : « سبب النزول كما روى ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا : هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي وإنا لفي شك منه » .

وقد وقع التحدي في عدة آيات من القرآن : آية وردت في سورة يونس وهي : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » .

وآية في سورة هود وهي : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، إن كنتم صادقين » .

وآية في سورة البقرة وهي : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ، إن كنتم صادقين » .

وآية في سورة الطور وهي : « أم يقولون تقوله ، بل لا يوقنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » .

وآية في سورة الإسراء وهي : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

أما ترتيب هذه الآيات من حيث النزول فقد اختلف فيه . وأكثر علماء التفسير والبلاغة مجمعون على أن القرآن تحداهم أولاً في أن يأتوا بمثل القرآن ، وذلك في آية سورة الطور ، فلما عجزوا تحداهم في أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وذلك في سورة هود . فلما عجزوا تحداهم بسورة مثله في سورة يونس . ثم كرر نفس التحدي بنفس المقدار في سورة البقرة حيث جزم بأنهم لن يستطيعوا .

ثم سدّ عليهم منافذ القول في آية سورة الإسراء حيث قال : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن ... الخ » . وذكر هذا الترتيب السيوطي (في الاتقان ج ٢ ص ١٩٨) والفخر الرازي (في التفسير الكبير) والرافعي . وقال صاحب الطراز (ج ٣ ، ص ٣٧٠) : « إن التحدّي وقع على ثلاث درجات ، الأولى بمثل القرآن كله في سورة الطور والإسراء ، والثانية بعشر سور في سورة هود ، والثالثة بسورة واحدة في سورتي البقرة ويونس » .

وقال الألوسي إن الكثير على أن التحدي بعشر سور وقع قبل التحدي بسورة ، ولم يذكر مواقع الآيات الأخر في ترتيب آيات التحدي . وكذلك فعل صاحب الكشاف . وذكر الألوسي أيضاً قول ابن عباس في أن القرآن حينما تحداهم تحداهم بعشر سور معينة هي العشر الأولى الموجودة في ترتيب القرآن الحالي ، وذكر اعتراض أبي حيان في أن هذه السورة مكية فكيف تصحّ الحوالة على ما لم ينزل بعد وقوله : إن هذا لا يصحّ عن ابن عباس .

وذكر الألوسي ذهاب ابن عطية والمبرد إلى أن التحدي بسورة وقع قبل التحدي بعشر سور أي أن آية سورة يونس وآية سورة البقرة نزلتا أولاً ثم نزلت آية سورة هود . وذكر في تبرير ذلك ما قاله ابن الضريس نقلاً عن ابن عباس في أنه تحداهم بسورة مثله في البلاغة والاشتمال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا تحداهم بعشر سور مثله في النظم . وقال إن صاحب الكشف ضعف هذا الرأي وإنه لا يطّرد في كل سورة من سور القرآن . وهب أن السورة متقدمة النزول إلا أنها لما نزلت على التدريج جاز أن تتأخر تلك الآية عن هذه ولو تقدمت سورتها وأيد الشهاب رأي المبرد في أن التحدي كان أولاً بسورة ثم بعشر .

ونحن اذا رجعنا الى ترتيب السور التي فيها التحدي في القرآن كما جاء به السيوطي (ص ١٥ ج ١ من الإتقان) رأينا أن سورة الإسراء نزلت أولاً

ويتلوها سورة هود ثم سورة الطور ثم البقرة ، والثلاث الأولى مكية . ثم يذكر في استثناءات الآيات المدنية من السور المكية رأياً مآله أن آية التحدي في سورة الإسراء مدنية . وبهذا تكون آية سورة هود وفيها التحدي بعشر سور قد نزلت قبل آية الطور وفيها التحدي بمثل القرآن . وهذا يخالف ترتيب الجمهور الذي ذكره هو في الجزء الثاني من الإتقان وأتيت به آنفاً .

واذا رجعنا الى ترتيب السور لدى صاحب الكشاف نجد عنده نفس ترتيب السور لدى صاحب الإتقان ، إلا أنه لا يذكر أن آية سورة الإسراء مستثناة . وبهذا يكون التحدي بحسب صاحب الكشاف قد وقع أولاً بمثل القرآن ، ثم بعشر سور ، ثم بمثل القرآن ، ثم بسورة .

وإذا رجعنا إلى ترتيب نولدكه للسور نجدها عنده على الترتيب التالي : سورة الطور ثم الإسراء ثم هود ثم البقرة ، ولم يذكر استثناءات الآيات المدنية من المكية . فإذا اعتبرنا استثناء آية التحدي من سورة الإسراء المكية صحيحاً فجعلناها مدنية وأخرناها في الترتيب عن آية سورة البقرة وصلنا الى رأي الجمهور في الترتيب بحيث يكون التحدي وقع أولاً بمثل القرآن في سورة الطور ثم بعشر سور في هود ثم بسورة واحدة في يونس والبقرة ، ثم يقطع أمل الإنس والجن في التحدي في سورة الإسراء .

ولا شأن لهذا الاختلاف في ترتيب آيات التحدي إلا إثبات أن القرآن قد تحدّى العرب بما يستدعيه المنطق من التحدّي بالأصعب فالأسهل . فإذا أخذنا في تفسير بعض الآيات بما يقول به بعضهم من أن المقصود من ذكر المقدار ليس التحديد والعدد وإنما هو مجرد الإتيان بمثله ، لم يكن لهذا الترتيب قيمة منطقية أو عملية . والواقع أن هذا التحدّي قد وقع فعلاً ، وأن مسألة الكمّ لم تكن مقصودة ، لأن مقتضى الحال لم يكن يستدعي هذا التحديد في المقدار .

وممن قال بهذا الرأي الشهاب الخفاجي . ويؤيده أن آية سورة الإسراء ، وهي آخر هذه الآيات في الترتيب لم تذكر بها مسألة الكم بل قيل فيهـا : « على أن يأتوا بمثل هذا القرآن » والمثل هنا ينطبق على القليل والكثير منه وعليه كله .

فإذا أخذنا بهذا الاعتبار ، وهو أن الكم لم يقصد في هذا التحدي ، وإنما قصد الكيف ، جنبنا أنفسنا عناء البحث في الترتيب الصحيح الدقيق لهذه الآيات ، ولا سيما إذا لاحظنا أن ترتيب الآيات في سورها ليس دقيقاً ومرتباً بحسب تاريخ النزول على الصحيح فقد روي أن النبي كان اذا نزلت الآية يقول لأصحابه ضعوها في مكانها من سورة كذا .

وبعض المدني يحتوي المكي وبالعكس . فالمسألة لا تعتمد على العقل ، وإنما مآلها النقل . ولا يمكن الاعتماد عليه الى حد كبير . فقد كثر الاختلاف فيه كما قلت فيه الدقة . وكذلك لا يمكن أن نستدل من قصر الآيات وطولها وأسلوبها على هذا الترتيب ، لأن بعض الآيات المكية أسلوبها مدني وبعض الآيات المدنية أسلوبها مكي ، ولأن قصر الآيات وطولها يتبع الفكرة وتأجج العاطفة لا مكان النزول وتاريخه .

هذا وقد أدى بحث العلماء في التدرج في التحدي من حيث الكم في القرآن الى مقدار المعجز منه ، واختلفوا في ذلك . والجمهور على أنه مقدار أصغر سورة وهي سورة الكوثر . واعترض عليهم بعض الباحثين في ذلك . وذكرت في المسألة أقوال كثيرة لا مجال لذكرها هنا . وأوجهها أن مقدار المعجز — ان صح أن له مقداراً ولم يقصد به الروح العامة المنبثة في القرآن دون نظر الى الكم — هو مقدار ما يؤدي فكرة كاملة . فربما تقص عن مقدار سورة الكوثر كآية : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » وربما زاد عنها كثيراً ، أو كان آية واحدة كآية الدين .

وقد اختلفوا في عصر التدوين أيضاً فيما هو المعجز من القرآن وذهبوا فيه مذاهب شتى سيأتي الكلام عليها . والصحيح أن النبي أطلق التحدّي ولم يعينه كما لم تفسره الاحاديث النبوية . وأقوم الوجوه في بيان هذا التحدي هو ما يمكن أن يفهمه العربي في تلك البيئة التي أوحي فيها القرآن وما كان متناسباً مع مقتضى حال النبي معهم . وهو أن يأتوا بما هو مثل القرآن في كل شيء كما يستفاد من لفظ المماثلة ويشمل ما في القرآن من بيان وأسلوب وفكرة وعاطفة متأججة وخيال وحسن معرفة في مخاطبة النفس — حتى لكأن الروح تخاطب الروح — وما فيه من علم وأخبار عن الماضي والمستقبل . وهذا كله مما تعجز مؤهلاتهم وثقافتهم عن مثله .

هذا وقد وقع التحدي اليهم مبكّراً . وظل النبي بين ظهرانيهم يدعوهم الى الاسلام ثلاثاً وعشرين سنة . ونزلت آيات التحدي في فواصل زمنية متباعدة . فلا يمكن أن يكون لم يبلغهم كما زعم بعض من أنكروا إعجاز القرآن ، كما لا يتأتى ألا يفهم العرب ما هو وجه التحدي المقصود كما زعم آخرون ، لأن النبي كان بينهم وكان في استطاعتهم أن يسألوه عما غمض عنهم ثم يتحدّوه إن استطاعوا .

وأجمع المؤلفون على أن العرب كانوا من الحمية والأنفة بحيث لا يقبلون مثل هذا التحدي ، وأن أسبابهم من حيث الفصاحة والبيان والرغبة لمناهضته كانت كافية لأن يجدوا في القول سعة لو استطاعوا . واعتقاد بعض المؤلفين أن العرب قد ملكوا أعنة القول البليغ ولهم فيه القدح المعلّى جعلهم يقولون بالصرفة أي بأن الله أفقدهم القدرة على المعارضة أو سلبهم العلوم التي يمكن أن تعينهم على على نظم كلام مضارع للقرآن . ورد آخرون من العلماء على أن ذلك ليس في طوقهم لأنه ليس في كلامهم السابق للقرآن واللاحق له ما يصح معارضته

بالقرآن من حيث خصائصه ومميزاته المعنوية والفنية ولو وجد لرأيناه في أشعارهم .
وقال بعضهم بأن هذه المعارضة ربما وجدت ولكن المسلمين أهملوها وأخفوها .
وأجيبوا بأنه لو وجدت معارضة يصح أن تساوي القرآن وتقاربه لاشتهر أمرها،
ولقضت على سلطان القرآن ، وأثبتت كذب صاحب الدعوة في تلقيه الوحي ،
ولكان لها من القيمة أضعاف ما للقرآن . والأقرب للصواب أن يكون
العرب قد حاولوا معارضة القرآن فما استطاعوا وجاؤوا بما هو دونه بمراحل .

وفي تاريخ السيرة النبوية ذكر بعض من ادعوا النبوة وحاولوا مناهضة النبي
في السلطة والسياسة والوصول الى ما وصل اليه ، في حياته وبعد وفاته ، وأن
بعضهم حاول نظم قرآن شبيه بالقرآن ليشرّع فيه للناس ما يرى تعديله من
شريعة النبي وليؤيد نبوته بمعارضة القرآن .

منهم مسيلمة بن حبيب الكذاب . تنبأ باليمامة في بني حنيفة على عهد الرسول
بعد أن وفد عليه وأسلم . وكتب اليه في سنة عشر من الهجرة : « أما بعد
فإني قد شوركت في الأرض معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها
لكن قريشاً قوم يعتدون » وقد ادعى مسيلمة أن له قرآناً من السماء يأتيه
من ملك يسمى « رحمان » ومن قرآنه الذي رواه له المؤلفون قوله : « والمبذرات
زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والعاجنات
عجناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً ، إهالةً وسمناً ، لقد
فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر آووه ،
والباغي فناوئوه » . ومنه أيضاً : « إنا أعطيناك الجماهر ، فصلِّ لربك وجاهر ،
ولا تطع كل ساحر » . ومنه : « والشاء وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها ،
والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المذق ، فما لكم
لا تمجعون » . وقوله أيضاً : « الفيل ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له ذنب

وبيل ، وخرطوم طويل » . وقوله : « يا ضفدع يا بنت ضفدعين ، نقي ما تنقين ، نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين » .

ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي . تنبأ زمن النبي بعد أن وفد عليه وأسلم . وكان يزعم أن ذا النون يأتيه بالوحي -- وقيل بل يزعمه جبريل -- ولكنه لم يدّع لنفسه قرآناً بل كلمات يزعم أنها أنزلت عليه . قال الرافعي : « ولم نظفر منها بغير هذه الكلمة رأيناها في معجم البلدان لياقوت وهي قوله : « إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً ، فاذكروا الله قياماً ، فان الرغوة فوق الصريح » .

وذكر الرافعي (هامش ص ١٨٣ من كتابه الإعجاز) أن عيينة قال لطليحة أثناء حربه مع خالد بن الوليد : ما قيل لك ؟ قال : « إن لك رحى كرحاه وأمراً لا تنساه » فقال عيينة : « قد علم الله أن لك أمراً لا تنساه ، يا بني فزارة ! هذا كذاب ما بورك لنا وله فيما يطلب » . وفي معجم ياقوت أن عيينة قال له : « هل جاءك ذو النون بشيء » قال نعم قد جاءني وقال لي : « إن لك يوماً ستلقاه ليس لك أوله ولكن لك أخراه ورحى كرحاه وحديثاً لا تنساه » ، وانهزم طليحة ولحق بنواحي الشام وأسلم بعد ذلك وكان له في وقعة القادسية بلاء حسن .

ومنهم سجاح بنت الحارث التميمية . وتنبأت بعد وفاة الرسول . وتزوجت مسيلمة . ولم تدّع قرآناً . وإنما كانت تزعم أنه يوحى اليها فتأمر وتسجع ، كقولها حين توجهت نحو مسيلمة : « عليكم باليمامة ، ودفّوا دفيف الحمامة ، فإنها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة » .

وفي رواية صاحب الأغاني أنه كان فيما ادّعت أنه أنزل عليها : « يا أيها المؤمنون المتقون ، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يبغون » . وهي كلمة ذكرت لمسيلمة أيضاً وقد مرّت آنفاً .

ومنهم عبهلة بن كعب ، الملقب بالأسود العنسي . تنبأ باليمن قبل وفاة الرسول . وليس له قرآن . وقتل بعد وفاة الرسول .

ومنهم النضر بن الحارث . ولم يدّع النبوة ولا الوحي . ولكنه زعم أنه يعارض القرآن . فلفّق شيئاً من أخبار الفرس وملوك العجم وبالغ بها لجعلها خوارق ، لأنه جاء بأخبار يجهلها العرب . ولم يحفل الأدباء والمؤرخون كثيراً بأخباره .

واذا تأملنا هذا القرآن الذي جاء به مسيلمة والأسود العنسي وجدناه ركيكاً ساقطاً ، ووجدنا بعضه قرآن معدة كما يقول الرافعي . ولا ندري أكان كل هذا القرآن كذلك أم كان فيه أجود منه ونسي أو تنوسي ، كما لا ندري اذا كان لها حقيقة ولم يكن مفترىً عليها . فمن المحتمل أن يكون بعض المسلمين قد وضعوه للتندّر والتهكم ، كما وضعوا حديث اجتماع مسيلمة مع سجاح حين زواجه بها وما قاله من الأشعار في حلفه معها وزواجه منها .

وعلى كل حال فمن المرجح ، إذا لم يكن من المؤكد ، أن هذه المعارضة الصالحة لو وجدت لقضت على مكانة القرآن وزعزعت مركز النبي السياسي والديني ، ولاشتهرت اشتهار القرآن أو كانت هي الأشهر ، ولتداول المشركون الحديث عنها خلفاً عن سلف . فلم يكن هنالك إذن من معارضة قيمة حقيقية .

أما مالقيه أولئك المتنبئون من تأييد قبائلهم فراجع الى طموح هؤلاء المتنبئين السياسي وطموح قبائلهم وعصبيتها ، ومنافستها قريشاً كما يظهر من أقوالهم السابقة ، أو منافستها الأنصار ، رهط النبي ، لأن السلطة آلت زمن انتصاره في أواخر حياته الى هذين الفريقين : قريش والأنصار . والعامل في حركاتهم الطمع المادي الاقتصادي .

فالأرجح إذن أن يكون القرآن قد سدّ ببلاغته على العرب مجال التفكير

في هذه المعارضة ، فأدركوا في سريرتهم عجزهم ، وأسرُّوا هذا العجز ، ورجعوا الى نغمة الحملة على القرآن بأنه محض افتراء ، وأن صاحب الرسالة كذاب ، ليخفوا وراء هذا الكلام عجزهم ، وانصرفوا — كما يقول العلماء — عن الحرب الكلامية الى حرب السيف والرمح ، واعتذروا عن عدم اتباع آراء النبي في الدين بالمحافظة على عاداتهم ودياناتهم القديمة ، فقالوا : « أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون » و « ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين » وانتهت هذه المعركة بين العرب والقرآن بأن سجل هزيمتهم النهائية في باب البيان فقال في سورة الإسراء : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

يلخص الجاحظ هـذه المعركة الكلامية بقوله (دلائل الإعجاز الجرجاني ص ٢٩٨) «ولو أن رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه لغاً ولفظاً» وبقوله الذي ذكره صاحب الإتقان (ج ٢ ص ٢٠٠) : « بعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً وأحكم ما كانت لغـةً وأشدَّ ما كانت عُدَّةً ، فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة . فلما قطع العذر وأزال الشبهة ، وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية ، دون الجهـل والحيرة ، حملهم على حظهم بالسيف وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحاً ومساءً الى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو آيات يسيرة . فكلما ازداد تحدياً لهم بها وتقريعاً لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستوراً ، وظهر منه ما كان خفياً . فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف ، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فهاتوها مفتريات .

فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولا طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عنه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ٠

فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستجابة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته ، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله وأفسد لأمره وأبلغ في تكذيبه وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الأموال ٠ وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات ٠ ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ، ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن ظهر عجز أدناهم ٠ فمحال أكرمك الله أن يجمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطإ المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز ، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا اليه ، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ٠ وكما أنه محال أن يطبقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة ، فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون أكثر منه » ٠

* * *

(يتبع) نعيم الحمصي



التعريف والنقد

العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين

تأليف محمد المنوني

اخرج هذا الكتاب « معهد مولاي الحسن » وطبع في المطبعة المهدية بتطوان . وهو يقع في ما يزيد على ثلاث مئة صفحة . جيد الورق ، حسن الطبع .

قدم الكتاب الأستاذ عبد الله جنون بمقدمة قال فيها : « هجم الأستاذ المنوني على موضوعه ، ولم يتناوله من ذيوله ولا من أطرافه . بل قصد الى اللب والصميم . وترك اللف والدوران . وان كان قد قدم بين يديه مقدمات فانها مما يرتبط بمادته تمام الارتباط .. ثم هو قد رتبه ترتيباً طبيعياً فتناول العلوم ثم الآداب ثم الفنون . وهذه أيضاً تناولها بالنظام الكامل ، والترتيب الواجب اتباعه في كل منها . فالسلسلة متتابعة الحلقات ، والأفكار منسلسلة لا يجد القارئ أدنى عنت في الربط بينها ، انها في ذلك النظام والترتيب لتغريه بالمطالعة والاسترسال في القراءة حتى يفرغ من كل بحث وقد أحاط به .. » .

وهذه كلمة صادقة ، في هذا الكتاب القيم ، تصفه أحسن وصف .

يتناول المؤلف في كتابه « طابع دولة الموحدين ، والمؤثرات التي أثرت في نهضة المعارف على عهد الموحدين ، وازدهار المعارف بالمغرب . ومعاهد التعليم وأساليبه : المدارس ـ الجوامع ـ التعليم الاجباري ـ كتب الدراسة . ثم المجامع العلمية : مجامع الخلفاء ـ مجامع الأمراء » .

ووصف قيام دولة الموحدين فقال : « كانت حالة العالم الاسلامي في الوقت الذي قامت فيه دولة الموحدين لا تبعث على الاطمئنان . فالدولة العباسية بالعراق ؛

ودولة الفاطميين بمصر بلغتا الى طور الهرم المزمن الذي لا يقام بعده . ودولة المرابطين بالمغرب ، كانت كافرة مجسمة في نظر المهدي بن تومرت : مؤسس دولة الموحدين ...

وكان ابن تومرت هذا قد ساح في الشرق وأخذ عن الغزالي ، وابي بكر الشاشي ، وابن عبد الجبار ببغداد ، وعن ابي بكر الطرطوشي بمصر . وفي المغرب حيث قرأ على ابن حمدين بقرطبة من الأندلس . وعاين حضارة هذه البلاد التي ساح فيها وتشبع بأفكار أهلها عامة ، وبخاصة أساتذته ، وبصفة أخص الغزالي .

وأدرك خطر الحالة التي عليها العالم الاسلامي ، وقدر ان علاجها ليس في تأسيس امارة او مملكة ، بل في انشاء خلافة اسلامية عامة ، تضم تحت لوائها العالم الاسلامي بكامل حدوده ، وتتولى زعامتها الدولة الموحدية ، ولأجل أن تؤدي هذه الدولة مهمتها احق تأدية أراد ابن تومرت ، ومؤسسوها من بعده : ان تكون حضارتها مطبوعة بطابع العظمة والدين والتجديد في سائر مظاهرها » .

ويمضي المؤلف فيبين عمل دولة الموحدين في هذه النواحي الثلاث ، بالوقائع يسردها ، والأمثال يضربها . من تأسيس المستشفيات والمدارس ودور الكتب العامة ودار الضيافة ، وما كان لهم من عمل في الحرب والادارة ، وما انتشر على عهدهم من العلوم والآداب والفنون ، وما استقدموا من أجل ذلك من علماء ، ألفوا الكتب ، وعقدوا مجالس المناظرات والمحاضرات . واجزلوا للمشتغلين والمجاهدين الجوائز والأعطيات . فاجتمع في دولتهم من رجال العلم في مختلف فروعه : من فقه ولغة وطب وهندسة ، ما قل أن اجتمع لغيرهم مثله . وكانت لهم مدرسة لتخريج العمال ومدرسة لتعليم فن الملاحة .

يقول : « وكانت العادة ان لا ينتصب للتدريس في الجوامع الكبار الا من انتهت اليه المهارة في العلم والدين في وقته ... وكان التلاميذ يمرنون على انواع الرياضات .. تأثروا بالغزالي : شيخ امامهم ابن تومرت ، في شيء

غير قليل من تلك الأنظمة ، فانهم قلدوه في ادماج الرياضة في مناهج التعليم ، هذه المسئلة التي أهملت بأوربا في القرون الوسطى ، وأحياها الموحدون تبعاً للغزالي الذي يقول في الاحياء : — ويعوّد الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ... وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتّاب ان يلعب لعباً جميلاً يستريح اليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فان مَنْع الصبي من اللعب ، وارهاقه الى التعليم دائماً يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغّص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً — وانهم كانوا يرمون بهذا الى قرن الخدمة العسكرية والتمرين في فنون الحرب بالتعليم ، ذلك انهم كانوا يخشون ان يؤدي الانقطاع للعلم والدرس ، الى اضعاف الهمم وفتور الحماسة الحربية ..» .

ثم يذكر المؤلف : ما كان للموحدين من اثر في تعليم النساء ، ويعدّد الشهيرات منهن ، ويأتي بقطع من شعرهن ونثرهن .

ثم يعود الى العلوم : الدينية ، واللسانية ، والعقلية ، والتاريخ ، والجغرافية ، وما يتعلق بها ، ويتصل اليها بسبب ، فيتكلم عليها ، ويذكر ما كان من ارتقائها وتقدمها في عهد الموحدين .

ثم ينتقل الى الآداب فينوّه بنهضتها ومميزاتها ، ويعدّد اسماء بعض النابهين في ذلك العهد . ويعزّز بحثه بطائفة من بليغ التوقيعات والخطب والمراسلات والمنظومات .

ويختم بحوثه بـ « الفنون ونهضتها والصناعات والذخائر والآثار والبناء من قصور وجوامع ودور وحمامات وخانات ، ومصانع للسفن والسلاح والورق والمعادن الى أمثال هذه الأمور الحيوية ، والموضوعات القيمة التي لا يستغني عن الوقوف عليها معنيٌّ بالعرب والاسلام وتاريخهم ، ولا سيما تاريخ المغرب .

والكتاب صحيح العبارة سهلها .

فنشكر للمؤلف جهده ، ولمعهد مولاي الحسن عنايته بالعرب وحضارتهم وتاريخهم .

محنة في الفردوس كشمير

تأليف نور الدين داود

طُبع هذا الكتاب في مطبعة المعارف ببغداد، واهداه مؤلفه السيد نور الدين داود «الى المظلومين الذين افتقدوا حق تقرير المصير ، الى المجاهدين في سبيل الحرية والعدالة وحق الانسان وكرامته ..» والكتاب يتناول قضية كشمير ، وما يعانية اهلوها «المعذبون المضطهدون المظلومون يحكمهم غرباء عن جنسهم اعداء ثقافتهم وعقائدهم وتقاليدهم ومقدساتهم» .

ويبدأ المؤلف كتابه بـ «الموضع الجغرافي» فيصف كشمير ، ومناخها ، وسكانها ، وأصلهم ، وتقسيماتها الادارية ، ومواصلاتها ، وزراعتها ، وصلتها بالعالم الخارجي . وفي هذا البحث يذكر علاقة كشمير بالعرب ، «وان أول غزوة قاموا بها الى الهند أبلغت العرب تخوم كشمير ... وان حميم بن سامد أول من أنشأ المساجد في كشمير ونشر الاسلام فيعتبر أول مسلم يدخل كشمير وذلك بين سنة ٨٦ و ٩٦ هـ (٧٠٥ — ٧١٥ م) .

ويقول الدكتور صوفي في كتابه «كاشير» ان قبائل «البامباس» التي تقطن على الضفة اليمنى من نهر «جيلوم» في كشمير تدعي بأنها منحدرة من سلالات أموية ..» .

وينتقل المؤلف من هذا الفصل الى فصل عنوانه «كشمير في التاريخ» يبحث فيه عن «كشمير قبل اسلام أهلها» وعن سلالاتها الحاكمة ثم «كشمير في عهد اسلام أهلها» وكيف انتشر الاسلام ، ومن هم العاملون على انتشاره ، وأسباب هذا الانتشار . والسلالات الاسلامية الحاكمة ، وما كان في عهد كثير من سلاطينها من صناعات وفنون وأدب وفتوحات وتسامح في الدين ، ويقارن بين ما «يلقاه المسلمون في الهند اليوم من ضروب التقتيل والتشريد والتعذيب والنهب

والسلب وتخريب الممتلكات ، في عهد الأمم المتحدة ، وحقوق الانسان ، وفلسفة غاندي المسالمة ، ودعوة نهرو العلمانية وبين ما كان عليه الوضع في زمن السلطان زين العابدين الكشميري (٨٢٣ - ٨٧٤ هـ = ١٤٢٠ - ١٤٧٠ م) الذي أنقذ تمثالاً ذهبياً لبوذا .. والذي أصدر قانوناً خاصاً لمعاملة الهندوكيين يقتضي شريعتهم ، وحرم تعصب رجال الأديان المختلفة على بعضهم ... وقد بلغ به التسامح مع الهندوكيين الى حد أنه لم يستحسن قيام المسلمين بنحر البقر ، ولقاء مامنح الهندوكيين من امتيازات اكتفى بان يتعهد له الرؤساء الروحانيون بعدم تجاوز حدود ما ورد في كتبهم المقدسة . وعاش المسلمون والهندوكيون في ذلك العصر سوية متحابين ، واذا ماحصل بينهما خلاف فان السلطان اعتاد أن يجمع مجلساً برياسته مؤلفاً من ممثلي الطرفين فينهي الخلاف بطريقة ودية مسالمة وهذا ما لم يتوصل اليه المستر نهرو بدليل حوادث اضطهاد المسلمين التي تنقلها الينا البرقيات كل يوم .. »

ويجيء بعد ذلك فصل عنوانه « كشمير في عهد المغول » من سنة ١٥٨٦ — ١٧٥٢ م . ثم « كشمير في عهد الأفغانيين » من ١٧٥٢ — ١٨١٩ م . ثم « كشمير في عهد الاحتلال البريطاني » فيصف كيف احتال الانكليز باسم « شركة الهند الشرقية » فحصلوا على امتيازات من أباطرة المغول لتأسيس مستوطنات تجارية في مختلف موانئ الهند . وفي سنة ١٦٠١ أصدرت الملكة اليزابيث ملكة انكلترة مرسوماً ملكياً جاء فيه : « ان لشركة تجار لندن التي تتعامل مع الهند الشرقية أن تصالح وأن تحارب أي امير غير مسيحي » وقد منح هذا المرسوم الشركة حقاً تمارسه عن الحكومة البريطانية في توسيع نطاق استعمارها بالقوة تارة ، وبالصلح تارة أخرى ... وبعد ان ضعفت سيطرة الامبراطورية المغولية .. وبدأت تظهر رغبة الانفصال والاستقلال في كل جهة ، وأخذ الحكام من ملوك

وأمراء يحاربون بعضهم بعضاً و يستنجدون بالمستعمرين الأوربيين .. أخذت الشركة تحتل الهند شيئاً فشيئاً ولاية بعد ولاية ...» .

ويصف المؤلف ما فعل الانكليز بالمسلمين فيقول : «وقام البريطانيون خلال قرن من احتلالهم بنغال («كانت تحكم حكماً اسلامياً») بالتعاون مع الهنود في سبيل قتل الروح الاسلامية والقضاء على كيان المسلمين .. فأحلوا الهندوكيين محل المسلمين في الأرض . وسدت في وجوه المسلمين أبواب التوظف في الحكومة والجيش . ويعزز قوله هذا ، بقول السير وليام هنتر من موظفي الانكليز المدنيين في بنغال في كتابه «مسلمو الهند» : «يندر وجود دائرة في كلكوته يأمل المسلم أن يجد فيها مجال الاستخدام في أي عمل أكثر من أن يكون بواباً او مراسلاً أو مالئ محابر أو مصلح أقلام» . ويقول ايج . مي . بون في كتابه «المحمدية في الهند» : «لقد أصبحت معرفتهم ــ يريد المسلمين ــ بالأمور الشرعية باطلة لأنه أبطل العمل بالتعاليم الاسلامية ، وبعد ان كانت المحاماة محتكرة لهم في المحاكم العليا حتى سنة ١٨٥١ نرى انه لم يسمح بالمحاماة بين ١٨٥٢ — ١٨٦٩ لغير مسلم واحد من ٢٤٠ سمح لهم بالمحاماة في هذه المدة» وأبطل تدريس العربية والفارسية في المدارس . وفي سنة ١٨٧٢ لم يكن بين ٣٠٠ طالب من طلاب كلية «هوكلي» التي كانت تديرها شركة الهند الشرقية بأموال أوقاف المسلمين سوى ثلاثة من المسلمين .

ويعود المؤلف الى كتاب السير وليام هنتر فينقل عنه ما يأتي :

«لا فائدة من صم آذاننا إزاء حقيقة ما يتهمنا به المسلمون ، وهذه التهمة هي من أخطر ما يوجه ضد أي حكومة ، انهم يتهموننا بسدنا جميع الأبواب الشريفة بوجوه مرشدي دينهم ، انهم يتهموننا بايجاد أسلوب للتعليم يحرم مجتمعهم من التعليم ، ويتركهم في حالة الاستجداء المزري ، انهم يتهموننا بالتسبب في

نكبة ألوف الأسر بإلغاء حكامهم الشرعيين الذين كانوا يقومون بعقد النكاح ، انهم يتهموننا بتحطيمهم بتكراننا عليهم وسائل أداء فروض دينهم . وانهم يتهموننا فوق كل ذلك بالاخلال بأسس دينهم بمصادرتنا بمقياس واسع أموالهم المرصدة لأغراض التعليم . خلاصة القول : ان مسلمي الهند يشكون من الحكومة البريطانية عدم عطفها عليهم ، ويشكون فقدها الشهامة ، ويشكون سوء تصرفها بأموالهم ، ويشكون مساوئ تكررت مئة سنة » .

ويخلص من هذا الى التحدث عن « المؤتمر الهندي » و « عصبة عموم مسلمي الهند » ثم الى ما كان من قيام دولتي الهند والباكستان سنة ١٩٤٧ ، ثم ما قام بينهما من تنازع على كشمير ، وما لاقت كشمير من مظالم الهنود ، مما حمل المؤلف على ان أصدر هذا الكتاب ، وهو صرخة موجعة صادرة من أعماق نفسه . ولكن من يسمع ؟ ! . .

وبحق سمّى المؤلف كتابه محنة في الفردوس . وقد وثقه بالتقريرات الرسمية ، والأسانيد الحكومية . فله الشكر على جهوده الصادقة في خدمة الحق والعدل ، ووطنه المضطهد ، واخوانه المظلومين .



خزائن الكتب العربية في الخافقين

بقلم الفيكونت فيليب الطرازي

قلَّ في الأمة العربية عامة ، وفي لبنان خاصة من يُعنى بالكتب وخزائنها ، وبالطباعة والصحافة ومقوماتهـا ، عناية الأستاذ المؤلف الفيكونت طرازي ، فقد وقف حياته وجهوده ومساعيه ، وكثيراً من ماله على هذه الشؤون الأدبية والعلمية . وكان من آثاره الغر ، وأياديه البيض على لبنان أن أنشأ في بيروت دار الكتب اللبنانية ، فجاءت مفخرة من مفاخر الوطن ، وكان عمله عملاً جباراً عجزت عنه الحكومة اللبنانية بموازنتها ، فقام به رجل فرد .

والكتاب الذي نصفه هو المجلد الرابع من المجموعة القيمة التي أخرجها الفيكونت للعرب وللبنان . طبعت هذا الجزء اللجنة التي أُلفت لتكريم المؤلف . وفي هذا الكتاب وصف رائع دقيق لدار الكتب ، ولعمل منشئها ، ولرحلاته الى الشرق واوروبا ، في شراء الكتب العربية والأجنبية ، وفي استهدائها وجمعها وتصنيفها . وما لاقاه في سبيل ذلك كله من متاعب ومصاعب ، وكيف قوبل عمله بنكران الجميل .

وهذا الكتاب ، على ما فيه من اسهاب وتفصيل ، يقصر عن ان يعطيك الصورة الحقيقة لعمل الفيكونت ومسعاه ، وانما تعطيك هذه الصورة الحقيقة الحية اذا أنت زرت هذه الدار نفسها ، ورأيت ما فيها من بدائع ونفائس ، كانت بيروت ، لولاها فاقدة أجمل صورة من صور الأدب والعلم والمعرفة .

وفي الكتاب اشارات الى أشياء أساءت الى المؤلف ، وقد أكثر من ذكرها اكثاراً وددنا لو أنه اغضى عنه وترفع ، ومن أُوتي ما أُوتيه الفيكونت من دأب على العمل واخلاص فيه ، فنعمة من الله عليه ، وكل ذي نعمة محسود . فلا ضير على صديقنا أن يحسد ، وقديماً كان في الناس الحسد . وكثيراً ما غمط فضل أصحاب الفضل ، والفيكونت بعلمه وادبه منهم .



ثقافة الهند

مجلة عربية تقع في مئة وستين صفحة جيدة الطبع والورق « يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية اربع مرات في السنة » وهذا هو الجزء الثاني من المجلد الأول ، ومن موضوعاته : « ثقافة الهند وجهاتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية » . « شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن » . « العلاقات التجارية بين العرب والهند » . « العرب المسلمون الذين قدموا الى الهند في القرن الأول » . « تقديم الكتب » . « اخبار الهند الثقافية » .

وصُدِّر هذا الجزء بحديث عن الاجتماع الثاني الذي عقده « مجلس الهند للروابط الثقافية » وعن هدف المجلس ودستوره ، والقرارات التي اتخذها . وعما أُلقي في الاجتماع من كلمات . وقد جاء في كلمة وزير « شيلي » قوله : « .. ان ثقافة بلاده هي في الواقع مزيج من الثقافة العربية الاسلامية التي اتى بها المهاجرون الاسبان من شيلي ، ومن الثقافة الأوربية » .

ويقول مولانا السيد سليمان الندوي في جملة ما يقوله في حديثه عن « العلاقات التجارية بين العرب والهند » : .. وهكذا يقول « آرتي ميدوس » الذي عاش قبل مئة سنة من الميلاد : « ان اهل سبا يشترون البضائع التجارية من جيرانهم ، ويبيعونها لغيرهم ، فتصل من يد الى يد حتى الشام وبلاد الجزيرة » .

وكذلك يتقرر من شهادات اخرى أن تجارة العرب لم تقف بتاتًا في ذلك العصر بل ظلت حية بجنب التجارة اليونانية ... وان الطريق بين الهند واوربه مازال ولا يزال ذا شأن كبير . وموجبًا لانقلابات تاريخية خطيرة . كان هذا الطريق بيد العرب ، ثم استولى عليه اليونان عند احتلالهم مصر بنحو ثلاث مئة سنة قبل الميلاد . ولما ظهر الاسلام بعد ستة قرون للمسيح وعلا نجم العرب ، اصبحت يدهم العليا من مصر الى اسبانيا ، وامتلكوا البحر المتوسط ، واستولوا على جزائره المهمة ككريت وقبرص وغيرهما .. » اه .

يبين هذا الذي نقلناه ، قيمة هذه المجلة موضوعًا وأسلوبًا ، اخذ الله بيد القائمين عليها لتتم رسالتها الثقافية .

مباحث في فن الطبخ عند العرب

للسيد م . رودنسون

Recherches sur les documents arabes

Par M. Rodinson

هذه رسالة بالفرنسية تقع في قرابة ستين صفحة من القطع الكبير . مستحصلة من مجلة الدراسات الاسلامية سنة ١٩٤٩ .

عثر السيد رودنسون على نسخ من كتاب « الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب » تأليف جمال الدين يحيى بن عبد العظيم المشهور بالجزار (المتوفى سنة ٦٦٩ هـ ١٢٧٠ م أو سنة ٦٧٩ هـ ١٢٨١ م) وهو كتاب يصف فيه صاحبه الطيب والطعام والمشروب . أو كما قال في مقدمة كتابه : « لما كان معظم اللذات الدنيوية والأخروية في تناول شهي المآكل والمشارب ، وكان تطييب الثياب والبدن مما يقرّب الى الأحباب والحبايب ، واقتضى ذلك سلوك تطييبها للآنس والآكل والشارب ... فلهذا جمعت هذا الكتاب وسميته (كتاب الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب) . ولم أضع فيه شيئاً الأ بعد ان ركبته مراراً ، وتناولته مدراراً ، واستخلصته لنفسي ، وباشرته بذوقي ولمدي .. » .

وقد صدّر السيد رودنسون هذا الكتاب بفصل ذكر فيه أدب الطبخ عند العرب وآداب الطعام ، ومن ألّف فيه من المتقدمين والمتأخرين ، ووصف كتبهم ، ثم نقل كتاب الجزار بما فيه من وصف الطيب والشراب والطعام واعداده وتحضيره . ثم علق على ذلك بفصل ثالث فيه وصف للطعام الأميري (أو الملوكي بلغة اليوم) الذي عرفه العرب في القرنين السادس والسابع للهجرة .

فنشكر للمترجم المؤلف جهده الذي بذله في اخراج هذا السفر النفيس ، وتعريف الجمهور بناحية من نواحي الحياة الاجتماعية عند العرب .

أمواج الروح

لرفائيل بابواسحق

كتيب يقع في ما يزيد على مئة صفحة . وهو مجموعة بحوث « أدبية اجتماعية أخلاقية » أملتها روح وطنية . لا تعترف للغرب بتفوق طبيعي على الشرق . وإنما هي وسائل حرمها الشرقي ، ومتّع بها الغربي : « فالغربي متقدم لأنه ترعرع في جو طلق وعاش ليكون حراً . وأما الشرقي فمتأخر لأنه ولد في جو مقيد وعاش ليكون خاضعاً طائعاً » وعبارة الأستاذ بابواسحق سهلة سائغة .

فنشكر للمؤلف هذه الروح التي بعثت بهذه الأمواج الساخطة . فلعل في مثل هذه الصيحات ما يحرك الهمم . ويدفع الى التحرر والعمل .

عارف النكدي



دراسة الأغاني

تأليف الأستاذ شفيق جبري — ٣٢٧ صفحة من القطع المتوسط
مطبعة الجامعة السورية ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م)

للناقد الفرنسي اميل فاكيه تفريق شهير بين تاريخ الأدب والنقد الأدبي . فمؤرخ الأدب — بحسب هذا التفريق — يعمد الى ما يتصدى لدراسته من حوادث ، فيأخذ في معالجته بفكر « موضوعي » مجرد عن العاطفة الشخصية . وبعد ان يكشف عن العوامل في نشأة أثر من الآثار ، ويحدد التأثير الفاعلة في تطور تيار من التيارات ، ينتهي في حق ما يدرسه الى تقرير قوانين تحتذي — في ثباتها وعموميتها — قوانين العلم . على حين أن الناقد الأدبي يضرب صفحاً عن كل ذلك ، فلا يعبأ إلا بالانطباع « الذاتي » الذي يتركه في نفسه

أثر من آثار الأدب • ولذلك بينما يضاف رجال مثل تين ، وبرونتيير ، وسانت بوف الى الزمرة الأولى لأن دراستهم ممسوحة بجفوة العلماء ؛ نرى رجالاً آخرين مثل جول لوميتر ، وأناتول فرانس ، (وربما اميل هنريو ، وروبير كامب ، وآندره بيلسي ، وجان بلانزا من المعاصرين) أدخل في الزمرة الثانية لكونهم أدنى الى طراوة الأدب وغضارة الفنون الرفيعة •

والأستاذ العميد شفيق جبري من أساطين من يمثل هذا الاتجاه الأخير في الأمة العربية • ولئن كان المعروف أنه قلما اجتمع الشعر والنقد لفحل واحد ، فمعجزته أنه خرج على هذه القاعدة ، فكان الناقد الذواقة الكبير على الرغم من كونه الشاعر الملهم الكبير • شهدت لذلك دراساته السابقة لأبي الطيب «المتنبي» ولأبي عثمان «الجاحظ» ويشهد له ما نحن بسبيل التعليق عليه من «دراسة الأغاني» •

تتجلى النزعة الذاتية في هذه الدراسة من خلال الأحكام الطريفة التي يصدرها بصدد واحد واحد مما يخوض فيه من شؤون • وأنت لا تكاد تمضي مع الأستاذ في تفحص ما يجذبك الى استعراضه معه من امر ، حتى تأنس أذنك ويستريح قلبك الى ما يطالعك به من شيق الرأي البارع • ونحب في هذا التحليل السريع أن نلقي نظرة على جملة من هذه الآراء التي تستهوينا في جانبها الشخصي المحض •

شرع الأستاذ جبري في بيان رأي المتقدمين في «الأغاني» فأورد آراء للصاحب بن عباد ، وعضد الدولة ، والوزير المهلبي ، وياقوت الحموي • ولكنه بدلاً عن ان يجتزئ للقارئ بتقرير حادثة ايجابية جافة مؤداها ان الكتاب عندهم «مصدر كبير من مصادر الأدب» ، أو «ديوان العرب» كما يقول ابن خلدون ، لم يشأ أن يأخذ في موضوع آخر قبل أن يلتفت الى ملاحظة لم يسبقه أحد اليها فيما نعلم ، وهي «ان الكتاب مصدر لتصوير حياة بجذافيرها» •

فالأستاذ جبري بعد ان استخرج من أقوال المتقدمين جملة رأيهم ، لم يهمه ان يحلل هذه الحادثة ، فيبحث عن عواملها ، ويبين السر في اكتفاء أئمة الأدب بهذا القدر من التقدير ؛ ولا أن يخوض في نتائجها وارتكاساتها على دنيا أدبنا القومي رابطاً كل ذلك بقانون عام يحصر خصائص الذوق العربي ؛ بل ان الذي أثار اهتمام الأستاذ انما هو اجتلاء مظاهر تلك الحياة الزاخرة ، والدلالة على ألوانها الزاهية وصورها الآخاذة على نحو ما فعلت في نفسه . فصنيعه أشبه بصنيع المصور المفنّ الذي ينتزع من الطبيعة ألواناً شجية ، فيأخذ في مزج هذه الألوان وفاق نواميس حسه المرهف ، حتى تخرُجَ منها على الناس في ألواح رائعة لا يعنيه منها أن تنطبق على الأصل (فهذا شأن الآلة المصورة) بل أن تحمل الى المتأمل تلك الرعشة النابضة التي هي أثر من آثار الانفعال الشخصي الخالص .

على هذا النحو شرع الأستاذ في دراسة مقدمة الكتاب ، فعقد لذلك فصلاً مستقلاً لكي يتعرف الى الخطة التي ألف على حسبها . الا أنه في دراسته تلك لم يبالِ تصريح ابي الفرج بان غرضه جمع الأغاني العربية قديمها وحديثها ، ونسبة كل منها الى قائل شعره وصانع لحنه ، وطريقته من ايقاعه واصبعه ... على شرحٍ لذلك وتلخيص ، وتفسيرٍ للمشكل من غريبه وما لا غنى عن علمه من علل اعرابه وأعاريض شعره التي توصل الى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه ؛ ولا حفل الأستاذ بطبيعة مادة الكتاب من جمع أخبار العرب المأثورة ، وأيامهم المشهورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام ؛ ولا وقف عند صحة أخباره وترتيب طبقات الشعراء والمغنين فيه ، بل انه بادر الى مطالعتنا بما يتملكه من مشاعر تلقاء صنيع ابي الفرج هذا فقال : «نضجر في كتاب الأغاني في عصرنا هذا من الشيء الذي يستأنس به صاحبه . نحن نرى أن الكتاب لو رتبت فيه طبقات الشعراء والمغنين لكان اشد مناسبة لروح العصر ، لأن أسلوب

التأليف قد اختلف عما كان عليه في العصور المتقدمة . وما نجهد هذا المجهود في قراءة كتاب الأغاني ودراسته الا للوقوف على هذه الأشياء المبعثرة في أضعافه حتى نستطيع ان نؤلف بين الأخبار المتشاكلة . فاذا وجدنا الى هذا التأليف سبيلاً ، أحطنا بأنواع الحياة التي صوّرها ابو الفرج . فلو صنف كتابه أبواباً ، لتمت لنا هذه الاحاطة دون شيء من التعب » . وذهاباً من هذا ، مضى الأستاذ يركّب تصاوير متصلة باهرة (من نوع الـ Fresque) عن العصر الأموي والعباسي . فقد تناولت تصاويره تلك رجال هذين العصرين بهيئاتهم ، وملابسهم ، ومآكلهم ، ومشاربهم ، ومثلت على هيئة بارزة قصور الخلفاء بما فيها من جوار ، وقيان ، ومغنيات ، وبما يجري فيها من أعياد ولهو وغناء وترف وتبذير . كما ألقت أضواء وظلالاً على ملاهي العامة ، وأنديتها ، وكتاتيبها ، ومطاعمها ، وحاناتها ، وخاناتها ، وقصّاصيها ، ومصوريها . كل ذلك ضمن جو حي يلف تلك الحياة من مجامع أطرافها فتراه يمرض الى عادات القوم وتقاليدهم ، في أفراحهم وأتراحهم ، وجدهم ، وهزلهم ، وحريتهم ، وعبوديتهم . ولا يغفل عن دلالتنا على حقيقة حياتهم في عصرهم ، حتى نراها بأعيننا ، ونسمعها بآذاننا ، ونلمسها بأيدينا .

ومما تجلى به هذه النزعة الذاتية التي نتكلم عنها عند الأستاذ الناقد ، الأسلوب الذي جرى عليه في انكار قضيتين تتصلان بشخصية ابي الفرج الأصفهاني . فقد كان المعروف عن مؤلف « الأغاني » — وهو صاحب « مقاتل الطالبيين » — أنه متشيع[1] وربما نُسبت اليه الشعوبية . ولكن الأستاذ العميد لا يعنيه ان يغوص على أصل هذين الرأيين ، ولا ان يتعقب مصادرهما ، ويلتمس التعاليل لاستفاضتها .

(١) قال الأستاذ الرئيس كرد علي : « ما رأيت مؤلفاً من القدامى إلا قال بتشيعه ». (راجع حاشية الصفحة ١٦١ من الطبعة الأولى لكتابه « كنوز الأجداد ») . راجع كذلك ابن شاكر في « عيون التواريخ » ، وابن الأثير في كتاب « الكامل » .

ولهذا رجع الانصراف عن كل أولئك الى شأن اخطر في عينيه : أعني مسألة صحتها او بطلانها • والأمر البديهي ان السبيل السوية الى القطع في هذا هو استشارة النصوص واستخراج ما تنطوي عليه • بيد ان البراعة كل البراعة قائمة في تخير تلك النصوص ومعرفة قراءة ما بين اسطرها • ولقد دل الأستاذ العميد ـ فيما وفق للاتيان به من ذلك ، وفيما كشف عنه من أسرار ما اهتدى اليه من ثنايا الروايات ـ على مبلغ طاقته بالتّفتنة الذكية التي طالما فاتت من جمد عند حرفية النصوص من مؤرخي الأدب المدرسيين •

وبعد ، فان هنالك قضية يتوقف على حلها تحديد حقيقة النهج الذي اتخذه استاذنا صاحب الدراسة • ونظن ان الشكل الذي جنح اليه في معالجة تلك القضية ينهض شاهداً آخر على ما زعمنا نسبته اليه من طريقة « شخصية ذاتية » • ذلك ان القارئ العادي لكتاب الأغاني لا يرى للمؤلف وجوداً الا من خلال رواياته : فهو ينقل عن المهلبي ، وعن الأخفش ، وعن المدائني ، وغيرهم من الرواة • ولعل هذا ما دفع بعض أجلة الأساتذة الى القول بأن ابا الفرج « حافظة » وأنه « جماعة » قل أن يأتي بشيء من عنده » • فاذا كان واقع الأمر هكذا ، ارتفع البحث عن « لغة صاحب الأغاني وفنه » ، وعاد هذا الباب غير وارد من حيث الأصل • ومعنى هذا انك ان كنت كذلك القارئ العادي ، لم يصح عندك التصدي لموضوع الحكم على لغة الأغاني من اساسه ـ لأنها لغة غير متجانسة اجتمعت من كلام الرواة ومن كلام من رووا لهم أو عنهم ـ وفجأتك الدهشة حينئذ من تقويم الأستاذ العميد لخصائص تلك اللغة من الناحية الفنية ، على الرغم مما يلازم هذا التقويم من احكام تقارب العصمة سداداً وسلامة ذوق • غير ان الأستاذ الكبير ـ وهذا ما يصور أبلغ تصوير مبلغ استقلاله في الرأي ـ فارق السالكين جميعاً في الجادة التي سلكوها • فهو حين تكلم على انشاء الأخبار عند ابي الفرج ،

نى أن يكون قد درج على ذكرها بألفاظها — اللهم الا في المواطن التي نبه فيها ان اللفظ لصاحب الرواية ، او انه نسخ من كتب فلان او فلان — هذا مع تأكيده حرص الاصفهاني على الضبط والصدق والأمانة في ايراد الأخبار على حقيقتها . فأنت ترى ان الأستاذ الناقد انما تلطف لتخريج المعضلة على مثل هذا الوجه ، فتهيأ له — بسائق ما فعل — الخوض في موضوع كانت تستحيل معالجته لو انه اصطنع طريقة غير الطريقة الذاتية .

وتلك في رأينا جرثومة الابتكار والاصالة في «دراسة الأغاني» .

الدكتور حكمة هاشم

أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني

تأليف محمد عبد الجواد الأصمعي

طبعته ونشرته دار المعارف بمصر

تكلم المؤلف في مقدمة كتابه على بدء ظهور كتاب الأغاني في عالم المطبوعات وأتى على ذكر نسخه المختلفة ثم قسم كتابه أقساماً وجعله أبواباً .

في الباب الأول أشار الى الحياة العلمية والأدبية من عصر الإسلام الى عصر أبي الفرج الأصبهاني وقد تضمن هذا الباب تسعة فصول .

وفي الباب الثاني ذكر أئمة اللغة والأدب المعاصرين لأبي الفرج وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول .

وفي الباب الثالث أحصى آراء القدماء والمحدثين في أبي الفرج وقد احتوى هذا الباب فصلين .

وفي الباب الرابع صوّر حياة أبي الفرج وقد جمع هذا الباب اثني عشر فصلاً .

وفي الباب الخامس دوّن آراء القدماء والمحدثين في كتاب الأغاني وفي هذا الباب فصلان .

وفي الباب السادس أشار الى تصوير كتاب الأغاني لبعض مظاهر الحياة الأدبية والاجتماعية وفيه ستة فصول ٠

وفي الباب السابع بيّن شأن كتاب الأغاني في دراسة اللغة والأدب العربي وفيه ثلاثة فصول ٠

ثم ختم المؤلف هذه الأبواب كلها بفهرس اسماء المراجع التي اعتمد عليها في تأليف كتابه وفهرس موضوعات الكتاب ٠ ٠

***

أبرز شيء في هذا الموضوع ، موضوع كتاب الأغاني أن عصرنا قد شرع في تقدره حق قدره وقد يختلف المؤلفون في النظر الى هذا الكتاب الجليل وفي تعريف قيمته العظيمة فمنهم من ينفض الكتاب نفضاً فيغوص على أسراره وبواطنه فيكشف الغطاء عن هذه الأسرار والبواطن حتى يعرف القارئ ما هو كتاب الأغاني وما هي قيمته وحتى تتصور له حياة الدولتين الأموية والعباسية في أجلى مظاهرها ومنهم من ينبش المخطوطات والمطبوعات من مدافنها حتى يهتدي الى آراء القدماء والمحدثين في أبي الفرج الأصبهاني اولاً وفي كتابه ثانياً فيلقي الضياء على هذا الكتاب ويزيد في تعريفه وقد يكون المؤلف الفاضل من الفريق الثاني على انه اراد ان تكون له آثار خاصة في هذا التعريف فتكلم على أشياء متفرقة من مذهب أبي الفرج وأسلوبه في النقد الأدبي ثم تكلم على بعض نواحيه الخلقية فذكر مساوئ هذه النواحي ولست أدري لماذا أغفل سامحه الله الاشارة الى بعض محاسن هذه النواحي التي يمكن استخراجها من كتاب الأغاني نفسه من ذلك انصاف أخلاق أبي الفرج في النقد على نحو ما تجلت هذه الأخلاق في الكلام على أبي تمام والأحوص وفي الدفاع عن ابن المعتز ٠

ومهما يختلف الكتّاب في الكلام على كتاب الأغاني وسواء أكان تأليفهم من باب جمع المعلومات حتى يلقوا ضياء على هذا الكتاب أم كان تأليفهم من باب الانفراد بآرائهم الخاصة وآثارهم الشخصية فما ينبغي لنا أن نغفل عن أمر واحد وهو أن كتاب الأغاني قد دلنا على حقيقة الحياة في دولتي بني أمية وبني العباس حتى رأيناها بأعيننا وسمعناها بآذاننا ولمسناها بأيدينا .

شرح ديوان الحماسة

لأبي علي بن محمد بن الحسن المرزوقي (٤٢١)

نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون (القسم الأول)

ذكر الأستاذ أحمد أمين في تصدير هذا الشرح رأيه في أبي تمام من حيث مختاراته وفي المرزوقي من حيث شرحه ، أما أبو تمام فقد يقرأ القصيدة الطويلة فيعجبه منها معنى أو معنيان فيختارهما من بين القصيدة الطويلة واذا لم يكن بينهما رابط ربط بينهما واذا كانت هنالك حكمة نابية غيّرها بخير منها فكان مختاراً ومنقحاً في وقت واحد ، وكان له أيضاً فضل تبويب الشعر ، وأما المرزوقي فقد وفّى الكلام حقه لغةً ونحواً وصرفاً ومعنى ونقداً فهو إمام عظيم لا يهرب في الشرح من المشاكل ولكنه يتصدّى لها فالتبريزي باعه في النحو واللغة أطول منه في الأدب والنقد وشرح المرزوقي يتمم نقص شرح التبريزي وفي رأي الأستاذ أحمد أمين ان مقدمة المرزوقي في النقد لا مثيل لها في اللغة العربية .

وفصّل الأستاذ عبد السلام هارون في تقديم شرح المرزوقي الكلام على هذا الشرح فأتى على ذكر كتب الاختيار ثم بيّن السبب الذي من أجله سمي ديوان الحماسة ثم أشار الى تاريخ الحماسة ثم وضّح عمل أبي تمام في الحماسة ثم ذكر زيادات الحماسة وشرّاح الحماسة ، ثم وازن بين شرحي المرزوقي والتبريزي فوفّى

هذه الموازنة حقها ثم ذكر ترجمة المرزوقي وأشار الى النسخ المعتمد عليها في تحقيق الشرح .

وصاحب الفضل الأول في اخراج هذا الشرح انما هو الأستاذ أحمد أمين فهو الذي اقترح أن ينشر شرح المرزوقي وأقرّ اخراجه في لجنة الترجمة والتأليف .

***

لا شك في ان شرح النصوص في عصرنا هذا قد اختلف عما كان عليه في العصور المتقدمة ففي هذا العصر يعتنون في الشرح قبل كل شيء بترتيب الأفكار والحجج وتفاصيل الوصف وما شابه ذلك ثم يرجعون الى النص فيستخرجون منه عبارةً عبارة ويشرحونها وفي هذا الشرح تظهر خصائص كل أستاذ من المفسرين واحد يغلب عليه النحو وواحد يغلب عليه البديع وهذا يهتم بالأفكار والعواطف وهذا يهتم بالأسلوب والفن ولهذا يجدر بالطلاب أن يسمعوا جملة مفسرين واذا فسروا النص من حيث اللغة انصرفوا الى البحث عن ألفاظه فنظروا : هل هي حقيقية أم مجازية وعلى هذا الشكل يدرّبون الطلاب على وزن الأسماء والصفات والأفعال والظروف وتقديرها أما اذا فسروا النص من حيث الأسلوب فانهم يروّضون الطلاّب على تحليل أنواع البديع واذا فرغوا من هذا كله علموهم كيف يستخرجون من النص نتيجة في النقد أو الفلسفة أو الأخلاق .

هذه هي بوجه التقريب قواعد الشرح والتفسير في هذا العصر على أن شرح المتقدمين لا يخلو من كثير من الفوائد فان الألفاظ التي تفسرها المعاجم لا توضح في أكثر أوقاتها معانيها كل التوضيح فاللفظ لا يفسر الاّ في موضعه من الكلام والعبارة فلكل لفظ معنى معيّن بحسب موضعه أو بحسب ذهن مستعمله أو بحسب عصر استعماله وهذا النوع من شرح المتقدمين لا يبعد عن الدلالة على خوافي المعاني فضلاً عن دلالته على معاني الألفاظ في مواضع استعمالها فقد كنت أعتقد لما كنت أستشهد بقول بعض شعراء بلعنبر :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

ان الشاعر يستصغر قومه ويستعظم بني مازن الا ان المرزوقي قد ردني الى الصواب بقوله : وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي الى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه ومهتضميه وتهييجهم وهزهم لا ذمهم ثم أتى بالشواهد على ذلك من بعض شعر العرب .

ومثل هذه الدقائق كثير في شرحه على ان الاشارة الى خصائص شرحه تمت في كلمتي التصدير والتقديم في أول الشرح والخلاصة ان الرجوع الى شرح المرزوقي وأضرابه انما هو السبيل الأرشد الى فهم اللغة والاهتداء الى أسرار الألفاظ ومعانيها .

ردّ العامي الى الفصيح

لمؤلفه أحمد رضا العاملي

الناشر : دار العرفان في صيدا

جمع الأستاذ أحمد رضا العاملي أكثر من ألف وأربعمائة مادة عامية فردّها الى اصلها الصحيح او الى ما تحتمله من الوجوه وأتى بمرادفاتها من الفصيح .

مرّة يرد اللفظ العامي الى اصله الفصيح مبيناً رأيه الخاص في المعنيين : العامي والفصيح ، من ذلك تدوينه لمادة الخطرة فهو يقول في هذه المادة : خطرة من الخطرات ذهبت الى المكان الفلاني ، أي مرة من المرات ، وذهبت اليه خطرة واحدة ، وتطلق الخطرة في اللغة على الحين وفي مجاز الأساس : مالقيته إلا خطرة وما ذكرته الا خطرة بعد خطرة تريد الأحيان ، وبعد أن يثبت معنى هذه المادة العامية ويرد هذا المعنى الى اصله الفصيح يقول : وهي من قولهم خطر ببالي وعلى بالي كذا .. اذا وقع في وهمك فالخطرة يراد بها مقدار خطرة أي الخطور على البال .

الا ان الذي نعرفه في دمشق ان الخطرة يراد بها ما جاء في مجاز الأساس وهو الحين فقولنا ذهبت اليه خطرة واحدة اي مرّة واحدة ، فمعنى المرة والحين في هذه المادة أقرب من معنى الخطور ٠

ومرّة يردّ المادة العامية الى أصلها الفصيح خائضاً في شيء من فلسفة اللغة ، من هذا النحو تدوينه لمادة الخربطة واللخبطة فهو يقول في هذه المادة : وهي امّا من باب خربق العمل اذا أفسده والقاف والطاء يتعاقبان في الفصيح مثل أحاط به العذاب وحاق به أو من : خبطت الإبل الحوض اذا هدمته بأخفافها وخربطة النظام إفساده أو من خبط الشيطان فلاناً وتخبّطه اذا مسّه بأذى فأفسده وخبله ٠

فالخربطة معناها الإفساد ولا شك في ذلك ولكن الذي نعرفه في دمشق ان الخربقة انما هي غير الخربطة فانا اذا قلنا : خربقها برأسه أردنا ألبسه اياها والخربقة نريد بها في بعض الأحيان الدخول في ما لا يعنينا فنقول : ايش هذه الخربقة ٠٠

هذه نماذج من ردّ الأستاذ طائفة من الألفاظ العامية الى أصلها الفصيح ولا شك في ان هذا العمل انما هو عمل جليل فان الذين عنوا بالتقاط الألفاظ العامية وردها الى الأصل الفصيح يدركون لذة هذا العمل فليس بقليل ان نلتقط من أفواه العامة لفظاً مرّ عليه الف سنة او اكثر وأن نذكر أصله الفصيح فقد يكون لهذا اللفظ من التأثير في الأذهان ما ليس لنظيره من الألفاظ فان مخاطبة الجماهير بلغتهم التي يدركونها أعمل في قلوبهم وعقولهم من مخاطبتهم بلغة لا يهتدون الى أسرارها وخصائصها فضلاً عن ان ردّ اللفظ العامي الى اصله الفصيح يمدّنا على ادراك الأطوار التي تمرّ بها اللغة فالألفاظ عادةً لا تثبت معانيها على حالٍ من الأحوال فقد تنتقل هذه المعاني من وجه الى وجه كما جرى ذلك في الألفاظ الاسلامية فقد أطلقت هذه الألفاظ في الاسلام على المعاني التي لا تعرفها في الجاهلية وقد تضيق معاني الألفاظ حيناً وتتسع حيناً أو تخص مرّة

وتعم مرة ، انا نمر في بعض أخبار الأغاني بأن اسحق الموصلي أصابه ضيق فخرج يتفرج مما هو فيه فالفرجة في الأصل معناها التفصّي من الهمّ ولكنها على الأيام نمت بعد ان كانت خاصة فهي تطلق في عصرنا على حضور كل مشهد من المشاهد التي تؤثر في الأنظار فنقول : خرجنا نتفرج على موكب الملك أو على جنازة فلان أو على مشنوق او مقتول او غير ذلك ، فهذه المادة انتقل معناها من وجه الى وجه دون ان تنقطع صلته بأصله .

فالذين يعنون بردّ الألفاظ العامية الى اصلها الفصيح لهم فضل كبير في اللغة فهم يدلون الناس على الأطوار التي دخلت فيها لغتهم فيشهدون ميلاد الفاظها وحياتها وموتها او انتقال معانيها من أفق الى أفق الآ انهم اذا استطاعوا ان ان يستعينوا في مباحثهم باستشهادات من بعض كلام العرب في القديم كان بحثهم أشدّ تأثيراً فان ذكر الألفاظ المجرّدة من مواضع استعمالها يكون عادةً جافاً اما اذا جئنا بلفظ عامي في عصرنا هذا ورددناه الى اصله الفصيح وجئنا بعبارة من عبارات الشعراء والكتاب المتقدمين استعمل فيها هذا اللفظ كان بحثنا أشدّ تأثيراً .

ومهما يكن الأمر فان عمل الأستاذ احمد رضا العاملي في ردّه العامي الى الأصل الفصيح انما هو عمل عظيم وسواء أوجد رجال اللغة لهم مجالاً في الاعتراض على بعض التحقيقات والتدقيقات في كتاب : « رد العامي الى الفصيح » ام لم يجدوا اننا لا ينبغي لنا ان نغفل عن التنويه بفضل الأستاذ في هذا الكتاب .

لكل زهرة عبير

شعر شفيق معلوف

ما أكثر الشعر وما أقله ، انك لتبحث عن شعر فيه خيال مصقول وحس دقيق وذوق سليم ولغة صالحة فلا تكاد تظفر به ، وانك لتمر بشعر فيه خيال جامح غير مهذب وحس كاذب وذوق ناب ولغة لا تدري ما هي فتجد من هذا الشعر شيئاً كثيراً .

واذا عجبت لشيء فاني أعجب لهذا الشعر الذي انتقل أصحابه من ديارنا الى ما وراء البحار فخالطوا أمماً لا عهد لهم بها ومازجوا آدابها وثقافاتها فاقتبسوا عنها وحافظوا على روح لغتهم وعبقريتها على قدر الإمكان فزادوا في ثروتنا وميراثنا ، من هذه الطبقة من الشعراء شفيق معلوف صاحب : « لكل زهرة عبير » ، فانك لتقرأ شعره فلا تحس فيه بما تحس في شعر غيره من غرابة الصور وتنافر الألفاظ وشذوذ الذوق حتى تسأل نفسك : ماذا تقرأ ، أتقرأ شعراً غربياً أم شرقياً أم تقرأ شعراً لا غربياً ولا شرقياً .

لقد ضرب شفيق معلوف بيمينه في كثير من مشاهد الحياة فقيد نظري في شعره هذا العطف منه على الانسانية ، فهو يعطف على الفلاح :

عرق الجهاد همى على عينيه فانطبقت جفونه

وهو يعطف على ساعي البريد فيقول له :

لو تعلم الناس يوماً أنها سلخت أيامها البيض من ليلاتك السود

وهو يعطف على الضعيف :

كن بسمة بفم الضعيف ولا تزد تالله أتراحاً على أتراحه

وليس بقليل أن يعرف الشاعر بنزعة خاصة في شعره كما عرف فحول شعرائنا المتقدمين بمثل هذه النزعة ، فالأستاذ شفيق معلوف انساني في شعره يرثي للضعيف

ويحنو على الفقير ويبكي على البائس ويستفظع الضاري ، واذا انتقل من هذه النزعة الى نزعات ثانية فانك لتمرّ في أضعاف شعره بصورٍ خفيفة الظل تقرأ شعرها فتأنس به وتشارك صاحبها في ذوقه وعاطفته ولا تنفر من لغة هذه الصور كما تنفر من لغة الذين يجمعون بين لفظتين بينهما من التباعد مثل ما بين الأرض والسماء ٠

قد يجوز أن يغرق شفيق معلوف في بعض الأحيان في التشبيهات فيخرج بها عن حدّها المألوف كما فعل في قوله :

بدا فهزَّ عقود الغيد مقدمُه   هزَّ النسيم لحبّات المناقيد

الضمير في بدا يرجع الى ساعي البريد ، لما بدا هذا الساعي هزَّ قدومه عقود الغيد كما يهزّ النسيم حبّات المناقيد ، لا شك في ان وجه الشبه بين العقود وبين الحبّات قريب جداً ولكن الذي هو غير قريب هزّ النسيم لحبّات المناقيد فقد جلت في كثير من الكروم وكان يهبّ النسيم عليَّ في أفيائها فلست أذكر ان هذا النسيم هزَّ حبات العناقيد في يوم من الأيام فقد كان يهز الورق أما الحبات فانها مخبوءة تحت الورق ، ثقيلة لا يقوى عليها النسيم ٠

وقد يخرج شفيق معلوف في قليل من شعره عن ذوق الموسيقى كما فعل في قوله :

طاء الثرى بثرثرن تحسبه   يطبع نجماً كلما مسَّ الثرى

وهو أمر من وطئه وأظن ان الأذن لا تستخف هذا الأمر ٠

على انا اذا جاوزنا هذه الهنات وصلنا في شعره الى شعر يشتمل على الوصف الدقيق الذي يدل على الشاعرية من هذا القبيل قصيدته في أطلال بعلبك :

لمن الدمى في ساحتيها نازلت   غيرَ الزمان ولن يكفَّ نزالها

خلدت بآلهة القرون كأنما   تلك القرون مررن وهيَ عيالها

وتدلُّ شامخة على أخلافها   فكأنما حقٌّ لها إدلالها

رصدتْ مخابئُ نبّيا فبكفها   مفتاحها وبكفنا أقفالها.

من الأدب

قدري العمر (الجزء الثاني)

بحث المؤلف في هذا الجزء مباحث تتصل بالابتكار من حيث طفولته والعمل له ومن حيث رياضة الحواس والبيان الحسن ، وتتصل بالعصر العباسي الثاني من حيث حياة العقل والسياسة والخلق والأدب فيه ثم تصدى للكلام على البحتري فأشار الى شخصيته وبيئته وأثرها في شعره ، والى شعره والوصف في هذا الشعر وتكلم على ابن الرومي فوصف شخصيته وشعره وتشخيصه وسحره الفني وعلى ابن المعتز فذكر شخصيته وشعره ايضاً .

هذه هي موضوعات الجزء الثاني من كتاب : « من الأدب » للأستاذ قدري العمر وقد جارى هذا الكتاب برامج مدارس الحكومة ليكون الطلاب في امتحاناتهم العامة اذا قرأوه على معرفة بالأدب مضافة الى ما يعرفون .

***

تختلف برامج المدارس التجهيزية في الأدب عن برامج كليات الآداب ففي الكليات يدرّب الأساتذة طلابهم على الاختصاص ويولدون فيهم طريقة البحث وفي المدارس التجهيزية يعلّم الأساتذة طلابهم طائفة من كل شيء : طائفة من شعر الشاعر او كتابة الكاتب او خطبة الخطيب او خصائص العصر فلا يحتاج طالب التجهيز الى الإلمام بكل شيء من نواحي الشاعر او الكاتب او الخطيب أو العصر وعلى هذا النحو درّب الأستاذ قدري العمر قرّاء كتابه على الاحاطة بطائفة من خصائص الشعراء الذين تكلم عليهم فشعر البحتري في رأيه قليل الغريب واضح لا تعقيد فيه خالص من الشركة والابهام قد عرف ما تطيق ألفاظه من الصور والمعاني فالأستاذ يدلّ القراء بعد هذه الأحكام على خصائص هذا الشعر على قدر ما يسمح به كتابه الصغير ولا يستطيع التوسع في هذا الموضوع لأن التوسع يجري عادةً في الكليات .

المهم في امثال هذه الكتب ترويض الطلاب على ذوق لذة الأفكار وارشادهم الى مواطن الحسن والقبح في الكلام وتدريبهم على الفطنة الى خصائص الألفاظ وأسرارها والى مطابقة الصفات للموصوفات وغير ذلك أو اذا كان الأستاذ يدل الطلاب على وصف في الشعر لزمه أن يدلهم على الحواس التي اشتركت في هذا الوصف على الترتيب الآتي : البصر والسمع والشم والذوق واللمس واذا كان كتاب الأستاذ قدري العمر لا يتسع للخوض في هذه الأمور من جميع نواحيها فهو لم يقصر في الخوض فيها من بعض النواحي والذي تفتقر اليه المدارس التجهيزية انما هي الكتب المشتملة على نصوص مفسَّرة بحسب روح هذا العصر لأن التفسير الحديث هو الذي يرشد الطلاب الى ما يحسن بهم معرفته من الأفكار وترتيبها والأسلوب وخصائصه واللغة وأسرارها .

شعر كعب بن زهير

نشر المجمع العلمي البولوني ديوان كعب بن زهير ، وقد طبع الديوان في قراقو سنة ١٩٥٠ م عمل مقدمة له باللغة الانكليزية « فريديريك كرنكو » أشار فيها الى مختلف النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها وذكر تواريخ هذه النسخ ثم دوّن بعد المقدمة ترجمة كعب ووضّح فيها بعض اشارات جاءت في شعره وقد أشرف على نشر الديوان « كوڤالسكي » .

أما شعر كعب بن زهير فقد شرحه ابو علي احمد بن جعفر الدينوري ، فكان مرّة يفسر بعض الألفاظ الغامضة ومرّة يوضح بعض الحوادث التي جاءت اشارة اليها في شعر كعب أو يذكر تاريخ بعض الأمثال التي اشتمل عليها هذا الشعر نظير المثل الآتي : « مواعيد عرقوب » .

شفيق جبري

الاسلام بين السنة والشيعة

لمؤلفيه الأستاذين هاشم للدني ومحمد علي الزعبي
أصدرته دار الانصاف ببيروت سنة ١٩٥٠ م في نحو ١٣٥ صفحة

كان الأجدر بالمؤلفين الفاضلين ان يسميا كتابهما باسم (الاسلام بين جميع اهل الأديان والمذاهب) الذين تضمهم الانسانية الى احضانها ـ لا الاسلام بين السنة والشيعة وحدهما: فالمؤلفان ـ في كتابهما هذا وكتب اخرى قالوا انهم الفاها وسيؤلفانها ـ يرميان الى رأي جديد بل مشروع جديد في التأليف بين ابناء البشر المختلفين في اديانهم ومذاهبهم . وعمدتهم في تحقيق هذه الفكرة الصالحة ان الأديان السماوية مبنية على الوحي الإلهي والوحي الإلهي وحدة لا تتجزأ : فأتباع هذا الوحي او بالأحرى أتباع الأديان السماوية ذوو وحدة دينية غير مجزأة في أصلها وروحها . والقائلون بخلاف هذا يجهلون اسرار دينهم وانما صرفوا عنه بالطفيليات وكأنهم يعنون بالطفيليات ما علق بنصوص الوحي الإلهي من آراء الرجال وزيوف نزعاتهم ـ وهؤلاء ليسوا من الشيوخ بل من اعشار الشيوخ وكأنهم يعنون بالاعشار ان الواحد من هؤلاء الواهمين غير الفاهمين عشر شيخ لا شيخ كامل كما نقول: من أشباه الرجال لا من الرجال .

واذا كان هذا رأي المؤلفين الفاضلين في معنى وحدة الأديان ووجوب السعي الى تحقيقها من طريق عقيدة وحدة الوحي الإلهي — سهل على القارئ فهم ما أراد المؤلفان من قولهما في اسم كتابهما انه (الاسلام بين السنة والشيعة) اللذين هما اخوان بحكم وحدة الوحي بل بحكم وحدة القرآن .

فأبناء الأديان والمذاهب وخاصة المسلمين والشيعة أبناء دين واحد فلا (طفيليات) يحسن ان تفسدهم ولا (اعشار شيوخ) ينبغي أن تفرق بينهم .

وكان التفريق يقع بينهم في اول الأمر بسبب دسائس (الروافض) والروافض

على رأي المؤلفين الفاضلين هم الفرق الاسلامية الهدامة التي تقول بحلول الألوهة في بعض البشر ورئيسهم عبد الله بن سبأ : ففرقته السبئية واخواتها التي خلفتها كالكيسانية والخرّمية هذه الفرق هي الرافضة الذين تعمدوا هدم الاسلام واندسوا في صفوف المسلمين وتجلببوا بجلباب (التشيع) تارة و (التسنّن) تارة أخرى وخفي امرهم على الفرقتين فكان من امر تنكر احداهما للأخرى ما كان .

فالموحدون (الدروز) والحصيبيّون والإماميون الجعفريون و (العلويون) أو (النصيرية) وما أشبهها من الفرق الاسلامية كلهم ممن اشتبه أمرهم بهؤلاء الروافض وليسوا منهم في شيء وانما هم مع اخوانهم السنة والشيعة بل واليهود والنصارى مسلمون أبناء دين سماوي واحد هو الاسلام .

أليس الاسلام دين ابراهيم وابراهيم ابو الجميع ؟ فهم اخوة موحدون وما عاد يخشى عليهم من التفرقة وذلك لفقدان (الروافض) الذين أهلكهم الله وأباد خضراءهم . فلنسع اذن الى لمّ الشعث ولنستعن بالدول العظمى !!! على تحقيق هذه الفكرة في التوحيد بين أهل الأديان .

هذه هي خلاصة ما في الكتاب ومؤلفاه الفاضلان لم يدعا باباً الا طرقاه ولا فجاً في تأييد رأيهما واثبات دعواهما الا سلكاه واستشهدا على ذلك بكل ما وقع اليهما من أقوال المتقدمين والمتأخرين والكتّاب المعاصرين . ولعمري ان دعوتهم هذه من أفضل الدعوات وأكرمها لولا أنها تخالف سنة الله التي أشار اليها في كتابه من ان مشيئته الأزلية اقتضت ان لا يكون البشر امة واحدة . وبمثل دعوتهم الصالحة هذه كان قام منذ خمسين سنة القس جبارة الدمشقي فدعا الى توحيد الأديان في سورية لكنه خاف صولة العهد الحميدي فلجأ الى مصر وأعلن دعوته . فكان مما قيل في مناقشته ان دعوتك اذا نجحت انما تنجح في جماعة من الناس تتكون بهم طائفة دينية أو مذهبية جديدة وتضطر هذه الطائفة في الدفاع عن نفسها الى مقاومة الفرق القديمة فيقوم الشقاق على قدم وساق (كما هو الحال اليوم

في قيام القاديانية ثم الداهشية وأضرابها) فتكون أيها القسّ قد ضاعفت العلة وزدت في الطين بلة . وهكذا يقال للمؤلفين الفاضلين في ما دعوا اليه .

وعندنا ان الرجاء في اصلاح البشر انما يكون من طريق نشر العلم العصري بينهم وعناية كل فرقة دينية باحسان تربية أبنائها على أساس ترك البغض لأبناء الملل الأخرى . وكان العلامة السيد محسن الأمين لاحظ ملاحظتنا هذه فقال في تقريظ الكتاب الذي نحن بصدده ما نصه : (وعندنا ان أفضل عمل يجهد في سبيله هو السعي لتأليف القلوب وازالة الأضغان بين أهل المذاهب أو تخفيفها اذ هي مبنية على أمور لا حقيقة لها) .

وأذكر بمناسبة هذه الدعوة التي أعلنها المؤلفان الفاضلان انني في سنة ١٩٠٥م اجتمعت في مصر بالبهائي الكبير (ميرزا ابو الفضل) وهو داعي الدعاة في المذهب البهائي البابي بل هو أعظم رجل فيهم بعد الباب والبهاء . فجرى بيني وبينه حديث ديني أدى بالطبع الى قيام فرقتهم ونشوء دعوتهم . فأظهرت حسن الظن بها وقلت انما هي فرقة اسلامية تدعو الى الاصلاح في دين الاسلام . فأجابني ممتعضاً (كلا نحن أبناء دين جديد) فأشحت بوجهي عنه من يومئذ وتحققت ان الدعوة الى توحيد الفرق عبث وانما الأجدى لنا ولهم دعوتهم الى مكارم الأخلاق وحضهم على الوئام والسلام .

ويظهر من ثنايا الكتاب انه ألف بعجلة زائدة فلم يتمكن المؤلفان من تهذيب عبارته وتنقية أغلاطه . ولئن شانه هذا فلقد زانه الصدق في النية والاخلاص في النصح .

المغربي

سلسلة مطبوعات دار العروبة في باكستان

كنت نشرت في مجلة المجمع العلمي كلمة عن النهضة المباركة لهذه الدار ، ووصفت ثلاث رسائل من مطبوعاتها النافعة ، وأعود الآن فأكتب عن ثلاث منها أيضاً ، فالأولى (ذات الرقم ٧) سميت (نظام الحياة في الإسلام) وهي مجموعة خمسة أحاديث ألقاها الأستاذ المودودي أمير الجماعة الإسلامية من إذاعة باكستان في لاهور ، وتكلم فيها عن النظام الخلقي ، والنظام السياسي ، والنظام الاجتماعي ، والنظام الاقتصادي ، والنظام الروحاني في الاسلام . وحاصل النظام الخلقي أنه إذا تعين ابتغاء وجه الرب ونيل رضاه غاية منشودة للإنسان ، ومرمى لمساعيه وجهوده ، فقد ظفرت الأخلاق البشرية بغاية سامية ، تمكنها من الارتقاء الخلقي الى ما لا نهاية له من معارج النمو والرقي ، والإسلام بما يثبت من عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر في قلب الإنسان ، كأنه يلقي في روعه حارساً من الشرطة الخلقية ، يدفعه الى العمل ، وهذا الحارس الداخلي هو الذي يشد عضد قانون الإسلام الخلقي ويجعله نافذاً بين الناس في حقيقة الأمر . وهو الذي يضمن هداية الفرد المسلم والأمة المسلمة الى سواء الطريق .

وخلاصة القول في النظام السياسي أن الجمهورية الغربية تستخدم قواها حسب ما شاءت وشاء هواها ؛ وأن الجمهورية الإسلامية عبودية لله ، مقيدة بحبائل شريعته ، لا تستعمل قواها ونفوذها الا في ضمن الحدود التي أقامها ، والذي يهم الإسلام في هذا المقام هو حرمة الدم البشري ، فإنه محرم في كل حين ، ولا يجوز سفكه إلا بالحق ، ولا يجوز في شريعته الاعتداء على النساء والأطفال والعجزة والمرضى والجرحى في أي حال .

والنظام الاجتماعي الذي سنه الإسلام هو أن الإنسان جزء وفرد في هذا المجتمع ، سواء أكان ينتسب الى السلالة السامية أو الآرية ، أم كان أسود اللون أو أبيضه ، أم كان ينطق بالسنسكريتية أو العربية .

وأما النظام الاقتصادي فما خلق الله في الأرض من المتاع فهو لمصلحة عامة الناس وانتفاعهم، فلا يجوز أن يهمل ويعطل ، والاسلام لا يقول بالمساواة في الرزق نفسه ، وإنما يقول بها في فُرَص الجد والسعي في اكتساب المعاش والتماس الرزق ، والغاية التي يقصدها الإسلام ألا يبقى في المجتمع البشري حواجز وعقبات قانونية أو تقليدية تعوق الإنسان وتقعده عن بذل جهده واستطاعته في سبيل اكتساب الرزق ، كما يريد أن تنعدم عنه الامتيازات والفوارق التي تضمن لبعض الطبقات أو السلالات أو البيوتات سعادتها المتوارثة ، وتحوطها بسياج من التحفظ القانوني . والذين يريدون أن يسووا بين العباد حتى في وسائل السعي ونتائجه إكراهاً وقهراً ، لا يعاضدهم الإسلام ، بل يخالفهم كل المخالفة ، فإنهم يريدون أن يحولوا التباين الفطري الى المساواة غير الفطرية ، وأقرب نظام الى الفطرة هو الذي يتسنى فيه لكل فرد من أفراد البشر أن يبدأ سعيه في حلبة المعاش من المقام والمحل الذي أعده الله له ، والحالة التي فطره عليها .

وأما النظام الروحاني ، فالفكرة التي ما زالت مسيطرة في الفلسفة والديانات ، أن الروح والجسد نقيضان لا يجتمعان معاً ، فهذا في وادٍ وذاك في وادٍ ، فمن المستحيل إذاً رقيهما وازدهارهما جنباً بجنب ، فكان من النتيجة اللازمة لهذه الفكرة أن تبددت طرق الروحانية والمادية ، وتفرقت بينهما السبل والمناهج ، فالذين آثروا المادة ، انغمسوا في عبوديتها كل الانغماس ، وانسلخت مجتمعاتهم ومدنيتهم وسياستهم ومعيشتهم وسائر أركان حياتهم الدنيوية من الروحانية ، وتجردت من معالمها حتى امتلأت الأرض ظلماً وعدواناً ، والذي يراه الإسلام في هذا الباب مختلف عما تراه النظم الدينية والفلسفية الأخرى في العالم ، فالحق ان الروح لم تؤت هذا الجسد إلا لتستخدمه في ما وهب الله لها من التصرف . ولتؤدي به ما عليها من الواجبات ، فالجسد ليس بسجن للروح بل هو معمل لها ، وهذه الدنيا ليست بدارٍ للألم أو تعذيب النفس قد ارتطمت في أوحالها الروح

بسبب من الأسباب ، بل الأمر أنها ميدان للعمل ، ومضمار للسعي والكفاح والجد ، قد بعث الله الروح البشرية اليه ، لتقوم بواجبها فيه ، وفي هذه الرسالة فوائد كثيرة ، فالتعبير بالكلم الوجيز عنها ، أو نقل نماذج منها لا يغني عن مطالعتها كلها .

الجهاد في سبيل الله (رقم : ٨)

فسرت هذه الرسالة الجهاد في سبيل الله وأوضحت المراد منه ، ذلك أن سبيل الله في المصطلح الإسلامي أرحب وأوسع بكثير مما يتصورون ، وأسمى غاية ، وأبعد مراماً مما يظنون بها ويزعمون ، فكل عمل تقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاء لمرضاة الله ، لا تريد به مغنماً أو مكسباً في الحياة العاجلة فهو في سبيل الله في نظر الإسلام ، وما قيد الشارع « الجهاد » بهذا الشرط (في سبيل الله) إلا للدلالة على هذا المعنى ؛ وذكر كيف شوه الغزاة الفاتحون لبلاد العروبة والإسلام من الافرنج وجوه هذه الحقيقة الناصعة ، وقد كان من لباقتهم ، وسحر بيانهم ، أنه كلما قرع سمعَ الناس صوت هذه الكلمة (الجهاد) تمثلت أمام أعينهم صورة مواكب من الهمج المحتشدة ، مصلتة سيوفها ، متقدة صدورها بنار التعصب والغضب ، متطايراً من عيونها شرر الفتك والنهب ثم ذكر الحاجة الى الجهاد وغايته ، وأتى بشواهد منه ، والذي وجه النظر العام اليه وكشف عنه في هذه الرسالة ، هو أن الإسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية ، وجملة من المناسك والشعائر كما يفهم من معنى الدين في هذه الأيام ، بل الحق أنه نظام كلي شامل يريد أن يقضي على سائر النظم الباطلة الجارية في العالم ، ويقطع دابرها ، ويستبدل بها نظاماً صالحاً ، ومنهاجاً معتدلاً ، يرى أنه خير للإنسانية من النظم الأخرى ، وأن فيه نجاة للجنس البشري من أدواء الشر والطغيان ، وسعادة له ، وفلاحاً في العاجلة والآجلة معاً .

الجماعة الاسلامية (رقم ٩)

دعوتها وأهدافها ومنهاج عملها

عرف الإسلام في هذا المقام ، بأنه نظام الحياة البشرية ، ومنهاجها المحيط بجميع أطرافها ونواحيها في كل فرع من فروع الحياة وشعبة من شعبها ، من الأمور الفردية ، إلى الشؤون العائلية والمدنية والسياسة وساحة الحرب ومؤتمرات الصلح للدولة ، قال : فهذا هو معنى الدين الحقيقي ، وما هو من قبيل الفكرة المجردة والعقيدة المحضة ، ثم ذكر الجماعة الإسلامية ، وأنها أسست في سنة ١٣٦٠ لتحقيق هذه الغاية العظمى والمطلب الأسمى .

والجماعة الاسلامية لها فروع منبثة في معظم مدن باكستان ، وكثير من قراها ، ولكل فرع من الفروع المنتشرة أمير محلي ، ومكتبة لتوزيع كتب الدعوة ، ومؤسسة مالية يدخر فيها ما يؤدي أعضاء الجماعة وأنصارها من زكاة أموالهم السنوية ، وما يتبرعون به من ذات يدهم ، حسب ما تقتضيه الحاجة ، وهذه الفروع الكثيرة موزعة الى أقسام ، ومراكز فرعية حسب التقسيم الإداري ، ويشرف على الجميع مركز الجماعة العام في مدينة لاهور ، وفيها أمير الجماعة العام ، وبيت مالها ، ومكتبتها الكبيرة ، وإدارة تنظيمها العامة ، ثم تكلم على منشورات الجماعة فقال : « نشرت الجماعة الى الآن من كتبها ومنشوراتها ما يربي عدده على خمسين كتاباً بين صغير وكبير ، وهي تعالج الحياة البشرية ، ومشاكلها الدقيقة والخطيرة ، وتبين تعاليم الإسلام في كل فرع من فروعها ، من العبادات والأخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد » قال : والذي يعرفه القاصي والداني ويعترف به أعدى أعداء الجماعة أنها أحدثت انقلاباً فكرياً وعملياً في بلاد الهند وباكستان ولا فخر ، فإن الحمد والمنة لله وحده » ويجد القارئ بعد انتهاء هذه الرسالة فهرساً موجزاً لأهم منشورات الجماعة ؛ وكذلك نشرت الجماعة عدة رسائل وكتب باللغة الانكليزية ، وللجماعة وأعضائها وأنصارها صحف يومية وأسبوعية ومجلات شهرية سائرة باللغة الأردية وغيرها من اللغات الهندية .

نقض المنطق

تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ — ٧٢٨ هـ)
بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة وتعليقاته . وتصحيح الشيخ سليمان
ابن عبد الرحمن الصنيع واستدراكاته . طبع بمطبعة السنة المحمدية ،
ووقف على طبعه وصححه الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي
سنة ١٣٧٠ هـ و ١٩٥١ م

سمي هذا الكتاب بنقض المنطق ، وأصله جواب لسؤال ورد على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، فبنى عليه جوابه الذي بلغ مائتين وعشر صفحات ، وقدم له الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل بمقدمة أبانت كنه فلسفة ذلك الإمام العبقري المجدّد الذي دافع فيها عن حقائق الإسلام كتاباً وسنةً ونصراً لمذهب السلف الصالح ، وردّ مقالات الفرق الزائغة التي وُصِفت بأنها جهالات وضلالات ، وأثبت لنا منطقاً مستقلاً سبقنا به فلاسفة الغرب بمئات السنين . وتسميته الكتاب بنقض المنطق تسمية بالمعنى الأعم الشامل لنقض أقوال المنحرفين عن هدي القرآن كالقدرية والمعتزلة والجبرية والجهمية ودعاة الحلول والاتحاد ، وغيرهم كثير ، كعلماء الكلام المؤولة والمعطلة ؛ ومعظمُ الكلام معهم يدور حول الصفات والقدَر ، ولشيخ الإسلام قاعدة في ذلك تسمى « تحقيق الإثبات ، للأسماء والصفات » و « حقيقــة الجمع بين القدَر والشرع » وهي المعروفة بالتدمرية (المطبوعة في مجموع سنة ١٣٢٥ هـ) وله قواعد كثيرة في الرد على هذه الأصناف ، منها قاعدة في أن كل آية يحتج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله ، وقاعدة في أن كلّ دليل عقلي يحتج به مبتدع ففيه دليل على بطلان قوله . وقد بسط في كتبه لا سيما كتاب العقل والنقل أن الدليلين السمعي والعقلي القطعيين لا يتعارضان أصلاً ، واذا تعارضا كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً ، والقطعي منهما هو المقدم . وله قاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية ،

وما بينها وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية ، وله في الكلام على مسائل العلو والاستواء والصفات الخبرية ، وما يتعلق بذلك من الرد على الجهمية والقدرية والجبرية وغيرهم ، ـ وفي الردّ على الفلاسفة أيضاً ـ مجلدات وقواعد أملاها مفردة غير ما تضمنته كتبه (منها) إبطال قولهم باثبات الجواهر العقلية ، (ومنها) إبطال قولهم بقدم العالم ، وإبطال ما احتجوا به و (منها) إبطال قولهم في أن الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد . ولو عُدت رسائله ومسائله وقواعده وأجوبته المستقلة التي أجملها تلميذه الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي (— ٧٤٤ ﻫ) في كتابه « العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام احمد بن تيمية » لبلغت مئات ، عدا الكتب والمصنفات والفتاوى ، قال الحافظ الذهبي : وما أبعد أن تصانيفه الآن ، تبلغ خمسمائة مجلدة . قال في « العقود » ص ٣٦ : وله كتاب في الرد على المنطق مجلد كبير ، وله مصنفان آخران في الرد على المنطق . قلت : أحدها كتاب « الرد على المنطقيين » وقد طبع في بمباي سنة ١٣٦٨ ﻫ ١٩٤٩ م في نحو خمسمائة وخمسين صفحة ، والثاني « نقض المنطق » وهو هذا ، ولم أهتد الى الثالث ، ولعله كتاب الموافقة بين المعقول والمنقول وهو الكتاب المسمى : « بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » المطبوع على هامش كتاب منهاج السنة النبوية ، بالمطبعة الكبرى الأميرية بمصر سنة ١٣٢١ ﻫ في أربعة اجزاء كبار ، وهو كتاب حافل عظيم المقدار ، ردّ فيه الإمام على الفلاسفة والمتكلمين .

إن جواب الامام في ترجيح مذهب السلف في الاعتقاد على مذهب المتأخرين ، وفي بيان أن أهل الحديث هم أولى بالصواب ، قد استغرق نحو ثلاثة ارباع الكتاب ، وفيه دفع ما يورده حذاق علماء الكلام في هذه المسائل ، ونقض قواعدهم وأقوالهم . والربع الأخير منه في نقض أصول المنطق الأرسطي وإبطال الأقيسة الفاسدة التي يحتج بها أتباع فلاسفة اليونان ، مما لا تؤيده فطرة سليمة ، ولا ميزان مستقيم ، ولا عقل صريح ، ولا نقل صحيح ، ويجمع ذلك كله الانحراف

عما نزلت به الكتب السماوية ، وجاءت به الرسل ، واهتدى به السلف .
وقد أوضح شيخ الاسلام في هذا الكتاب وغيره طريقته في إثبات الأسماء والصفات ، وفي بيان منشأ غلط المعطلة والنفاة ، وخلاصتها أن لهذه الصفات وجوداً علمياً ذهنياً ، ووجوداً خارجياً عينياً ، فوجودها الذهني هو العلمي المطلق المجرد عن جميع الخصائص والإضافات كالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والكلام ، وكون الموصوف حياً عليماً قديراً ، سميعاً بصيراً متكلماً ، وهذا القدر مشترك بين الموجودات كافة يطلق عليها بالاشتراك الاسمي أو اللفظي ، كما هو ثابت لها في الوجود العلمي والذهني ، ولكن شيئاً من ذلك لا يقتضي المشاركة في الأعيان الخارجية ، بل الذهن يأخذ معنى مشتركاً كلياً هو مُسَمَّى الاسم المطلق ، والعقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسميين ، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق ، والمخلوق عن الخالق ، ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته ، يفهم منها ما دلّ عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق ، وما دلّ عليه بالاضافة والاختصاص ، المانعين من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى .

(ترجمة القرآن)

أوضح الامام في معرض الكلام على القياس العقلي أنه إن وافق القرآن فهو حق ، وإن خالفه ففي القرآن بيان بطلانه بالأمثال المضروبة « ٢٥ : ٣٣ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » ثم قال ـ بعد أن عرض لأرسطو وأتباعه ، ومن اتبعهم من الآخرين ، وأن في كلامهم الحق والباطل ـ قبل الحق (اى منهم) وردّ الباطل ، وقال : فالأمر في هذا موقوف على معرفة القرآن ومعانيه وتفسيره وترجمته ، والترجمة والتفسير ثلاث طبقات : أحدها ترجمة مجرد اللفظ ، مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف .

والثاني: ترجمة المعنى وبيانه ، بأن يصور المعنى للمخاطب ، فتصوير المعنى له وتفهيمه إياه قدر زائد على ترجمة اللفظ .

الدرجة الثالثة: بيان صحة ذلك وتحقيقه بذكر الدليل والقياس الذي يحقق ذلك المعنى (ثم قال رحمه الله) : ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه ، كما أمر بذلك الرسول ، ولا يكون تبليغ رسالة الله إلا كذلك ، وان تبليغه الى العجم قد يحتاج الى ترجمة لهم ، فيترجم لهم بحسب الامكان ، والترجمة قد تحتاج إلى ضرب أمثال لتصوير المعاني ، فيكون ذلك من تمام الترجمة . (قال) : واذا كان المعلوم أن اكثر المسلمين ، بل أكثر المنتسبين منهم الى العلم لا يقومون بترجمة القرآن وتفسيره وبيانه ، ولأن يعجز غيرهم عن ترجمة ما عنده وبيانه أولى بذلك» اه باختصار ص ٩٧ — ٩٨ .

أقول : إن الدرجة الأولى ـ وهي ترجمة مجرد اللفظ ـ أي مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف هو ما يُسمّى بالترجمة الحرفية للقرآن ، وهي دون ترجمة نظم القرآن وأسلوبه كما لا يخفى ، ومع ذا فهي متعذرة في كثير من كلماته ، لا سيما أسماء الله تعالى وصفاته . وقد ذكر الغزالي في كتاب «إلجام العوام عن علم الكلام» أن من الألفاظ العربية مالا يوجد لها فارسية تطابقها . (ومثلها غيرها من اللغات) ولو جاز ترجمة الوحي المعجز ترجمة حرفية لكان لكل قوم من أهله قرآن بلغتهم ، وإذاً لمزق أهل الاسلام كلّ ممزّق ، ولتناقضت كتبهم وتراجمهم التي تحمل كلام المترجمين وما فيه من خطأ في النقل أو الفهم ، دون الكتاب الذي أنزل آية ومعجزة ببلاغته وهدايته . واذا استغنى الأعاجم عن لغة القرآن بترجمته الى لغاتهم بطل التعبد بتلاوته ، والأخذ بهدايته ، وأذكار الصلاة والحج وغيرهما بلغته ، وماذا يبقى لهم من الاسلام يا ترى ؟ ومما لا ريب فيه أن الدرجتين الثانية والثالثة من الترجمة للقرآن اللتين وردتا في كلام شيخ الاسلام هما ترجمة تفسيرية لآيه وسوره ، لا ترجمة لفظية لها ، بدليل قوله : والثاني ترجمة المعنى وبيانه ..

الدرجة الثالثة : بيان صحة ذلك وتحقيقه بذكر الدليل والقياس الذي يحقق ذلك المعنى ، وذكر الدليل والقياس هو علاوة على ترجمة المعاني بتصويرها للمخاطبين وإيضاحها لهم .

والمعقول أن تبلغ دعوة الاسلام لكل أمة بلغتها ، فاذا أشربتها قلوبهم ، تعلم عامتهم بالعربية ما تصح به عبادتهم ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية والفنون العربية والأدبية بلغة العرب .

وقد انتشرت العربية ــ في القرن الأول وما بعده ــ تبعاً للاسلام في قارات الأرض الثلاث (آسية وأفريقية وأوربا) ودخلت أمم كثيرة في العروبة والاسلام ، فصاروا عرباً ديناً ولغةً ، وعبادةً ومعاملةً ، وصار لفظ العرب يطلق على جميع المسلمين من جميع الأجناس ، والاسلام هو الذي جعلهم أمة واحدة كما جاء في الكتاب المبين : « إن أمتكم هذه أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون ». « فهل كان هذا إلا خيراً عظيماً تآخت فيه شعوب كثيرة ، وتعاونت على مدنية كانت زينة الأرض وضياء ونوراً لأهلها » ؟

طبع هذا الكتاب النفيس على نسخة الأستاذ الصديق محمد نصيف ، وزاد الكتاب صحةً وإتقاناً بتعليقات أصدقائنا الأساتذة المارّ ذكرهم فقد خرّجوا ما لم يخرّج من أحاديثه وترجموا لكثير من رجاله ، وأوضحوا ما رأوا من مشكلاته .

وهذا هو القسم الثاني من مقدمة الأستاذ الوكيل الحافلة التي وصفناها في طليعة المقال :

القسم الثاني : نقد المنطق ، في هذا تتجلى العظمة الفكرية ، في الامام ابن تيمية رحمه الله . ويحيف الباحثون على الحق والحقيقة حين ينسبون

الى « بيكون » (١) و « جون ستيوارث مل » (٢) وأضرابهما من مفكري الغرب وفلاسفته الفضل الأول والأخير في تقويم المنطق الأرسطي ، وضبط منطق الاستقراء ، أو في المواءمة بين المنطق الصوري والمنطق المادي ، بسلميهما يعرج العقل الانساني الى قدس الحقيقة ، نعم هاجم هؤلاء المنطق الأرسطي ، متهمين إياه بالآلية والتعقيد ، وفرط عنايته بناحية الصورة لا بالملاحظة والتجربة ، وهي الوسيلة الناجعة لفهم ظواهر الكون ، وبالقياس لا بالاستقراء الذي هو أقوم سبيل لكسب المعلومات والوصول الى المعرفة ، لكن ابن تيمية كان أسبق منهم جميعاً ، إذ نقد المنطق الأرسطي ، في عصر كان فيه ذلك المنطق صنم الفكر المعبود ، نقده نقداً صحيحاً زلزل من هيكله ، وهتك قناع القداسة الزائف عن وجهه ، ليبدو في صورته الحقيقية ، ولكن كان لبيكون ، ولمل من يحتفي بهما ، فذاع لهما ذلك الصيت البعيد .

أما ابن تيمية فكان بين معجب لم يعن ببحث مناحي العظمة الفكرية للامام ابن تيمية ، بل عني ببحث الجانب الاعتقادي ، ونشره ، والذياد عنه ، وبين حاقد موتور ، يحاول طمس معالم هذه العظمة ، وتلك العبقرية .

كان الحال ـ بعد ابن تيمية ـ كما يقول مؤلف كتاب العقيدة والشريعة : « كانت المؤلفات الكلامية التي صنفها العلماء بعد وفاته مباشرة تدور حول فكرة

---

(١) فرنسيس بيكون المتوفى سنة ١٦٢٦ ، فيلسوف انكليزي ، من زعماء الفلسفة الحديثة ، سبقه راموس وبعض رجال عصر النهضة في التنديد بالمنطق الارسطي ، ثم جاء هو يتم ما بدأوه ، فحمل حملة شعواء عليه ، وعارضه معارضة شديدة ، حتى ألف كتاباً سماه : « الارغانون الجديد » ليعارض به كتاب أرسطو الذي سماه : « إرغانون » ولكنه كان دنيء الطبع ، لئيم النفس .

(٢) فيلسوف انكليزي توفي سنة ١٨٧٢ من زعماء المذهب الحسي . الذي كان له خطره في الفكر والأخلاق ، وقد ردد في منطقه كثيراً من آراء الرواقيين وبعض الشكاك القدماء ، وجد في ضبط قوانين الاستقراء ، وأنكر الكليات ، والمعاني العامة ، غير معترف إلا بالوقائع الجزئية والظواهر الفردية ، والاستقراء الذي يعتد به نوع من التمثيل .

واحدة ، وهي معرفة ما إذا كان ابن تيمية زنديقاً أو منافحاً أميناً عن السنة »[1] .

غير أننا نستبشر خيراً بما بدأت المطبعة تنشر من دفائن كنوز هذا الفكر الاسلامي الجبار ، ومن بحوث تدور حول تجلية مناحي العظمة الفكرية لهذا الامام العظيم .

منطق أرسطو وموقف المسلمين منه : عرف أرسطو بمنطقه قبل أن يعرف بشيء آخر من آثاره الفلسفية ؛ وكان لمنطقه السيادة المطلقة في العصرين : القديم والوسيط ، فلم ينازعه السيادة منطق آخر ، وأنّى تكون ؟ وليس ثمة سواه : فالجدل « الأفلاطوني »[2] أقرب الى المنافسة والحوار منه الى المنطق ، أما قانون « أبيقور »[3] فهو لا يرمي الى وضع (قانون تعصم مراعاته الذهن عن الخطأ في الفكر) بل ينصب على المعرفة أولاً وطريق كسب المعلومات ، نعم قسم الأبيقوريون الفلسفة إلى ثلاثة أقسام : منطق ، طبيعة ، أخلاق ؛ غير أن هذا التقسيم صوري تقليدي ، تأثروا فيه غالباً بأفلاطون ، لذا كانت غايتهم بدراسة المنطق هزيلة .

أما « الرواقيون »[4] فنقدوا المنطق الأرسطي ، ووجهوا اليه اعتراضات مهمة ، وكانوا لا يؤمنون بفكرة (الكلي) فكان طبيعياً أن يرفضوا ما بني عليها من قواعد المنطق وقوانينه ، وحاولوا تأليف منهج استقرائي ، يدنو الى مناهج البحث العلمي الحديث .

---

(١) ص ٢٧٦ من كتاب العقيدة والشريعة في الاسلام لجولدزيهر .

(٢) افلاطون : فيلسوف يوناني ولد عام ٤٢٧ ق.م وهو صاحب نظرية المثل المشهورة التي كانت مصدراً كبيراً لصوفية الأديان كلها في أساطيرها .

(٣) فيلسوف يوناني ولد سنة ٣٤١ ق.م . في ساموس ، كانت الأخلاق عنده محور الفلسفة وغايتها ، ومذهبه في الأخلاق مذهب اللذة ، فغاية الحياة عنده : هي اللذة .

(٤) الرواقية : معاصرة للأبيقورية ومعارضة لها ، وضع أصولها « زينون » وأتمها من بعده تابعان له ، ومذهبها في الأخلاق ، أن يعيش الانسان وفق الطبيعة والعقل ، ويكاد يكون مذهبها حلولياً .

وكذلك عارض «الشكاك»[1] منطق أرسطو، إلا أن هذه المعارضات كلها، جرفها أمامه سلطان منطق أرسطو القاهر .

وقد دخل المنطق الأرسطي العالم الاسلامي في وقت مبكر[2] فعرفوه وعرفوا معه تلك الشروح التي أضافها اليه شراحه اليونانيون، وعرفوا أيضاً نقد الرواقية والشكاك للمنطق الأرسطي . وكان لمفكري الاسلام وفلاسفته ومتكلميه وأصولييه وفقهائه مواقف متباينة أمام هذا المنطق .

أما الفلاسفة : فقد تلقوه بالاعجاب، وأحاطوه بهالة من القدسية، وأما المتكلمون والأصوليون، فجنحوا الى الرواقية، رافضين المنطق الأرسطي، غير أن الغزالي كان أول أمره يقدس منطق أرسطو، حتى ليقول : «إن من لا يحيط به فلا ثقة بعلومه» وبالغ حتى جعله ميزاناً يزن به العلوم الدينية وسواها، فيقول في كتابه القسطاس عن قوانين المنطق : «لا أدعي أني أزن بها المعارف الدينية فقط، بل أزن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية، وكل علم حقيقي غير وضعي، فإني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين، وكيف لا ؟ وهو القسطاس المستقيم» .

غير أن الغزالي رفض المنطق الأرسطي في نهاية أمره، وأنكر أن يكون سبيل الوصول الى المعرفة، ثم مضى يتلمسها عن طريق التجربة الباطنية، أو أسطورة الكشف الصوفي، كما صرح بذلك في كتابه : «المنقذ من الضلال» .

أما ما سوى هؤلاء من فقهاء المسلمين، فكان موقفهم عدائياً تاماً، غير أنهم تباينوا، ففريق كان مظهر عدائه فتاوى يصدرها، محرماً بها الاشتغال بالمنطق، كابن الصلاح ومن تابعه، وفريق كان موقفه موقف الناقد بالبرهان، وإمام هؤلاء جميعاً : الامام ابن تيمية .

(١) جماعة رأوا تعارض الآراء وتناقضها، ففقدوا الايمان بالحق والخير، وإمامهم «بيرون» المعروف بكونه صاحب مذهب : المنكر للعلم واليقين .

(٢) قيل في عهد خالد بن يزيد، وقيل : في عهد أبي جعفر المنصور، ولسنا بصدد تحقيق تاريخي هنا .

نقد ابن تيمية للمنطق : لسنا بصدد دراسة شاملة لهذه الناحية عند الامام ابن تيمية ، وحسبنا استنباط مظاهر نقده للمنطق من هذا الكتاب الذي نسعد بتقديمه الى القراء

عرض لأوجه النقد في الكتاب : في الكتاب يتحدث عن المنطق ، ويزيف زعم غلاته ؛ أنه فرض كفاية ، ثم يذكر ذم علماء المسلمين له ، وعدم كفاية المنطق في الوصول الى الحق ، وأنه لا يفيد أربابه الايمان الواجب ، ولطالما كان المنطقي زنديقاً ، وقد يجمع بين الايمان والنفاق . ثم تحدث عن القياس ، وأنه ينعقد بالفطرة ، دون حاجة الى تعلم المنطق ، ويذكر أنه خدع بالمنطق ثم تجلى له عدم فائدته . ثم يعرج على نقد المتكلمين للمنطق ، متحدثاً عن أنواع الأقيسة ومفاتيحها عند المناطقة ، وعن المشهورات ، وعن صلة القياس بالبديهة والفطرة ، ثم ينقد مناطقة الفلاسفة والمتكلمين واليهود والنصارى في موقفهم من القياس - ثم يتحدث عن قياس التمثيل ، وعلم ما بعد الطبيعة ، وصلة المنطق بالعلوم وعدم الحاجة اليه في الأمور العملية .

واستطرد - كعادته - مبيناً تلازم الأصول الثلاثة « التوحيد ، الإيمان بالرسل ، الإيمان باليوم الآخر » ذاكراً : أن السعادة لا يحصلها منطق ولا حكمة ، ولا فلسفة المناطقة والحكماء والفلاسفة ، ويرهن على أن غير العلم الإلهي ليس فيه يقين ، وليس سبيلاً للنجاة ، ثم بين أن كلام المناطقة إنما ينحصر في الحدود التي تفيد التصورات ، وفي الأقيسة التي تفيد التصديقات ، وأن غالب كلامهم في هذا : فيه تكلف في العلم ، وفي القول ، وجله لغو لا فائدة فيه .

نقد الحد : يزعم المناطقة : « أن التصور الذي ليس يبدهي لا ينال إلا بالحد » هذا مقام سالب جال فيه الامام وصال ، هادماً لهذه القضية ، مثبتاً فسادها بستة عشر وجهاً ، فزاد خمسة أوجه عما ذكره في كتاب « الرد على منطق اليونانيين »

وكنا نود تلخيص هذه الحجج العقلية الرائعة ، بيد أنا نترك للقارئ الكريم إعمال فكره ، ليستمتع بنفسه بذلك الحجاج الفكري الرائع ، الذي يسمو به ابن تيمية الى الذروة ، من دقة التفكير وقوة الملاحظة ، وبصر الادراك ، ولمعان الذهن ، ونفاذ البصيرة . ثم يستطرد فيبين أن العرب والمسلمين منهم هم أعظم الناس إدراكاً للفروق بين الصفات الذاتية ، وأدقهم في التمييز بين المشتركات .

ثم بين فضل منطق متكلمي الاسلام على سواه من منطق الفلاسفة ومتكلمي الروم . ثم بين رأيه في الحد عند المناطقة ، فيرميه بأنه حشو لكلام كثير ، وأنه يعقد السهل ، ويحيل الوضوح غموضاً .

نقد القياس : وينقد ابن تيمية القياس ، مبيناً أن صورة القياس فطرية ، تنعقد دون حاجة الى تعلم ، وأن باطل القياس المنطقي أكثر من حقه ، والحق الذي فيه فطري لا نحتاج الى هذا القياس فيه .

ثم بدأ يستدل على فساد القياس بحجج متعددة ، تجلت فيها المواهب الفكرية الرائعة النادرة للامام ، تجليه لنا علماً يسامي قصيّ النجم ، فوق قمة الفكر الانساني العليا . وحق ما يقول الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق : « ولو أن الدراسات المنطقية سارت منذ عهد ابن تيمية على مناهجه في النقد ، بدل الشرح والتفريع والتعمق لبلغنا بهذه الدراسات من التجديد والرقي مبلغاً عظيماً » [1] .

هذا ما أردنا إثباته من مقدمة الأستاذ « الوكيل » في وصف هذا المؤلف الجليل .

محمد بهجة البيطار

---

(١) ص ١٢٥ من كتاب : فيلسوف العرب والمعلم الثاني .

بمجموعة غرفة تجارة حلب

نشرت غرفة تجارة حلب مجموعتها الاقتصادية لعام ١٩٥١ ، كعادتهـا ، وفيهـا احصاء دقيق ، وآراء اقتصادية حسنة جديرة بالدرس والتنفيذ .

وقد قال محافظ حلب (آنئذ) الأستاذ هاني السباعي في كتابه للغرفة التي جعلته كمقدمة ثانية لمجموعتها : « واذا ما استطاع رجال الاقتصاد والمال في هذا البلد الكريم ان يؤمّنوا تفوق الصادرات على الواردات في ميزاننا التجاري ، وأن يسيروا قُدُماً في هذا المضمار ، فانما يكونون قد حققوا للبلاد السورية بصورة عامة ، وللشهباء بشكل خاص ما ترجوه من رخاء وازدهار وتقدم ، وما تستهدفه من رفعة ومجد وسؤدد » .

هذه كلمة حقيقية لا ريب فيها ، لأن ما يتوقع أن تنتجه سورية ، أعظم مما تنتجه اليوم بكثير .

ثم جاء الأستاذ محمد سعيد الزعيم ، نائب رئيس الغرفة بتقرير ضاف عن اقتصاديات البلاد ، وحلل فيه بيان وزير المالية السورية في البرلمان يوم ١٨ تموز سنة ١٩٥١ فكان موفقاً في تقريره .

وجاء في المجموعة بحث عن أهم المشاريع الانشائية الزراعية في سورية وهو بحث مهم ، نرجو ان توفق الحكومة الى تنفيذه .

واستعرضت المجموعة أيضاً اسماء الشركات والتجار والصيارفة ، وبينت ماقدر من الأقطان المستهلكة ، ونشرت محاضرة للسيد ليون مراد عن تاريخ القطن والقطن السوري وتنظيم إنتاجه . وهناك ايضاحات وافية عن مؤتمر الغرف التجارية والزراعية العربية ومقرراته .

وبحثت بعدئذ عن أسعار البضائع التجارية الرئيسة ، وعن الموازنة السورية ، ثم نشرت قائمة بعدد خريجي الجامعة السورية ، والمدارس الأخرى ، وهناك قوائم أخرى

عن انتاج الاسمنت والتبغ السوري والقوة الكهربائية في سورية ، ونقليات السكة الحديدية وموازنتها ، والميزانية الموحدة لأهم المصارف في سورية ، والنقد المتداول ، والأسعار المحلية .

ودرج في المجموعة نص الاتفاقية التجارية بين سورية والمملكة العربية السعودية ، وهي نافعة لتجار البلدين . وهناك دراسات عامة عن تطور سورية الاقتصادي ، وتطور العلاقات التجارية بين دول الجامعة العربية ، ومقادير غلات حلب ، منذ ستين عاماً ، وهي أبحاث دقيقة .

وفي المجموعة مقال للأستاذ سعيد حمادة عن التخلف الاقتصادي في الديار العربية ، وقد انتقد بعض حالاتها الاقتصادية الراهنة ، ومقالات أيضاً لكتّاب آخرين جديرة بالمطالعة ، كما أن هناك دراسة عن شرق الأردن ، ودراسة عن صنع الورق في سورية ، وتقريراً سنوياً لغرفة تجارة حلب عن سنة ١٩٥٠ ، ثم بحث عن المغتربين السوريين في زيارة حلب (في تموز سنة ١٩٥١) وختمت النشرة باحصاء صادرات ومستوردات سورية ، منذ ١٤/٣/٩٥٠ حتى غاية السنة ، ومنها يتبين ان قيمة المصدّر من سورية بلغت ٤٤٩و٨٦٥و٢٠٧ ليرة سورية ، وقيمة المستورَد في تلك المدة بلغت ٩٩١و٥٩٨و١٩٧ ليرة سورية .

ولهذه المجموعة السنوية فائدة ملموسة ، سدت فراغاً في الميدان الاقتصادي السوري فنشكر جهود غرفة التجارة بحلب ، على نشاطها المتواصل .

منير الشريف

آراء وأنباء

من رسالة للأمير شكيب أرسلان رحمه الله

ان قضية الحضارة العالمية وموقف الأمة العربية منها أصبحت بحثاً عاماً وعلماً مقصوداً طالما شغل الألباب واستوقف الأنظار وانقسم الناس فيه الى طبقات وذهبوا مذاهب شتى . فمنهم من ذهب الى أن العرب لم يزيدوا على أن ينقلوا الى اللغة العربية فلسفة يونان وبعض حكم فارس والهند ، وأن كل ما أثروه في الأرض ان هو الا نقل وتقليد واستعانة بالغير ، ومنهم من ذهب الى أن مدنية العرب قديمة أصيلة أصلية سواء قبل الاسلام أو بعده وهي ذات طابع عربي خاص بها لم تأخذه عن أمة أخرى وانما اقتبس العرب من جيرانهم ما لا تخلو أمة متحضرة من مثله في كل عصر اذ كان العلم ولا يزال مشاعاً بين الجميع وقلّ أن وجدت أمة في الدنيا آخذة من الحضارة بنصيب لم تأخذ عن غيرها ما تجده موافقاً لمشربها . ومنهم من سلك في هذه المسألة طريقاً وسطاً فلا أفرط بالاعجاب بالعرب ومدنيتهم ولا فرّط في اعطائهم حقهم . والمذهب الأول هو سبيل الشعوبية الذين ــ سواء في القديم أو في عصرنا هذا ــ يملي عليهم الهوى أكثر مما يملي عليهم التحقيق . ومن هذه الفئة من يحب أن يخالف ليُعرف .

وأما المذهب الثاني فهو مذهب أهل الجدّ الذين لا يزال عددهم ينمو باتساع مناحي البحث وانكشاف غوامض العلم وتكاثر الطبقة التي تقصد الحقيقة لذاتها لا تريد أن تجعلها مطية للسياسة ولا يتكاءدها أن تصرح بالحق ولو على نفسها .

وأما المذهب الثالث فهو الذي عليه جمهور الأوربيين الذين أنشأهم آباؤهم على مبادئ بعيدة عن إنصاف العرب فشبّوا وشابوا عليها ، وكانت السياسة

مما يزيدهم تأثراً بها فهؤلاء لا يريدون أن يعترفوا للعرب وللاسلام بما يجعل منارهما عالياً في الأرض ويرغّب الخلق فيهما ولكنهم يحاذرون أن يغمطوا من فضل العرب الى الحد الذي يجعلهم مكابرين في المحسوس منتقدين في نظر رواد الحقائق من قومهم فلذلك تراهم يشيرون الى بعض آثر العرب والاسلام دون اسراف واذا مروا بالحسنة نقصوا منها وعلى كل حال لم يتحمسوا في وصفهم واذا عثروا على السيئة استقبلوها بترحاب وانشرحت صدورهم كأنما جاءهم التاريخ بهدية نفيسة وهو مذهب فيه من الدعاية أكثر مما فيه من حب الحقيقة ·



(ثنائية الأب مرمرجي)

يرى القارئ في هذا العدد (ص ٢١٦) مقالاً مسهباً في موضوع (الثنائية) التي قال بها وعمل على تأييدها ونشر قصتها زميلنا الفاضل الأب مرمرجي · ومغزى ثنائيته أن أصول الأفعال مطلقاً هي حرفان اثنان لا ثلاثة أحرف كما يزعم علماء اللغة · وقد تكرر مني القول على صفحات هذه المجلة باستنكار ما قاله حضرته حتى جاء مقاله الأخير الذي أشرنا اليه فرأيناه فيه يغذّ السير الى تأييد رأيه والاستشهاد عليه بما ورد عن بعض علماء اللغة مما لا يصلح شاهداً ولم تكن كلمة (الثنائية) في قولهم بالمعنى الذي أراده هو · ويُحتاج الى إثبات عدم صلاحية هذه الشواهد الى تطويل في القول واسهاب في الشرح وربما اضطررنا الى إعادة ما كنا قلناه من قبل · وان قلنا إن أطاق ذلك فلا نظن أن صدور القراء تُطيقه ·

وأقرب ما نقوله في التعليق على مقاله هو اقتصارنا على ما أشار اليه في صدر المقال من أن (الثنائية) مفترضة افتراضاً · وهذا ما جعلني أقول انه لا أسهل عليّ من موافقتي على ثنائيته هذه : إذ قد يُفترض المحال · بل ليس في الافتراض جدال · ألم تُفرض الأصوات مصدراً لطائفة كبيرة من ألفاظ اللغة العربية بل للغات

الأخرى : فجلجلة الرعد اشتقت من صوته وصلصلة الحديد كذلك وأزيز القدر من صوتها وزئير الأسد من صوته وهكذا غيرها . بيد أن الافتراض شيء والواقع شيء آخر . وأعني بالواقع : ما تحصّل في جميع معاجم اللغة تحقيقاً ونقلاً لا فرضاً ورأياً . والذي في هذه المعاجم هو : ان كل فعل بل كل اسم مَرَدُّه الى ثلاثة أحرف . هذا في الأفعال الثلاثية ومزيداتها وعمّمه بعضهم في الأفعال الرباعية المضاعفة فزلزل من (زلّ) وغمغم من (غمّ) وهكذا . والمتعمقون في أسرار اللغة كابن جني تخطّى به الى الأفعال الرباعية غير المضاعفة كفعل (دحرج) مثلاً فانه لا مانع يمنع من أن يكون أصله فعلين ثلاثيين نُحت منهما فعل رباعي واحد فأصل (دحرج) : (دحر) الحجر حتى (جرى) فنحتوا من فعليْ دحر وجرى فعل دحرج الرباعي .

وربما كان هذا الرأي اقتراضاً كافتراض ثنائية الأب مرمرجي . والذي أراه أن الرجوع الى دعوى الثنائية في ألفاظ اللغة ليس من رقيّها في شيء وانما هو مؤدٍ الى بلبلتها واضطراب أمرها والسلوك بها في مهامه لا تنتهي عند حد . ولا يغرب هذا عن ذهن الأب المحترم كما لا يغرب عن باله أن علم الصرف مبني على (ثلاثية) ألفاظ اللغة فالقول بثنائيتها يقوّض علم الصرف من أساسه ويضطر حضرة الأب الى أن يقوم مقام البصريين والكوفيين في وضع علم جديد في (الصرف) يقوم مقام القديم ويرتكز على الأجرومية السريانية !! فيذكر الأب فيه ان فعل الأمر من قام مثلاً ليس (أقوُم) بل كذا وكذا مما لا يفهمه إلا هو وحده . والسلام عليه وعلى كل محب للغتنا العربية مثله .

المغربي



حول ما كتبه الأستاذ الفاضل حمد الجاسر

على المقدمة التي وضعها الأستاذ الفاضل صلاح الدين المنجد لكتاب طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب

قال بعد أن ذكر الكتب التي سردها الأستاذ المنجد ولم يبين مؤلفيها :

ومن الكتب المؤلفة في الأنساب مما لم يذكره الأستاذ المنجد :

كتاب مشتبه النسبة لعبد الغني بن سعيد الأزدي (٤٠٩) في الظاهرية تحت رقم ٥٤٧ (حديث) .

أقول الذي نعرفه ويعرفه الكثير أن علم الأنساب علم يعرف به نسب الشخص الى آبائه وأجداده وتعرف بها القبائل ومن أين تحدر وتسلسل وتتشعب . وكتاب مشتبه النسبة لا يمت الى كتب الأنساب بصلة . فلا يحسن أن يعد منها بل هو كتاب لغة يقصد منه ضبط أسماء وألقاب وكنى المحدثين لترتفع الشبهة في رسمها وشكلها . ويترتب على ذلك أمور عند علماء الحديث .

ولذا وضعته المكتبة الظاهرية في قسم الحديث كما ترى بل حقها ان تضعه في قسم المصطلح لأن معرفة ذلك نوع من أنواع المصطلح وتراه في كل كتاب منه .

وكتاب مشتبه النسبة المتقدم لم يبق في عداد المخطوطات . بل هو مطبوع في الهند سنة ١٣٣٧ طبعة حجرية . ومعه كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث للحافظ عبد الغني بن سعيد نفسه . والكتابان عندي ولله الحمد ومعهما التاريخ الصغير للامام البخاري . وكتاب الضعفاء له . وكتاب الضعفاء للنسائي .

ما المقصود بالمؤتلف والمختلف في هذا الفن

قال الحافظ ابن حجر في شرح تحفته : وان اتفقت الأسماء خطاً واختلفت لفظاً سواء كان مرجع الاختلاف النقط أم الشكل فهو المؤتلف والمختلف ومعرفته من مهمات هذا الفن حتى قال علي بن المديني : أشد التصحيف ما يقع في الأسماء .

ووجهه بعضهم انه شيء لا يدخله القياس . ولا قبله شيء يدل عليه ولا بعده .

وقد صنف فيه ابو احمد العسكري لكنه أضافه الى كتاب التصحيف . ثم أفرده بالتأليف عبد الغني بن سعيد فجمع فيه كتابين : كتاب في مشتبه الأسماء ، وكتاب في مشتبه النسبة . وجمع شيخه الدارقطني في ذلك كتاباً حافلاً . ثم جمع الخطيب (البغدادي) ذيلاً . ثم جمع الجميعَ ابو نصر بن ماكولا في كتابه الاكمال واستدرك عليهم في كتاب آخر جمع فيه أوهامهم وبينها . وكتابه من أجمع ما جمع ذلك . وهو عمدة كل محدث بعده . وقد استدرك عليه ابو بكر ابن نقطة ما فاته أو تجدد بعده في مجلد ضخم . ثم ذيل عليه منصور بن سليم (بفتح السين) في مجلد لطيف . وكذلك ابو حامد بن الصابوني . وجمع الذهبي في ذلك كتاباً مختصراً جداً اعتمد فيه على الضبط بالقلم . فكثر فيه الغلط والتصحيف المباين لموضوع الكتاب [1] ، وقد يسر الله تعالى لي بتوضيحه في كتاب سميته المنتبه بتحرير المشتبه وهو مجلد واحد فضبطته بالحروف على الطريقة المرضية وزدت عليه شيئاً كثيراً مما أهمله ولم يقف عليه اه [2] .

والحافظ ابن حجر لم يستقص بما ذكره كتب هذا النوع .

والذي استقصى كتبه أو كاد هو شيخنا ومجيزنا العلامة الامام السيد محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه : (الرسالة المستطرفة في كتب السنة المشرفة) فقد عدد في كتب هذا النوع من ص ٨٦ الى ص ٩١ .

وها نحن نذكر نماذج من كتابي الحافظ عبد الغني بن سعيد يتجلى أن المقصود ضبط اسماء الناس وألقابهم وكناهم وضبط نسبتهم الى بلادهم أو حرفتهم .

---

(١) اسمه مشتبه النسبة طبع في ليدن سنة ١٨٦٧ منه نسخة في دار الكتب الوطنية بحلب.

(٢) منه نسخة نفيسة في الأحمدية بحلب محررة سنة ٨٥٩ أي بعد وفاة المؤلف بسبع سنين ونسخة في المتحف البريطاني . واخرى في المكتبة الرامفورية في الهند . وأخرى في المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن . ذكر الفاضل الجاسر نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢ (مصطلح) ورأيت في ذيل دليل الفالحين شرح رياض الصالحين لابن علان ما يفيد التعويل على طبعه من قبل لجنة . وأظن أنه لم يطبع بعد.

قال في كتاب المؤتلف والمختلف ·

باب الألف

أَسِيد . وأُسَيْد . وأُسَيِّد

فأما أسيد بفتح الألف وكسر السين · أسيد بن رافع · وعدد كثيرين
وأما أُسيد بالضم أُسيد بن خضير · وذكر غيره
وأما أُسيِّد بالتشديد وضم الألف · فهو أُسيد بن عمرو الخ ·

باب أفلح . وأقلح

أفلح بالفاء جماعة · وأقلح بالقاف واحد · وهو عاصم بن ثابت بن ابي الأقلح ·
وهكذا الى حرف الياء · والكتاب في ١٣٠ صفحة ·

وقال في خطبة كتاب مشتبه النسبة : أما بعد فاني لما صنفت كتابي في مؤتلف أسماء المحدثين ومختلفها نظرت فاذا من ينسب منهم الى قبيلة او بلدة أو صنعة قد يقع فيها من التصحيف والتحريف مثل ما يقع في الأسماء والكنى التي حواها كتاب المؤتلف والمختلف الذي تقدم تصنيفي اياه قبل هذا الكتاب وغيره فاستخرت الله تعالى وألفت كتاباً في المنسوب منهم الى قبيلة او بلدة او صنعة يشتبه انتسابه في الخط ويفترق في اللفظ والمعنى على من ليس له بذلك علم ولا له به دربة · ثم قال :

باب الأُبُلّي والأَيْلي

فأما من يقال له الأبلي بالباء المعجمة بواحدة من أهل الأُبُلّة فشيبان ابن فروخ الأبلي · وعمر بن يحيى الأبلي · وذكر غيرهما ·

وأما الأيلي بالياء المعجمة باثنتين من تحتها من اهل أيلة فحسين بن رستم الأيلي · ويونس بن يزيد الأيلي · الخ ·

باب الأزدي والأردني ·

باب الأسدي . والأسَدي .

باب البصري . والنصْري . والنَّصَري . والنضْري .

وهنا يذكر من هو الأزدي . والأردني . وهكذا .

وهذا الكتاب في ٨٠ صفحة .

وذيول هذين الكتابين التي ذكرناها وغيرها من الكتب المؤلفة في هذا الفن كلها على هذا النمط .

ثم ذكر الأستاذ الجاسر كتاب المؤتلف والمختلف لمحمد بن طاهر المقدسي ، وقال انه موضوع في الظاهرية في كتب التصوف . فوضعه فيها لا أراه صواباً الا اذا كان معه عدة كتب هي في فن التصوف .

ثم ذكر كتاب التوضيح لكتاب المشتبه . وتوضيح المشتبه لابراهيم بن محمد الحنبلي . وذيل الاكمال للحافظ محمد بن عبد الغني . فهذه كلها داخلة في فن المصطلح فوضعها في المكاتب بينها ، وعدها من هذا الفن هو الصواب ولا يحسن أن تعد في جملة كتب الانساب .

ورأيت للأستاذ غلطة هي من نوع مانحن فيه . وهي : النور الجلي في النسب الشريف النبوي لحسن بن عبد الله النجش . هكذا بالنون والجيم . والصواب البخشي بالباء الموحدة المفتوحة والخاء المعجمة الساكنة والشين المكسورة وهو من علماء حلب وترجمته الحافلة في تاريخي (أعلام النبلاء) منقولة عن سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للعلامة المرادي .

محمد راغب الطباخ



ديوان الوأواء الدمشقي

قرأت في الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العربي تعليقاً للأستاذ حمد الجاسر على ديوان الشاعر الوأواء الدمشقي نشر الأستاذ سامي الدهان مستفاداً من مقابلته النسخة المطبوعة على نسخة مخطوطة بمكتبة الأمير مساعد آل السعود وانه وجد فيها خمسة أبيات ليست في المطبوعة وذكر هذه الأبيات التي خلت منها ٠

ولما كنت أملك نسخة مخطوطة من الديوان موشاة الهوامش ومذيلة بمقطوعات عثر عليها بعد كتابتها سنة ١٣٣٣ ه ولما لم أكن أملك النسخة المطبوعة بتحقيق الأستاذ الدهان لأقابل بين المخطوطة والمطبوعة اقتصرت على مراجعة الأبيات الخمسة التي استدركها الأستاذ الجاسر وخلت منها المطبوعة فرأيت في صلب النسخة المخطوطة المقطوعة الأولى كما أوردها والمقطوعة الثانية الا ان في عجز البيت الأول : (سنكوا) بدل (سرّوا) ، وصدر البيت الثالث : (بذكركم) بدل (بذكرهم) ، وأما رواية عجز البيت في نسخة الأمير ساعد :

(والحلف بالمين ليس بالمين)

فهي برواية المخطوطة :

(والحلف بالله ليس بالغبن)

وأما البيت الذي هو مفتتح القصيدة الميمية في مدح الشريف العقيقي بدء الصفحة الثانية من نسخة الأمير مساعد فهي في نسختي مبتدأ قصائد حرف الميم ومقطوعاته وأما الأبيات المختتمة بها نسخة الأمير مساعد فقد رويت في نسختي بشيء من الاختلاف وهذا نصها :

إذا بعدتُ فاني قائم قلق علي ثوبان ثوب الضر والسقم

وقد ندمت على ما كان من زال ... وأنت أعظم من يرجى من الأمم
فاغفر لعبدك يا مولاي زلتــه ... أو لا فحكمك فينا غير محتكم

وفي نسختي بعد القصيدة الممدوح بها الشريف العقيقي احدى وعشرون قصيدة ومقطوعة على حرف الميم وبعد تتمة الديوان وآخره ماهو على حرف الهاء أورد ملحقات منها ما هو على روي الواو والباء والضاد والعين والفاء والقاف وأخرى على حرف النون ومنها قصيدة طويلة • ومقطوعة على حرف التاء مع الهاء وفي الأخير مقصورة تبلغ خمسة وعشرين بيتاً ماعدا ما وشي به هامش هذا الديوان من المقاطيع •

النبطية ـ لبنان ... سليمان ظاهر



هدية للظاهرية

تسلمت دار الكتب الظاهرية من آل المرحوم الأستاذ الطبيب محمد جميل الخاني مجموعة من كتبه البالغ عدد مجلداتها ٣٩٤ مطبوعاً و ٨ مخطوطات فنشكر آله على تنفيذ وصيته ونسأل الله عز وجل أن يتغمده برحمته واحسانه •



فهرس الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين

صفحة

١٦١ الأب لويس شيخو . . . . للأستاذ محمد كرد علي . . . .
١٦٥ دراسة العقد الفريد . . . . « شفيق جبري . . . .
١٧٥ شيخ الاسلام ابن تيمية (١) . . . . . « محمد بهجة البيطار . .
١٩٨ التشريع اللبناني . . . . للدكتور عمر فروخ صبحي محمصاني
٢٠٧ ذكرى أبي الثناء محمود الألوسي . . . . . للأستاذ عباس العزاوي . .
٢١٦ طلائع النهضة في القديم . . . . . . للأب مرمرجي الدومنكي . .
٢٢٥ أرجوزة في محاسن دمشق . . . . . . للأستاذ صلاح الدين المنجد . .
٢٤٠ تاريخ فكرة إعجاز القرآن (١) . . . . « نعيم الحمصي . . . .

التعريف والنقد

٢٦٤ – ٢٦٧ – العلوم والآداب والفنون على عهد
٢٧٠ – ٢٧١ – الموحدين – محنة في الفردوس كشمير –
٢٧٣ – ٢٧٤ – خزائن الكتب العربية في الخافقين –
ثقافة الهند – مباحث في فن الطبخ عند
العرب – أمواج الروح . . . } للأستاذ عارف النكدي . . .
٢٧٤ دراسة الأغاني . . . . . . للدكتور حكمة هاشم . . .
٢٧٩ – ٢٨١ – أبو الفرج الاصبهاني وكتابه الأغاني –
٢٨٣ – ٢٨٦ – شرح ديوان الحماسة – رد العامي
٢٨٨ – ٢٨٩ الى الفصيح – لكل زهرة عبير –
من الأدب – شعر كعب بن زهير } للأستاذ شفيق جبري . .
٢٩٠ الاسلام بين السنة والشيعة . . . للأستاذ عبد القادر المغربي . .
٢٩٣ – ٢٩٧ سلسلة مطبوعات دار العروبة في
باكستان – تفنن المنطق . . } « محمد بهجة البيطار . .
٣٠٧ مجموعة غرفة تجارة حلب . . . . . « منير الشريف . . . .

آراء وأنباء

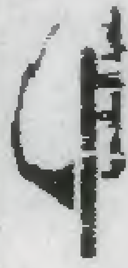
٣٠٩ من رسالة للأمير شكيب أرسلان رحمه الله . . . .
٣١٠ ثنائية الأب مرمرجي . . . . للأستاذ عبد القادر المغربي . .
٣١٢ حول ما كتبه الأستاذ حمد الجاسر . . . . « محمد راغب الطباخ . .
٣١٦ ديوان الوأواء الدمشقي . . . . . . « سليمان ظاهر . . . .
٣١٧ هدية لظاهرية . . . .

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي. قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
١٥ — « (الجزء الثاني) « « « « « « .
١٦ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
١٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد .
١٨ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني .
٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٢ — 〃 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃
٢٣ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرح وتعليق الأستاذ محمد بهجة البيطار .
٢٤ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين
٢٥ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد
٢٦ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢٧ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا
٢٨ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٩ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٠ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣١ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٢٩–٣١) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٢ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٣ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٣٤ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق



Bibliotheca Alexandrina
0652749